لمسات بيانية الجديد لسور القرآن الكريم١١

المؤلف: د. فاضل السامرائي، د. حسام النعيمي، د. أحمد الكبيسي.

المجلد الحادي عشر من سورة محمد حتى آخر سورة الحشر

المصدر: حلقات *لمسات بيانية* للدكتور/ فاضل السامرائي، والدكتور/ حسام النعيمي، والكلمة وأخواتها للدكتور/ أحمد الكبيسي

وبعض كتب الدكتور/ فاضل السامرائي.

جمع سمر، ويسرا الأرناؤوط

عدد الأجزاء: ١٣ [الكتاب مرقم آليا، وهو غير مطبوع]

تسهيلاً للباحثين يسرني وأختي الفاضلة يسرا أن نضع بين أيديكم ما قمت بطباعته من برامج تلفزيونية هادفة للدكتور. فاضل السامرائي - د. حسام النعيمي - د. أحمد الكبيسي تتناول لغة القرآن الكريم على مدى سنوات طويلة .. أختكم سمر الأرناؤوط.

تقديم

تم بحمد الله وفضله ترتيب هذه اللمسات البيانية في سور القرآن الكريم كما تفضل بها الدكتور فاضل صالح السامرائي والدكتور حسام النعيمي فى برنامج لمسات بيانية وفى محاضرات وكتب الدكتور فاضل السامرائي زادهما الله علما ونفع بهما الإسلام والمسلمين وجزاهما عنا خير الجزاء وإضافة بعض اللمسات للدكتور أحمد الكبيسي من برنامج الكلمة وأخواتها وأخر متشابهات والدكتور عمر عبد الكافي من برنامج هذا ديننا والشيخ خالد الجندى من برنامج فى ظلال آية ومن برنامج ورتل القرآن ترتيلاً وخواطر قرآنية للأستاذ عمرو خالد وقامت بنشرها أختنا الفاضلة سمر الأرناؤوط على موقعها إسلاميات جزاهم الله جميعاً عنا خير الجزاء فى الدنيا والآخرة .. فما كان من فضلٍ فمن الله وما كان من خطأٍ أو سهوٍ فمن نفسي ومن الشيطان. أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بهذا العلم فى الدنيا والآخرة، ويلهمنا تدبر آيات كتابه العزيز على النحو الذى يرضيه عنا وأن يغفر لنا وللمسلمين جميعاً يوم يقوم الأشهاد، ولله الحمد والمنة.

أختكم سمر الأرناؤوط.

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

تناسب خواتيم الأحقاف مع فواتح محمد ... آية *١٦* ... آية *٣١* ... تناسب فواتح سورة محمد مع خواتيمها

هدف السورة ... آية *١٩* ... آية *٣٣* ... تناسب خواتيم محمد مع فواتح الفتح

آية *٤* ... آية *٢٢* ... آية *٣٤*

آية *٥* ... آية *٢٤* ... آية *٣٦*

آية *١٥* ... آية *٣٠* ... آية *٣٧*

*** تناسب خواتيم الأحقاف مع فواتح محمد***

في محمد قال *الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ *١* وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ *٢ * في خواتيم الأحقاف ذكر من آمن بما أنزل على محمد وهم الجِنّ *وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآَنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ *٢٩* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ

مُسْتَقِيمٍ *٣٠* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *٣١* ، قال *الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ *١ * وقال *وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٣٢* الأحقاف*. قال *وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ* الكلام عن القرآن أنه نزل على محمد - *إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ *٣٠ * هذا إقرارهم.

قال في محمد *كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ* وقال في الأحقاف *يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *٣١ * . قال في آخر الأحقاف *يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *٣١ * وقال في محمد *كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ *٢ * . وقال في آخر الأحقاف *بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ *٣٥ * وفي أول محمد *فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ *٤ * نوعية الهلاك، طريقة إهلاكهم هكذا.

استطراد من المقدم: هنالك دعوة أن القرآن يفسر بعضه بعضاً هذه نظرية طيبة لا بد من النظر إليها ومن الواضح أن كل آية تفسر الآية التي قبلها وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً لا نحتاج إلى كثير إعمال عقل يبين العذاب والهلاك والتوحيد والفئات والعقاب ويدلنا على الطريق الصواب أن نلجأ إلى رحمة الله تعالى.

* هدف السورة : إتّباع محمدهو مقياس قبول الأعمال*

سورة محمد والفتح والحجرات يجمعها محور واحد وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسور الثلاثة مدنية ولكل منها هدف خاص بها نستعرضه فيما يلي كل سورة على حدة .

ورد في سورة محمد ذكر إحباط الاعمال وقبولها ١٢ مرّة في ٣٨ آية وهذا لأهمية الأعمال في حياة المسلم، وتربط السورة دائماً مسألة قبول أو إحباط الأعمال بإطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واتّباع أوامره وسنّته. كما جاء في السورة ذكر القتال لأنه امتحان لصدق أتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو أمر شاقٌ على الأنفس فطاعة الرسول تتمثل في إقبالهم على الجهاد في سبيل الله.. والحبوط لغة هو انتفاخ بطن الدّابة حيت تأكل نوعاً ساماً من الكلأ ثم تلقى حتفها، وهذا اللفظ أنسب شيء لوصف الأعمال التي يظنّ أصحابها أنها رابحة ولكنها تنتهي إلى البوار.

طاعة الرسول وارتباطه بقبول أو إحباط الأعمال:

- الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ *آية ١ * .

*وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ *آية ٢ * .

*وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ *آية ٨ * .

*ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ *آية ٩ * .

*ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ *آية ٢٨ * .

*وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ *آية ٣٠ * .

*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ *آية ٣٣ * .

*فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ *آية ٣٥ * .

ثم تتوسط السورة آية محورية *وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ* آية ٢٠ و٢١ تخبر المسلمين أنه أولى لهم طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا أرادوا قبول أعمالهم لأن كل طريق إلا طريق محمد فهو ضلال كما قال - صلى الله عليه وسلم - . وقد قال الإمام ابن حنبل: نظرت في القرآن فوجدت *أطيعوا الرسول* ٣٣ مرة ثم سمعت قوله تعالى *فليحذر الذين يخالفون عن أمره* .

وختمت السورة بذكر عقاب المؤمنين الذين لا يتّبعون الرسول - صلى الله عليه وسلم - . *هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ* آية ٣٨.

سميّت السورة بـ *محمد* تذكيراً باتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي هو مقياس لقبول الأعمال.

* من اللمسات البيانية فى سورة محمد*

آية *٤* :

* ما سبب نصب *فضربَ* فى قوله تعالى *فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ* ؟

د. فاضل السامرائي

ضربَ الرقاب: ضربَ مفعول مطلق فاضربوا ضربَ الرقاب.

مثل صبراً جميلاً يقول النحاة إنه منصوب لأنه هذا الضرب موقوف في هذه المعركة فقط *فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا* وليس كالملاقات العادية في الشارع والطرقات.

آية *٥* :

* ما معنى الهداية بعد القتل في قوله تعالى في سورة محمد *سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ *٥* محمد* و الآية وردت في حق الذين قتلوا؟

د. حسام النعيمي

هذه الآية جاءت ضمن مجموعة من الآيات تتحدث عن نتائج غزوة أُحُد. وفي أُحُد كان عدد من الشهداء غير طبيعي بالقياس إلى بقية غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - . والآية في سورة محمد *فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ *٤* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ *٥* وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ *٦ * . قبل قليل قلنا في لدنّي ولدني أن جمهور القُرّاء قرأوا لدنّي وهنا جمهور القُرّاء قرأوا *والذين قاتلوا في سبيل الله* فيُنتفى السؤال عند ذلك. لكن يبدو أن السائل من شمال أفريقيا من أهل المغرب لأن أسئلته تشير إلى روايات في شمال أفريقيا، الذين قاتلوا في سبيل الله لن يضل الله أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم الهداية للأحياء لكن السؤال الذي أثاره السائل أن حفص قرأ *قُتِلوا* معنى ذلك أن شعبة قرأ *قاتلوا* وهما راويا عاصم. قلنا أن القبائل حول الكوفة كثيرة وعاصم سمع من هؤلاء وهؤلاء فأقرأ حفصاً قُتلوا وأقرأ شعبة قاتلوا. لأن هذه القبائل نقلت هذه

القراءة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتغير في الفعل لا يحتمل تغييراً كبيراً لأن الذين قاتلوا في سبيل الله سيهديهم ويصلح بالهم والذين قتلوا كانوا قد قاتلوا في سبيل الله فهؤلاء وهرلاء سواء، فإذا كانوا قاتلوا فهذه بشارة لهم أن الله تعالى سيدخلهم الجنة ، هؤلاء الذين كانوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، الذين أقاموا دعائم الدين.

الهداية تتعلق في الحالين الذين قاتلوا والذين قتلوا: هم قاتلوا وقتلوا والمقتول كان قد قاتل فالذين قاتلوا سيهديهم لكن نوع الهداية: الهداية هنا للمقتولين للجنة ويصلح بالهم ويرتاحون عندما يدخلون الجنة *وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ *٤٣* الأعراف* هذا في الجنة، فالهداية إلى الجنة والهداية في الجنة يتحدثون عن الهداية فالشهيد يهديه الله سبحانه وتعالى إلى الجنة ويصلح باله ويرتاح فيها، وغير الشهيد المقاتل أيضاً يهديه الله في الدنيا والآخرة لأنه قاتل في سبيل الله فكأن الله سبحانه وتعالى يبشّره بالجنة فالأمران سواء والقراءتان تؤديان إلى معنى واحد. قراءة قُتِلوا لم يتفرد بها حفص وإنما أبو عمرو يعني أهل البصرة جميعاً قرأوا *قُتِلوا* وقبائل في الكوفة قرأوا قُتِلوا وكثير من قبائل العرب وسائر السبعة كانوا يقرأون *قاتلوا* القراءة لأبي عمرو وحفص عن عاصم والنتيجة كما قلنا واحدة.

سؤال: لماذا نصب كلمة *ضرب* وما إعراب ضربَ في قوله تعالى *فضربَ الرقاب* ؟

هي منصوبة وبعض العلماء يعربه صفة لموصوف محذوف ومنهم من يعربه مفعول مطلق يعني *فاضربوا الرقاب ضرباً* هذا مفعول مطلق، أو *فعليكم ضرب الرقاب* لكن إعرابها مفعول مطلق منصوب. فضربَ الرقاب أي فاضربوا الرقاب ضرباً، الفعل محذوف كما تقول للشخص : كتابةً درسك *مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أكتب* فإذا قلت: كتابةَ الدرسِ *مفعول مطلق حذفت التنوين لأنها أضيفت *عند الإضافة يحذف التنوين* . *فضرب الرقاب* الرقاب في الأصل مفعول به وأضيف المصدر إلى معموله، لو نوّن في غير القرآن فقال فضرباً الرقاب إذا نوّن ينصب وإذا أضاف يحذف التنوين عند الإضافة .

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى *فضرب الرقاب* ؟

هذه أبلغ وكأن فيه نوع من الإسراع في القتل فبدل أن يقول: فاضربوا الرقاب ضرباً هو يريد التأكيد فحذف وبدأ بها *فضربَ الرقاب* . لذلك يقول القرآن *فشرّد بهم من خلفهم* المؤمنون في القتال أشداء على الكفار رحماء بينهم، في القتال شديداً لكنه يرحم الصغار والأطفال والشيوخ والرهبان في صوامعهم أما أمام المقاتل فيكونوا أشداء شدة تشرّد بها من خلفهم حتى إذا تسامع الناس كيفية قتال المسلمين يخافون، لا يكون قتالهم ضعيفاً ليّناً لذا بدأ *فضرب الرقاب* تدخل عليهم هكذا أو تدخل الرقاب. *حتى إذا أثخنتموهم* نتيجة ضرب الرقاب أثخنتموهم معناه بدأتم تأخذون أسرى *فشدوا الوثاق* ما عندنا قتال بدون أسرى ، لا يجوز وما من قتال بدون أسرى لذلك خالد بن الوليد في اليرموك لما كان العدو مضاعفاً أضعاف المسلمين أضعافاً كثيرة لم يشأ خالد أن يحصر المشركين وإنما ترك لهم مجالاً للهرب طوقهم من ثلاث جهات وترك لهم جهة للفرار لأن الغرض ليس أن تقتل وإنما الغرض أن تزيح من أمامك الجيش الذي يمنع دعوة الله من الوصول إلى الناس *لا إكراه في الدين* لما يكون هناك جيش أمامك يمنعك من الوصول إلى هؤلاء عند ذلك ينبغي أن تزيحه وتصل إلى الناس ولا إكراه في الدين وكان هناك في عهد الإسلام من يعبد النار.

إستخدم في بقية الآية أفعال *فشدوا، فشرّد،* إلا في *فضرب الرقاب* فما دلالة هذا الاستعمال؟

المصدر هو للتأكيد، لتأكيد فعله، فكان ممكناً في غير القرآن أن يقول: فاضربوا رقابهم ضرباً وهذا هو المعنى ، وقارن أو وازن بين قولنا *فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم ضرباً* هذه نائمة فيها رخاوة لكن قوله تعالى *فضرب الرقاب* هذا الفعل أسقطه وجاء بالمؤكد، *ضرباً* فيها توكيد فحافظ على التوكيد وفيها معنى السرعة في المجابهة *فضرب الرقاب* ، أنت لقيته فينبغي أن تكون شديداً. هذه الشدة ليست مطلوبة بعد ذلك في لفظ أثخنتموهم لم يقل إثخاناً أو فإثخاناً، لكن قال *فإذا أثخنتموهم* أي إذا وقع هذا منكم تقومون بعمل شد الوثاق للأسرى ثم بعد ذلك *فإما منّاً بعد* لاحظ الإسلام، قدّم المنّ الذي هو العفو والصفح عن الأسرى ، إذن ليست المسألة مسألة حقد إنما إزاحة هذه العقدة التي تحول بيني وبين إبلاغ رسالة الله تعالى فإذا زالت هذه القوة هؤلاء الذين كانوا يقاتلونني وهم حريصون على قتلي قدّم الله عز وجل المنّ فأعفو عنهم.

منّاً مفعول مطلق و *إما* تفصيلية ، حرف تفصيل إما كذا وإما كذا.

*بعدُ*لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ* ظرف زمان مبني على الضمّ وعندما تضيف يمكن أن تقول *قبلَ صلاة الظهر* . الأصل أن يكون مبنياً، ما هو البناء؟ يقولون الكلمة العربية لها ثلاث مراتب:
المرتبة العليا: الاسم المتمكن الأمكن يكون مُعرباً ويُجرّ بالكسرة وينوّن مثل زيدٌ. المرتبة الثانية مرتبة الفعل لا ينوّن ولا يُجرّ بالكسرة فإذا الاسم هبط من الرتبة الأولى إلى الرتبة الثانية تُسلب منه هاتان الصفتان لأن صار يشبه الفعل، لما نأتي إلى كلمة زينب مثلاً اسم علم لكن اسم علم مؤنث أشبه بالفعل في جوانب لا يجرّ بالكسرة ولا ينوّن، تقول: سلّمت على زينبَ لا ينوّن ولا يُجرّ بالكسرة . وإذا هبط الاسم إلى الدرجة الثالثة يُبنى لأن الدرجة الثالثة الحرف مثل كلمة سيبويهِ *مبني* .

* قبلُ*: هبطت إلى الدرجة الثالثة فبنيت لكن إذا عورضت عورض شبه الحرف بخاصة من خصائص الأسماء تنتشلها إلى الأعلى وترفعها. *من قبلُ* مبني على الضمّ. الإضافة من خصائص الأسماء ولا تكون الإضافة بين الأفعال. فهذا الاسم المبني عندما يضاف أعطيناه خاصة من خصائص الأسماء فعورض شبه الحرف - والحرف لا يضاف - فعورض شبه الحرف بخاصة من خصائص الأسماء فرجع له الكسر، *من قبلِهم*من قبلِ هذا* يجر الكسرة عند ذلك لأن الإضافة من خصائص الأسماء كأن الإضافة إنتشلته ورفعته إلى الأعلى.

آية *١٥* :

* ما دلالة عدم ذكر كلمة تجري للأنهار في قوله تعالى *مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ ... * ؟

د. فاضل السامرائي

في قوله تعالى في سورة محمد *مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ {١٥} * لم ترد كلمة تجري للأنهار لأن الماء الآسن لا يكون إلا بركود الماء فلم يتطلب السياق ذكر كلمة تجري، أما في قوله تعالى *تجري من تحتها الأنهار* لم يكن هناك من داع لتحديد غير آسن لأنه جاء وصف الأنهار بالجريان الأمر الذي لا يؤدي إلى أن تأسن الماء.

* ما الفرق بين حميم ويحموم؟

د. فاضل السامرائي

الحميم هو الماء الحار *وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ *١٥* محمد* من حمّ والحمّى. والحميم يأتي من الشيء وضده حتى أنه يستعمل للماء البارد أيضاً *مشترك لفظي* . اليحموم هو الدخان الأسود الشديد السواد *وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ *٤٣* الواقعة*.

آية *١٦* :

* ما اللمسة البيانية في استخدام المفرد مرة والجمع مرة أخرى في الآية *ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا* ؟

د. فاضل السامرائي

من لها لفظ ومعنى ويُعبّر عنها بالواحد أو الجمع، يقال جاء من حضر *اللفظ مفرد مذكر وحقيقتها مفرد أو مثنى أو جمع* .

هناك قاعدة نحوية تقول: في كلام العرب يراعى المفرد أولاً ثم الجمع كما في قوله تعالى *ومن الناس من يقول آمنا ... وما هم بمؤمنين* وقوله *ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا* وقوله *ألا في الفتنة سقطوا* وليس غريباً هذا الاستخدام في اللغة.

من في اللغة تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وعادة نبدأ لفظها أولاً على حالة الإفراد والتذكير ثم نحملها على معناها وهذا هو الأفصح عند العرب. كما في قوله تعالى *يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين*ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً* نأتي بالإفراد والتذكير أولاً ثم يؤتى بما يدل على المعنى من تأنيث أو جمع أو تثنية.

* متى يأتى فعل *يستمع* متعدياً فى القرآن الكريم؟

د. فاضل السامرائي

هنالك أمر في القرآن الكريم: حيث عدّى الاستماع حيث يقول *إليك* لا بد أن يجري ذكر الرسول في سياق الآية . إذا قال إليك فلا بد أن يذكر شيئاً يتعلق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - . مثال *وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ *٢٥* الأنعام* المخاطب هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - . لما ذكر إليك *حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ* ، *وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ *١٦* محمد* متعلق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - *قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا* . *وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ *٤٢* يونس* المخاطب هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - . *نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا *٤٧* الإسراء* حيث يقول *يستمعون إليك* أو *يستمع إليك* يجري ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في السياق وهنا في آية الجن لم يرد ذكر الرسول مطلقاً. هو القصد ذكر القرآن وليس ذكر القارئ القرآن هو القصد وليس الرسول - صلى الله عليه وسلم - . فلم يعدّي الإستماع إليه.

آية *١٩* :

* سألناك في حلقة سابقة عن الآية التي استوقفتك طويلاً فهل حدث شيء مثل هذا أثناء كتابة كتاب معاني النحو؟

د. فاضل السامرائي

وأنا أؤلف معاني النحو حدثت حادثة غريبة أنا عادة كل موضوع قبل أن أشرع في الكتابة فيه أضع خطة للموضوع ما يتعلق بالمعنى يعني الفاعل، المبتدأ والخبر، أضع خطة لكل موضوع وأكتب فيه إلى أن وصلت إلى لا النافية للجنس أيضاً ضعت الخطة ورجعت للمراجع والقرآن وبدأت أكتب وإذا واحد بالمنام يأتيني وقال هناك مسألة في لا النافية للجنس لم تذكرها، قلت له ما هي؟ قال ما الفرق بين لا رجلَ في الدار وما من رجلٍ في الدار مع أن كليهما لنفي الجنس؟ *من* الإستغراقية لنفي الجنس *فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ *١٩* محمد* و *وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ *٦٥* ص* كلاهما لنفي الجنس، وما كنت قد فكرت بها أصلاً ولا أدرجتها في الخطة . سألني لم تذكر الفرق بينهما في المعنى فقلت له صحيح وذكرت له الجواب في المنام واستيقظت فقال صح ثم استيقظت فتذكرت السؤال ونسيت الجواب. بدأت أبحث في الكتب ولم تذكر الكتب الفرق بينهما. لا أعلم من الهاتف الذي جاءني في المنام، بقى السؤال في ذهني ولم أذكر ماذا أجبته. رجعت إلى المراجع التي بين يدي فلم أجد، في كتب النحو التي بين يدي لم أجد هذا الجواب فبدأت من جديد أنظر في المسألة رجعت للقرآن من جديد وأفكر وبقيت أكثر من نصف شهر أفكر في المسألة وأقلب فيها ثم اهتديت إلى الجواب فتذكرت أن هذا الجواب هو الذي أجبت الهاتف به.

بداية لا النافية للجنس يعني تستغرق كل الجنس المذكور يعني لما تقول لا رجلَ جميع الرجال لا واحد ولا أكثر كل هذا الجنس هو منفي، بينما لما تقول ما من رجل أيضاً تنفي استغراق الجنس *من* زائدة هذه تفيد استغراق الجنس كله، إذن ما الفرق بينهما إذا كان المعنى واحداً؟ والقرآن يستعملهما *فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ *١٩* محمد*وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ *٦٥* ص* ؟ لا النافية للجنس يقولون هي جواب لـ *هل من* يعني كأن سائلاً سألك هل من رجل في الدار؟ فتقول له لا رجلَ في الدار، هذه إجابة على سؤال *هل من؟* لما تقول هل رجلٌ في الدار؟ جوابه لا رجلٌ في الدار *لا هنا نافية * ولما تقول هل من رجلٍ في الدار؟ جوابه لا رجلَ في الدار *هذه لا النافية للجنس* . *من* زائدة لاستغراق الجنس، هل رجل يحتمل واحداً أو أكثر أما هل من رجل ينفي الجنس لا رجل ولا اثنان ولا أكثر، هذه قاعدة مقررة . إذن لما تقول هل رجلٌ في الدار جوابه لا رجلٌ في الدار و *لا* هنا نافية ، هل من رجل في الدار تجيبه لا رجلَ في الدار، هذا مقرر في اللغة وهنا *لا* نافية للجنس. فإذن لما تقول لا رجلَ هو جواب لـ *هل من* ؟، هذه جواب سائل. أما ما من رجل في الدار هذا ليس جواب سائل وإنما رد على من قال لك إن في الدار رجلاً. لا النافية للجنس إجابة على سؤال وما من رجل رد على قول إن في الدار رجلاً. لا رجلَ إعلام لسائل وإخبار عن شيء لا يعلمه أو جواب عن سؤال، أما ما من رجل فهو رد على قول.

مثال *لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ *٧٣* المائدة *وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ *٨* البقرة *وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ *١٣* الأحزاب* هذه رد، *وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ *٧٨* آل عمران*وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ *٥٦* التوبة * هذا رد. بينما *لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ *٢٥٦* البقرة * هذا تعليم وليس رداً على قول، *ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ *٢* البقرة * هذا أمر، *فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ *١٩* محمد* هذا إخبار. الفرق الثاني أنه بـ *ما* هذه و *من* نستطيع نفي الجنس بـ *ما متصلة ومنفصلة * ، بمعنى أني لا أستطيع أن أنفي

بـ *لا النافية * إذا كان منفصلاً، لا أستطيع أن أقول لا في الدار رجل، يمكن أن أقول لا في الدار رجلٌ لا يمكن أن ننفي الجنس هنا وتكون *لا* هنا مهملة *لَا فِيهَا غَوْلٌ *٤٧* الصافات*.
أما *ما* فيمكن أن تكون متصلة أو منفصلة *فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ *١٠٠* الشعراء*مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ *٥٩* الأعراف* لا يمكن أن نقول لا لكم من إله غيره. فإذن *ما* تكون أوسع في نفي الجنس. إذن هنالك أمران أن *لا* جواب عن سؤال وإخبار وإعلام و *ما* رد على قول و *ما* هي أوسع استعمالاً لنفي الجنس من *لا* . إذن هنالك لا النافية للجنس و *ما من* ما تُعرب نافية لأن الجنس يأتي من *من* ولا يأتي من *ما* والتركيب *ما من* نافية للجنس، *من* تسمى من الاستغراقية ونعربها زائدة لكن معناها استغراق نفي الجنس.

آية *٢٢* :

* ما معنى عسى في القرآن؟

د. فاضل السامرائي

عسى طمع وترجي وذكرنا *فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ *٥٢* المائدة * يكون الإنسان راجياً يقول *قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ *٢٢* القصص* وقد تأتي للتوقع *فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ *٢٢* محمد* هل عسيتم أي هل توقعتم أن تفعلوا. الفيصل في تحديد المعنى هو السياق والمعجم يعطي معنى الكلمة مفردة . ولا يصح الإستناد إلى المعجم وحده للفهم حتى في كل اللغات لا يمكن ترجمة النص من مجرد المعجم وإنما السياق.

آية *٢٤* :

* ما دلالة *أم* في قوله تعالى *أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا *٢٤* محمد*؟ هل هي متصلة أو منقطعة ؟

د. فاضل السامرائي

العلماء يختلفون أحياناً في تفسير النص سواء كان آية أو غيرها. سيبويه ذهب إلى أنها متصلة . المتصلة يعني هي التي يُجرّ عنها بالتعيين لا يستغني ما بعدها عما قبلها مثلاً: أعندك دفتر أم قلم؟ ستجيب عندي كذا. أرأيت محمداً أم خالداً؟ يجاب عنها بالتعيين بمعنى أيّ، أيهما عندك؟ أنت تجيب بالتعيين هذا أو ذاك، أضربت خالداً أم وبّخته؟ تجيب بالتعيين. تصير متصلة وقد تكون بعد سواء *سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ *٢١* إبراهيم*وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ *١٠* يس* . المنقطعة بمعنى *بل* جملة منفصلة *أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ *٣٥* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ *٣٦* أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ *٣٧* إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا يَتَخَيَّرُونَ *٣٨* أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ *٣٩* القلم* بمعنى *بل* ، *أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ *٢٨* ص* بمعنى بل أنجعل؟ *أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ *٣٩* الطور*أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ *٣٨* الطور*أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ *٣* السجدة * بمعنى *بل* ، *هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء *١٦* الرعد* ينتقل إلى أمر آخر وسؤال آخر *أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ* وما بعدها ليس مرتبطاً بما قبلها، هذه المنقطعة . أما المتصلة فلا يستغني ما قبلها عما بعدها: عندك فلان أم فلان؟.

المنقطعة جمل منفصلة أهذا أم هذا؟ بمعنى *بل* هذا يسمى إضراب عن حُكم آخر. *أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ *٣٥* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ *٣٦* أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ *٣٧* إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا يَتَخَيَّرُونَ *٣٨* أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ *٣٩* القلم* بمعنى *بل* ، *أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ *٢١* الشورى* كلها يضرب سؤالاً ثم ينتقل إلى سؤال آخر ثم إلى سؤال آخر فهي منقطعة . بالنسبة للآية *أفلا يتدبرون القرآن* فيها احتمالان:

* يحتمل لذلك سيبويه قال أرى أنها متصلة يعني هل حصل أو هذا؟ أفلا يتدبرون القرآن الذي وصل إليهم أم على قلوب أقفالها؟ ستجيب بأحدها مثلاً على قلوب أقفالها، المنقطعة أفلا يتدبرون القرآن بل على قلوب أقفالها هذه للتوبيخ، هذا إضراب وليست مرتبطة . فالآية تحتمل إما أنها متصلة على رأي سيبويه.

* والآخر *أفلا يتدبرون القرآن* يعني هم ليسوا متدبرين بل على قلوب أقفالها. فإذن النص يحتمل ولذلك كان هنالك رأيان عند العلماء: قسم قال هي متصلة وذهب إلى معنى الإتصال وقسم قال هي منقطعة يراد بها التوبيخ. ذكرنا سابقاً أن التعبيرات في العربية على قسمين تعبيرات احتمالية تحتمل أكثر من معنى وتعبيرات قطعية ليس لها إلا معنى واحد ودلالة واحدة والاحتمالية قد يراد أكثر الاحتمالات حتى يتسع المعنى فهذه من التعبيرات الإحتمالية .

* ما دلالة تأخير *أقفالها* في قوله تعالى **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا *٢٤* محمد ** ؟

د. فاضل السامرائي

الضمير في *أقفالها* يعود على متقدم فلو أخّرنا الضمير يصبح على متأخر لفظاً ورُتبة وهو لا يصح في الكلام فلا نقول أقفالها على قلوب.

آية *٣٠* :

* ما دلالة *لو* وهل هي أداة جازمة ؟

د. فاضل السامرائي

لو ليست من الأدوات الجازمة هي من أدوات الشرط غير الجازمة مثل *إذا* ولها معاني قد تكون حرف امتناع لامتناع أو حرف شرط من دون امتناع وهي لا تجزم أصلاً مثل *وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ *٣٠* محمد* وبعدها الفعل المضارع يكون مرفوعاً.

آية *٣١* :

* ما دلالة *نعلم* مع أن الله تعالى هو العليم الخبير *وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ *٣١* محمد*؟

د. فاضل السامرائي

لا شك هو ربنا عالم بالشيء قبل وقوعه وهو الذي كتب كل شيء لكنه هو يقصد العلم الذي يتعلق به الجزاء. ربنا يجازي الشخص على عمله لا على علمه فقط، يعلم ويعمل ويجازيه. هذا العلم الذي يتعلق به الجزاء وهو في القرآن كثير *وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ *٢٥* الحديد* ربنا يعلم لكن يريد من ينصره ورسله في واقع الحياة ، لمقصود علمه بعد عمل المرء. *إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن

يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ *١٤٣* البقرة * هو يعلم قبل ذلك لكن علم يتعلق به الجزاء، تطبيق على ما في علم الله *وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ *٣١* محمد*.

* ما الفرق بين النبأ والخبر؟

د. فاضل السامرائي

النبأ كما يقول أهل اللغة أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة *وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ *٢٢* النمل* وفي القرآن النبأ أهم من الخبر *قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ *٦٧* ص*عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ *٢* النبأ*. والنبأ في اللغة هو الظهور وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم. وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن نبأ *أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *٥* التغابن*.

وقد يسأل أحدهم جاء في القرآن قوله تعالى *وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ *٣١* محمد* فلم لم يقل نبلوا أنباءكم؟

هذا يدل على عِظم النبأ لأنه إذا بلى القليل من الأخبار فقطعاً سيبلي الكثير وإذا اختبر القليل فهو بالتأكيد يختبر الكثير. وإذا قال نبلوا أنباءكم تحتمل أن تعني لا يبلوا أخباركم فهل إذا بلى ما هو قليل سيترك ما هو أعظم؟ بالطبع لا فهو سيبلو الأنباء التي هي أعظم.

والصيغة الفعلية للنبأ *أنبأ* أقوى أيضاً منها للخبر *أخبر*قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا *١٠٣* الكهف*.

ملحوظة : في نشرات الأخبار التي تقدمها الإذاعات إن كان الخبر عظيماً يجب أن يقال نشرة الأنباء وإن كان خبراً عادياً يقال نشرة الأخبار.

والمُراد من هذا كله أن النبأ أعظم من الخبر.

آية *٣٣* :

* لماذا يرد في القرآن أحياناً أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأحياناً أخرى يرد وأطيعوا الله والرسول؟

د. فاضل السامرائي

في القرآن قاعدة عامة وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة ولم يجري ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في السياق أو أي إشارة إليه كما جاء في سورة آل عمران *وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {١٣٢} * . والأمر الآخر أنه إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق كما في قوله تعالى *قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {٥٤} النور* و *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ {٣٣} محمد* وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة .

آية *٣٤* :

* ما دلالة ذكر الفاء وحذفها فى بعض الآيات؟

د. فاضل السامرائي

هناك أمران: الأول أن الفاء تكون للسبب *سببية * "درس فنجح" هذا المشهور في معناها *درس فنجح* فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها أي الذي قبل يفضي لما بعدها يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو لأنه لمطلق الجمع. سواء كانت عاطفة "لا تأكل كثيراً فتمرض" يُنصب بعدها المضارع. ينبغي أن نعرف الحكم النحوي حتى نعرف أن نجيب.

هذا حكم عام ثم إن الفاء يؤتى بها في التبكيت أي التهديد. لو عندنا عبارتين إحداهما فيها فاء والأخرى بغير فاء وهو من باب الجواز الذِكر وعدم الذِكر نضع الفاء مع الأشد توكيداً. *إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً *١٣٧* النساء* ليس فيها فاء. *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ *٣٤* محمد* لأنهم لا تُرجى لهم توبة . وفي الأولى هم أحياء قد يتوبون. لما لم يذكر الموت لم يأت بالفاء ولما ذكر الموت جاء بالفاء *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ *٩٠* آل عمران*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ *٩١* آل عمران* الآيتان فيهما نفس التعبير: النفي بـ *لن* واحدة جاءت بالفاء *وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ* انتهى عملهم. النُحاة يقولون قد تأتي الفاء للتوكيد.

لماذا لا نفهم نحن القرآن الآن كما فهموه في السابق؟

لأنهم كانوا يتكلمون اللغة على سجيتها ونحن نتعلم لا نعرف النحو ولا البلاغة . علم اللغة نفسها لا نأخذه إلى على الهامش ولا نُحسن الكلام أصلاً. علم النحو مفيد في فهم نص القرآن الكريم.
والعلماء يضعون للذي يتكلم في القرآن ويفسره شروطاً أولها التبحر في علوم اللغة وليس المعرفة ولا تغني المعرفة اليسيرة في هذا الأمر. النحو والتصريف وعلوم البلاغة من التبحّر فيها يجعلك تفهم مقاصد الآية فإذا كنت لا تعرف معنى الواو والفاء ولا تعرف ما دلالة المرفوع والمنصوب لن تفهم آيات القرآن.

آية *٣٦* :

* قال تعالى *إنما الحياة الدنيا لعب ولهو* عدد أشياء كثيرة وفي غير موطن في القرآن قال *إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ *٣٦* محمد* فقط ولم يذكر بقية الأطوار كما في آية الحديد، لماذا؟

د. فاضل السامرائي

أحياناً يقتصر على اللعب واللهو لأن ما ذكره بعدها يندرج *الزينة وما بعدها* يندرج في اللهو فإذا أراد أن يفصّل فصّل وإذا أراد أن يُجمِل وقف عندها. الزينة قد تُلهي والتفاخر يلهي والتكاثر يلهي.
الله تعالى سمّى المال والبنون زينة *الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا *٤٦* الكهف*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ *٩* المنافقون* دخلت في الزينة والزينة دخلت في اللهو. ما ذُكِر في الزينة دخل هنا في اللهو. قال تعالى *ألهاكم التكاثر* دخل التكاثر في اللهو، أطلق التكاثر. لما فصّل في آية الحديد *اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ* فصّل وعندما أراد أن يُجمِل يقف عند الأصل والباقي يدخل فيه *وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ *٣٢* الأنعام* وقف عندها وما مثّل *إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ

أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ *٣٦* محمد*. يقولون البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال أراد التفصيل يفصّل، أراد الإجمال يُجمِل.

آية *٣٧* :

* ما دلالة استخدام صيغة المضارع فى قوله تعالى *إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ *٣٧* محمد*؟

د. فاضل السامرائي

استخدام صيغة الماضي والمضارع في القرآن كثير مثل قوله تعالى *وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا *٩٣* النساء* أي كلما سنحت له الفرصة قتل وهذا دليل التكرار لذا جاء الفعل بصيغة المضارع. وكذلك في قوله تعالى *ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه* صيغة المضارع لأن الشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله أما *ومن كفر* جاء بصيغة الماضي لأن الكفر يحصل مرة واحدة فقط. وقال تعالى *إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ *٣٧* محمد* سؤال متكرر لأن سؤال الأموال متكرر فجاء الفعل بصيغة المضارع، وقال تعالى *قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا *٧٦* الكهف* السؤال حصل مرة واحدة فجاء بصيغة الماضي.

* تناسب فواتح سورة محمد مع خواتيمها*

في بدايتها قال *الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ *١ * وفي أواخرها *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ *٣٤ * أضلّ أعمالهم فلن يغفر الله لهم، هم هؤلاء نفسهم. في أوائلها قال *فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ *٤ * وفي أواخرها قال *فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ *٣٥ * فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم، كأنهما متتابعتان.

* تناسب خواتيم محمد مع فواتح الفتح*

قال في أواخر سورة محمد *فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ *٣٥ * وقال في بداية الفتح *وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا *٣ * ، وفي محمد قال *وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ *٣٥ * وقال في الفتح *وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا *٣ * .

قال في أوائل الفتح *وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *٦ * وفي أواخر سورة محمد قال *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ *٣٤ * ، *وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *٦ * - *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ *٣٤ * والسياق في سورة الفتح هو أصلاً في الجهاد والمبايعة على النصر *عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *٦* وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا *٧ *إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *١٠ *

وقال في أواخر سورة محمد *وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ *٣١ *فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ *٣٥ * كلها في الجهاد.

سورة الفتح

تناسب خواتيم محمد مع فواتح الفتح ... آية *١٠* ... آية *٢٥*

هدف السورة ... آية *١١* ... آية *٢٦*

آية *١ - ٣* ... آية *١٢* ... آية *٢٧*

آية *٤* ... آية *١٥* ... آية *٢٩*

آية *٦* ... آية *١٨* ... تناسب فواتح سورة الفتح مع خواتيمها

آية *٩* ... آية *٢٤* ... تناسب خواتيم الفتح مع فواتح الحجرات

* تناسب خواتيم محمد مع فواتح الفتح*

قال في أواخر سورة محمد *فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ *٣٥ * وقال في بداية الفتح *وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا *٣ * ، وفي محمد قال *وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ *٣٥ * وقال في الفتح *وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا *٣ * .

قال في أوائل الفتح *وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *٦ * وفي أواخر سورة محمد قال *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ *٣٤ * ، *وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *٦ * - *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ *٣٤ * والسياق في سورة الفتح هو أصلاً في الجهاد والمبايعة على النصر *عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *٦* وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا *٧ *إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *١٠ * وقال في أواخر سورة محمد *وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ *٣١ *فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ *٣٥ * كلها في الجهاد.

* هدف السورة : سورة الفتوحات والتجلّيات الربانية *

سورة محمد والفتح والحجرات يجمعها محور واحد وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسور الثلاثة مدنية ولكل منها هدف خاص بها نستعرضه فيما يلي كل سورة على حدة .

نزلت هذه السورة الكريمة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد عودته من صلح الحديبية ولمّا نزلت فرح بها فرحاً شديداً وقال: "أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها* . وقد كان الصحابة محبطين من منعهم من أداء العمرة ثم عقدوا صلح الحديبية فكانت فترة الصلح بمثابة الهدنة . ومن عظيم الخطاب القرآني وعظم الرسالة أن تسمّى هذه السورة الفتح مع أنها تتحدث

عن فترة هدنة وصلح وهذا دليل على أن الإسلام يدعو للصلح ولا يدعو للحرب كما يتصوره البعض من ضعفاء النفوس، ولقد كانت فترة الهدنة هذه من أهمّ الفترات في انتشار الرسالة وإسلام العديد من الناس وهي أكثر فترة ينتشر فيها الدين. ولقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - : أفتح هو؟ قال: يا عمر إنّه لفتح. وهي من أكثر السورة التي ذكر فيها الصحابة بخير لأنهم لمّا غضبوا بعد منعهم من العمرة كان غضبهم لله ورسوله وليس لأنفسهم فكانوا مخلصين في إحساسهم وغضبهم لدينهم فجاء التفضّل عليهم من رب العزة بالمدح والثناء عليهم في هذ السورة الكريمة ."

وهذه السورة هي سورة الفتوحات بحق فكل آية فيها تشير إلى نوع من أنواع الفتح نستعرضها فيما يلي:

١ - مفغرة الذنوب *إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا* آية ١.

٢ - إتمام النعمة والهداية *لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ** آية ٢.

٣ - النصر *وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا* آية ٣.

٤ - إنزال السكينة *هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا* آية ٤ - نلاحظ وردت السكينة ٣ مرّات في السورة .

٥ - الجنّة *لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا* آية ٥.

٦ - كشف المنافقين *وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * آية ٦.

٧ - الرضى عن المؤمنين *لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا* آية ١٨.

٨ - الغنائم *وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا* آية ١٩ و ٢٠.

٩ - طمأنينة الأقلية المؤمنة في مكة *هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا* آية ٢٥.

١٠ - بشرى فتح مكة *لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا* آية ٢٧.

١١ - إظهار الدين *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا* آية ٢٨.

١٢ - الوعد بالمغفرة والنصر العظيم.

١٣ - أكبر عدد دخل الإسلام بعد صلح الحديبية .

١٤ - آية الرضوان *لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا* آية ١٨.

فلماذا استحق المسلمون هذا الفتح كلّه؟ لأنهم ببساطة صدقوا الله في العبادة وعلم الله صدقهم *لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا* آية ١٨.

ثم تأتي الآيات تدل على مواصفات الفئة المستحقة للفتح: *مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا * آية ٢٩ وهذه آية خطيرة لأنها أوضحت صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - والذين معه وجمعت لهم الصفات التي لم تكن عند اليهود والنصارى من قبلهم، جمعت لهم العبادة الخالصة لله *ركّعاً سجّداً* مقابل صفات اليهود الماديين الذين لم يتصفوا بالعبادة . وجمعت لهم صفة العمل والجد والنجاح *كزرع أخرج شطأه* بنيّة إغاظة الكفّار وهذه صفات لم تكن عند النصارى الذين كانوا ربّانيين ورهبانا وروحانيّون ولم يكونوا يدعون للعمل، وكأن صفات المؤمنين الذين يستحقون الفتح من الله هي الصفات التي تجمع بين العبادة والعمل فهم الأمة الوحيدة التي جمعت هاتين الصفتين معاً. اليهود كانوا ماديين فقط والنصارى كانوا روحانيين وربانيين فقط.

لفتة : في ختام سورة محمد السابقة ختمت السورة *وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ* وختمت هذه السورة بصفات المؤمنين الذين يطيعون الرسول *مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا* .

* من اللمسات البيانية في سورة الفتح*

آية *١ - ٣* :

* ما دلالة استخدام صيغة الجمع في القرآن مثل ضربنا، رفعنا، قلنا، أنزلنا، فتحناوغيرها مما ورد في القرآن؟

د. فاضل السامرائي

القرآن استعمل صيغة الجمع *فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً {١١} الكهف*أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ {١} وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ {٢} الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ {٣} وَرَفَعْنَا لَكَ
ذِكْرَكَ {٤} الشرح* وصيغة الإفراد *ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً {١١} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً
مَّمْدُوداً {١٢} وَبَنِينَ شُهُوداً {١٣} وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً {١٤} المدثر* وفي صيغة الجمع يؤتى بما يسمى ضمير التعظيم ويستعمل إذا كان المقام مقام تعظيم وتكثير ويستعمل الإفراد إذا كان المقام مقام توحيد أو مقام آخر كالعقوبة المنفردة .

لكن من المهم أن نذكر أمراً وهو أنه سبحانه وتعالى في كل موطن في القرآن الكريم وبلا استثناء إذا استعمل ضمير التعظيم لا بد من أن يأتي بعده بما يدل على الإفراد حتى يزيل أي شك من شائبة

الشرك لأنه من نزل عليهم القرآن كانوا عريقين في الشرك *إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ {١} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ {٢} *إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ {٢} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ {٣} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ {٤} *إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً {١} لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً {٢} وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً {٣} * لم يقل في آية سورة الفتح لنغفر لك بينما قال في النصر *فتحنا* لأن الفتح قد يأتي بأن يأخذ بالأسباب كالجيش وغيره ويأتي النصر من عند الله أما مغفرة الذنوب فمن الله وحده ولا تحتاج لجمع لأنه هو وحده الذي يغفر *ومن يغفر الذنوب إلا الله* فضمير التعظيم لا يمكن أن يستمر إلى نهاية الآيات فلا بد من وجود شيء يدل على الإفراد.

آية *٤* :

*إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا *٢٦* الفتح*لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا *١٨* الفتح* ما الفرق بين فأنزل السكينة عليهم وأنزل الله سكينته؟

د. فاضل السامرائي

سكينته مضاف إلى ضميره سبحانه وتعالى. ربنا قال *هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ *٤* الفتح* الملاحظ في السكينة بالذات أنه حيث ذُكِر الرسول أو كان موجوداً في السياق يقول *سكينته* بالإضافة إليه تعظيماً له. وحيث كان الأمر عاماً ليس فيه الرسول يقول السكينة . مثال *هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *٤* الفتح* ليس فيه ذكر الرسول، *لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا *١٨* الفتح* ليس فيها ذكر لكلمة الرسول، *ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ *٢٦* التوبة * صرّح بالرسول، *إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا *٤٠* التوبة *، *إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى *٢٦* الفتح* حيث أضاف فلا بد أن يُذكر الرسول أو يظهر في السياق. هذه خصوصية للرسول - صلى الله عليه وسلم - وتعظيماً له وإكراماً له.

آية *٦* :

* ما الفرق بين *وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا *٩٣* النساء* - *وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {٦} الفتح*

د. أحمد الكبيسي

عندنا آيتان عجيبة *وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا {٩٣} النساء* انتهى يعني حصل قرار ولا رجعة عنه هناك من قتل نفساً بغير نفس هذا قصاص *النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ {٤٥} المائدة * وإذا قُتِل القاتل فقد بريء دمه وبريء من الذنب لأن السيف محاء للخطايا القصاص يمحو الذنب.

هنا جريمة قتل لا تمحى ولا تغفر مهما حصل *وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا* يقتله مع أنه مؤمن يقتله على عقيدته على أنه كافر كما يحصل اليوم وحصل من أول أيام الإسلام قتل سيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا عمر وقتل الصحابة والتابعين وتابعين التابعيين والآن يقتل كثير من العلماء والصالحين والكتاب والمسلمين والموحدين وأهل المساجد يقتلون على أنهم مشركون هذه الآية تتحدث عنهم *وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا* يؤمن أنه لا إله إلا الله *فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا* فرق بين أعد لهم عذاباً عظيماً في آية وآية أخرى *وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {٦} الفتح* ما الفرق؟ من يقتل مؤمناً متعمداً اختار الله له من عذابات جهنم كثيرة عذابات جهنم لا حصر لها حر وبرد وأفاعي وعقارب وتجويع وهناك عذاب مهين يعني يجعلونه هزؤ وهناك عذاب كبير وهناك عذاب أليم يعني لا حصر لعذابات جهنم نعوذ بالله منها ولهذا رب العالمين ما ادخرها إلا لمشرك *لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى {١٥} الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى {١٦} الليل* افهموها جيداً، هذه جهنم الرهيبة الأساسية الأصلية خاصة للمشركين *إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ {٨} الهمزة *لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى {١٥} الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * نار المؤمنين شيء ثاني خليكم واقعيين هناك فرق بين أشغال شاقة وبين توقيف في مركز الشرطة أيّ جنحة أيّ مخالفة أيّ تحقيق يتركك يوم يومين بالتوقيف أما الأشغال الشاقة مأساة تتمنى الموت عشرين ثلاثين سنة أشغال تكسر حجر طوال النهار في الشمس فكيف يوم عذاب جهنم؟ *إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ*لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الذي كذب برسوله وبالله وما إلى ذلك.

أما في قوله *وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا* هو الله سبحانه وتعالى هو الذي اختار له العذاب في حين هناك آخرون *وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {٦} الفتح* لم يختر لهم العذاب قال هناك رضوان خازن النار هو الذي سيختار لكم العذاب على حسب يتفاوتون وحتى المنافقين يتفاوتون في العذاب حتى المشركين يتفاوتون في عذاب جهنم من غير المعقول واحد يقول أنا الله مثل فرعون وآخر لم يكن يؤمن لكن لم يؤذي أحداً فرق كبير إن الله لا يظلم مثقال ذرة حينئذٍ رب العالمين قال هؤلاء يروحون جهنم وفي جهنم أنواع العذابات تتفاوت كبراً وصغراً وقوة وضعفاً لكن الذين يقتلون مؤمناً متعمدين متهمين إياه بالشرك هؤلاء اختار لهم *وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ* طردهم من رحمته هو طرد الاثنين طرد المرتدين وطرد المنافقين وطرد القتلة لكن هؤلاء المشركين لم يختر لهم عذاب قال روحوا على جهنم هناك أنواع العذابات الزبانية هم الذين سوف يعذبونكم بما تستحقون. لكن الله اختار العذاب الذي سيوقع على من يقتل مؤمناً متعمداً لإيمانه متهماً إياه بالشرك مع أنه كان يقول لا إله إلا الله والنبي قال *أقتلته وقد قالها؟* ولم يغفر له الله سبحانه وتعالى. إذاً هذه هي مجموعة التعبيرات باللعن بالمضارع وغيره وبالجملة الاسمية وبأن كما شرحناها بإيجاز.

آية *٩* :

* ما الفرق بين التعزير والتوقير وعلى ماذا تعود الضمائر فى قوله تعالى *لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا *٩* الفتح*؟

د. فاضل السامرائي

التعزير القوة والنصر، عزّره أعانه، نصره، قوّاه. أما التوقير فهو التعظيم. فإذن التعزير فيه معنى التأييد والنصر وذلك قالوا كل الضمائر تعود على الله سبحانه وتعالى *لتعزروه* أي تنصروه بالسيف *إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ *٧* محمد* وتوقّروه تعظموه، وتسبّحوه وإن كان قسم قال

تعزروه وتوقروه للرسول - صلى الله عليه وسلم - وتسبحوه لله تعالى . الخلاف على من يعود الضمير؟ ليس بالضرورة أن يعود الضمير على الأقرب فقد يعود الضمير على الأبعد *وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا *١١* الجمعة * التجارة أبعد لكن ما يقتضيه المعنى . *لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ* لما قال *وَتُسَبِّحُوهُ* هذه خالصة لله تعالى . قسم قال كل الضمائر تعود لله التعزير النصر والنصر لله *إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ *٧* محمد* ، توقروه تعظيم والتعظيم لله *وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ *٣٢* الحج* والتسبيح لله فكلها تعود على الله. وقسم قال تعزروه وتوقروه للرسول وتسبحوه لله. أنا أميل أن الضمائر تعود على الله تعالى التعزير والتوقير والتسبيح لله لأن اللغة تحتمل.

* ما دلالة قوله تعالى *لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ *٩* الفتح* بدون الباء مثلما جاءت في سورة التوبة *بالله وبرسوله* ؟ *د.أحمد الكبيسي*

في قضية الإيمان وردت ١٢ مرة ولم تدخل الباء على أي منها لم يرد آمن بالله وبرسوله وإنما وردت بالله ورسوله، عدم دخول الباء يشير إلى أن الإيمان بالرسول تابع وهو امتداد إيماننا بالله أي أن ما بُعث به محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما هو من عند الله ولذلك لم تدخل الباء على كلمة *رسوله* لأنه لا فرق بين أن نؤمن بالله وبين أن نؤمن برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو. على صعيد آخر وجدنا أن حرف الباء قد دخلت على كلمة الرسول في قضية الكفر قال تعالى *وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ *٥٤* التوبة * وهنا دخول الباء ضروري لأن الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور وهذا كفرهم بالله أما كفرهم برسول الله ذلك أنهم كانوا يلقبون الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يُبعث بالصادق الأمين وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم فلما بُعث فيهم قالوا عنه ساحر أو مجنون *وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ *٣٦* الصافات*وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ *٤* ص* وهذا كفرهم برسول الله وبمعرفتهم له وفي هذا قال تعالى *قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ *٣٣* الأنعام*.

آية *١٠* :

* ما هو إعراب كلمة *عليهُ الله* في الآية *إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *١٠* الفتح*؟ وما دلالة الضمّ في *عليهُ* ؟

د. فاضل السامرائي

جار ومجرور الهاء ضمير مبني على الضم في محل جر، هذه لغة قريش *عليهُ* بناء الضمير على الضم. الإعراب ليس فيه إشكال كما نقول منه وله وبه فهو نفس الضمير. نقول ضمير مبني على الضم في محل جر. هذه قراءة حفص.

هو ليس رفعاً وإنما بناء على الضم والمعروف أن هاتان لغتان لغة الحجاز هذا الضمير تبنيه على الضم مطلقاً في كل كلامها لا تكسره تقول مررت بهُ وإليهُ وعليهُ كلها تبنيه على الضم مطلقاً وسائر العرب إذا كان قبل الضمير كسرة أو ياء ساكنة تكسره وما عدا ذلك تضمه، إذا كان قبله كسرة أو ياء ساكنة تكسره مثل *بهِ، عليهِ، أنسانيهِ* . عليهُ هذه لغة الحجاز استعملها في موطنين في

القرآن *عليهُ*وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ *٦٣* الكهف* فيقولون سبب الاختيار هنا، لماذا اختار هذه اللغة تحديداً؟ يذكرون أمرين عن هذه الآية *عليهُ* :

- نحن نعرف أن الضمة أثقل من الكسرة والفتحة أخف الحركات والعهد هذا الذي جاء به هو أثقل العهود هذه في بيعة الحديبية هذه مبايعة حتى الموت فلما أثقل العهود وهو البيعة على الموت جاء بأثقل الحركات وهي الضمة ، هذه أثقل أنواع العهد أن تبايع على الموت فجاء باثقل شيء وهي الضمة .

- الأمر الآخر أنه لما تأتي بالضمة تفخم لفظ الجلالة *عليه الله* ولو جئت بالكسرة سترقق اللام فتفخيم لفظ الجلالة لتفخيم العهد، هذا عهد عظيم مفخّم حتى بالصوت هو أيضاً مفخم. الصوت أيضاً يربط الدلالة السين والصاد واختيار الضمة تؤثر مثل *بسطة وبصطة *وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً *٦٩* الأعراف* بالصاد. تقول في مكان آخر ألم يقل *عليهِ الله* لماذا لم يفخِّم؟ أقول لا لم يرد في القرآن عليهِ الله لم ترد بعد عليهِ لفظ الجلالة . إذن هنا *عليهُ* الرفع هنا لأنه اختار أثقل الحركات لأثقل البيعات وتفخيم لفظ الجلالة . قال *وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ *٦٣* الكهف* ليس فيها عهد ثقيل وليس فيها لفظ الجلالة وإنما فيها سمكة مشوية مأكول منها كيف تعود إلى الحياة ؟! صار عليها ماء الحياة فذهبت تسبح في النهار عليها طاقة كالنفق *فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا *٦١* الكهف*وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا *٦٣* الكهف* هو يعجب سمكة مشوية مأكول منها كيف تمشي في البحر هذا عجب هل تُنسى هذه الحالة ؟ لا يمكن أن تُنسى فكيف نسيها؟ هذه أندر حالات النسيان.

استطراد من المقدم: هذه المواءمة الموجودة في آيات القرآن حتى البناء والحركات الإعرابية تناسب الحالة التي يتحدث عنها القرآن الكريم.

* ما اللمسة البيانية في قوله تعالى *إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *١٠* الفتح* ولم تذكر يد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ؟

د.حسام النعيمي

الآية فيها وقفة أولاً على *عليهُ الله* : هذه رواية حفص عن عاصم التي نقرأ بها وسائر القُرّاء قرأوها *عليهِ الله* . ذكرنا أكثر من مرة أن قارئ القرآن أو الراوي عنه أشبه بشريط تسجيل لا يفكر ولا يتصرف إنما يلتقط ويحفظ. عاصم أحد قُرّاء الكوفة من السبعة أقرأ حفصاً *عليهُ الله* بناء على سماعه من قبائل من العرب وأقرأ أبا بكر شُعبة *عليهِ الله* وسائر القراء أقرأوا هكذا. هذا معناه أن بعض قبائل العرب قرأوها هكذا وأقرّهم عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأذن من ربّه. وقلنا أن القراءات القرآنية هي بقايا الأحرف السبعة التي اجتمع عثمان بن عفان رضي الله عنه و١٢ ألفاً من الصحابة على إحراقها. إذن *عليهُ الله* قراءة سبعية تصح الصلاة بها.

التوجيه الصوتي: يقولون كأن هذه القبائل العربية أرادت أن تبقي لفظ الجلالة مفخّماً لأن الموضع موضع عهد فقرأت *عليهُ الله* فيها عهد حتى تفخّم اسم الجلالة ، وسائر القبائل قالت شأن هذه الكلمة شأن باقي الكلمات *عليهِ الله* وهذا الضّم ليس ابتكاراً لكن لأن الضمير في الأصل هو مبني على الضم كما نقول: منْهُ، لَهُ، كتبتُهُ، مع السكون والضم والفتح فهو مضموم إذن هذا بناؤه. *بهِ، إليهِ* هذا رعاية للكسرة التي قبله ولذلك الإعراب الصحيح لكلمة بِهِ: الباء حرف جر والهاء مبني على الضم وقد كُسِر لمناسبة الكسرة وأصلها بهُ لكنها ثقيلة * كذلك *فيهِ* مبني على الضم وقد

كُسِر لمناسبة الياء. فالذين قرأوا *عليهُ الله* أجروه على المناسبة والغاية من الحفاظ على الأصل هو تفخيم اسم الجلالة عند هؤلاء فأقرّهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - على قراءتهم بأمر من ربه *عليهُ الله* وكذلك *عليهِ الله* قراءة قرآنية يصلّى بها.

هذه الآية لها حكاية *إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *١٠* الفتح* هذا كان في صلح الحديبية لما أرسل الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أول الأمر خِراش المُزني صحابي من قبيلة مزينة ذهب لمكة ليقول للناس هناك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يأت مقاتلاً وإنما جاء معتمراً فاحتاط به الناس فحوّطه فأنجده الأحباش وكان عنده حلف من الأحباش وقالوا لا يُمَسّ بأذى لكن أخذوا البعير الذي أرسل عليه فذخب وقال للرسول فعلوا به هكذا فاستشار النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه وأراد أن يرسل عمر بن الخطاب فقال له ليس من أهل الخطاب أحد في مكة فإذا أرادوا أن يقتلوني فلا أحد ينجدني واستقر الرأي على عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن عنده بنو أمية يملأون السهل والجبل وهم حكام قريش قبل وبعد الإسلام فقال عثمان أنا أذهب. فذهب واستقبله أبان إبن سعيد بن العاص من كبار الأمويين وأركبه على دابته وجاء به إلى دار الندوة ولا أحد يتكلم مع عثمان فقالوا له: يا عثمان طُف بالبيت إذا أردت أما محمد فلا، فقال عثمان: لا أطوف حتى يطوف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحن ما جئنا لقتال وإنما جئنا معتمرين. هذه الإحاطة بعثمان رضي الله عنه بعض الناس خرج وقال للرسول أحاط الناس بعثمان ولا يبعد أن يكون قد قُتِل. فدعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - للبيعة لأجل عثمان، ١٤٠٠ صحابي بايعوا، الرواة اختلفوا وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأحد الأنصار على ما تبايع؟ فقال على ما في نفسك يا رسول الله أي أياً ما كان في نفسك.

بعض الصحابة قال بايعنا على الموت وبعضهم قال ما فهمنا هذا وقالوا بايعنا على أن لا نفِرّ والعلماء قالوا المعنى واحد فالذي يقاتل ولا يفرّ كأنه يبايع على الموت فالبيعة كانت على الموت.فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان مادّاً يده ويأتي الناس ويضربون على يده فجاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بيده اليمنى وقال هذه يد عثمان إكراماً لعثمان وهذه مما أُكرِم به عثمان. وإكرام عثمان كان أولاً بتزويجه إبنتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لذا نترضى عليه وعلى جميع صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونترك ما شجر بينهم إلى الله عز وجل ولا نتطاول عليهم. فكانت هذه البيعة . البيعة كانت مع يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكن الله عز وجل أراد أن يبين للمسلمين أن البيعة هي مع الله تعالى تعظيماً لشأن البيعة وإلا يدُ الرسول - صلى الله عليه وسلم - مستعملة للبيعة حقيقة ولذلك لم تُذكر ولذلك ذكرت يد الله تعالى ولله المثل الأعلى وقلنا أكثر من مرة أن صفات الله عز وجل وكل كلام يتعلق بشأن الباري نُمِرّه كما هو ونفهمه كما تعيننا عليه اللغة . يد الله فوق أيديهم يعني هم يبايعون الله وهذا تصوير بالبيعة إفهمها كما تشاء لكن ليس بهذه الأصابع وإنما بما يليق بجلال قدره سبحانه وتعالى . منهم من يقول معانها أن قدرته فوق قدرتهم، بيعته فوق بيعتهم، رحمته فوق أيديهم، لكن هي هكذا. البيعة تكون عادة بالأيدي فقال *يد الله فوق أيديهم* أي تأكيداً لمبايعتهم لله سبحانه وتعالى وهي بيعة مع الله عز وجل إعظاماً لهذه البيعة وإكراماً لشأن المبايعين ١٤٠٠ صحابي مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راضٍ والله تعالى عنهم راضٍ.

يقول البعض أنه إذا لم تتغير الدلالة البنيوية في اللغة فإن المعنى واحد فقوله تعالى *يد الله فوق أيديهم* فطالما أن أيديهم بهذه الصورة أصابع فيكون يد الله تعالى - حاشاه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - مثل هذه اليد وإلا كان يغيّر اللفظ فيقول مثلاً قدرة الله أو حفظه أو غيرها فما رأيكم؟

الأسلوب في عرض الفكرة يختلف من حال إلى حال. هنا عندما تكون فكرة البيعة والبيعة هي في حقيقتها بيع وشراء كما قال الله عز وجل *إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١١١* التوبة * فمسألة المبايعة بيع وشراء أن الله سبحانه وتعالى إبتاع *إي اشترى * نفوسهم بالجنة . عادة العرب في المبايعة على الشيء عندما يريد أن يبايع هو أن يضع يده في يد من يبايعه. الصورة هي هي وضعت في هذا المجال لأن المسلمين بايعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - بوضع يدهم بيده - صلى الله عليه وسلم - فلما كانت صورة المبايعة بالأيدي استعمل القرآن الكريم لفظة اليد لله سبحانه وتعالى *يد الله فوق أيديهم* ولو قال قدرة الله كما هو في توجه بعض المفسرين إلى بيان المعنى ، هو نوع من التفسير أوالتوجيه، لو قال أي لفظة من هذه الألفاظ تبتعد صورة المبايعة لأن أصل البيعة تكون الأيدي لكن لما قال سبحانه وتعالى *يد الله فوق أيديهم* حُوفظ على هيكلية المبايعة ولو استعمل أي لفظ آخر تضيع الصورة ، نعم يبقى المعنى ، لا سيما في الحديث عن صفات الله تبارك وتعالى أو ذاته عز وجل المعاني ينبغي أن تفهم وفق كلام لغة العرب في ضوء *ليس كمثله شيء* .

نلاحظ مثلاً نصاً للإمام الجوزي في زاد المسير وهو يتكلم على قوله تعالى *إن الذين يبايعونك* قال يعني بيعة الرضوان في الحديبية وعلى ماذا بايعوه؟ فيه قولان: أحدهما أنهم بايعوه على الموت والثاني على أن لا يفِرّوا ومعناهما متقارب لأنه أراد على أن لا تفروا ولو متم وسميت بيعة لأنهم باعوا أنفسهم من الله سبحانه وتعالى بالجنة وكان العقد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكأنهم بايعوا الله عز وجل لأنه ضمِن لهم الجنة بوفائهم *مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا *٨٠* النساء* هذا الترابط بين طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وطاعة الله سبحانه وتعالى ، بيعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبيعة الله سبحانه وتعالى *إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله* . وقال الجوزي *يد الله فوق أيديهم* فيها أربعة أقوال: أحدها يد الله في الوفاء فوق أيديهم أن الله سبحانه وتعالى يفي لهم بما تعاهد معهم عليه رسوله - صلى الله عليه وسلم - لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الذي قال لهم نبايع على الجنة *على أن لا تفروا أو على الموت مقابل الجنة * فالله تعالى يفي لهم بذلك، هذا تعهّد من الله تعالى بذلك.

والثاني يد الله في الثواب فوق أيديهم أن الله تعالى سيثيبهم، والثالث يد الله عليهم في المِنّة والهداية أن الله تعالى هداهم ليبايعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وليس من عند أنفسهم *وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله* إهتداؤهم إلى البيعة هو من الله سبحانه وتعالى، والرابع قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم، وخلاصة عهد الله تعالى لهم بالوفاء والثواب، هذا المعنى المستنبط من جميع هذه المعاني وقلنا الصورة هي صورة المعاهدة وصورة العهد يقتضي الأيدي لكن ما ماهية يد الله سبحانه وتعالى؟ هذا نؤمن به لأنه غيب كما أخبر الله سبحانه وتعالى، لله سبحانه وتعالى يدٌ تليق بذاته ونحن نُمرُّ الآية هكذا *يد الله فوق أيديهم* بقدر ما يفهمه العربي. والعربي يفهم من هذه الصورة أن بيعته مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي بيعة مع الله عز وجل هذا الذي يفهمه وهذه هي الصورة . يد الرسول - صلى الله عليه وسلم - موجودة فعلاً في البيعة هم بايعوه وهم ضربوا على يده وهو - صلى الله عليه وسلم - ضرب بيده على الأخرى وقال هذه يد عثمان وتكلم على لسان عثمان أي بايع الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنه على الموت.

آية *١١* :

* ما الفرق بين كلمة أفواههم في قوله تعالى في سورة آل عمران *يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ *١٦٧ * وألسنتهم في سورة الفتح *سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ *١١ * ؟

د. حسام النعيمي

في كثير من الأحيان الإنسان يقف عند جزئية في بعض الآية ولا تكون ظاهرة . اللسان هو جزء من الفم والأصل في الكلام أن نقول: قال فلان كذا *قال لي ذهبت* لا نقول قال بلسانه أو قال بفيه إلا إذا أردت التأكيد فتقول : قال بلسانه. هل قال لك فلان شيء؟ تقول نعم قاله لي بلسانه، سمعت ذلك بأذني، رأيت الأمر بعيني،هذا لما يكون هناك تأكيد. والصورة الثانية لما يريد المخالفة لما في نيّة الإنسان فتقول: قال بلسانه غير ما يُبطن وغير ما يُخفي. عندنا صورتان للاستعمال: فهي إما للتأكيد أو للموازنة لما يبطنه. فقال بلسانه غير ما في قلبه *لما يكون مقابلة * . لكن لماذا يستعمل اللسان مرة والفم مرة ؟ والعلاقة بين اللسان والفم علاقة مكانية . السؤال هو: لم تستعمل هذه اللفظة بدل هذه الفظة ؟

الآية التي فيها بأفواههم *يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ *١٦٧ * اللسان جزء من الفم. أولاً عندنا قاعدة عامة : لم يذكر القول باللسان أو بالفم إلا وهو في موضع الذمّ في القرآن الكريم حصره العلماء. لكن لماذا يقول هنا أفواه ولماذا هنا ألسنة ؟ اللسان جزء من الفم معنى ذلك أن الكلمة التي تخرج من اللسان أو باللسان كلمة طبيعية . لكن بفمه كأنه يملأ بها فمه فيها إشارة إلى نوع من المقاليد، نوع من الثرثرة والتعالي ونوع من التفخيم والتضخيم، إلى الآن تقول: يملأ فمه بالكلمات، قال بالفم الملآن. هذا ليس في موضع المديح في القرآن. الكلام هنا في الآية على المنافقين *وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ *١٦٧ * هذه قبل أُحُد والآية نزلت بعد أحد. المنافق لا يريد أن يخرج وهو متعالٍ بل إن بعض هؤلاء كانت تُحاك له الخِرز ليكون ملكاً على المدينة قبل مجيء الرسول - صلى الله عليه وسلم - فبأي ترفّع وتعالٍ يقولها *لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ* يعني سوف لا يكون هناك قتال. كأنما بملء أفواههم قالها المنافقون، لم يكتفوا بأنهم قالوا *لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ* . لكن *يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم* أفواههم مليئة بهذه الكلمات. كلمات التعالي والتشدّق أن يميلوا أشداقهم بالكلمات.
منافقون يتكلمون عن قتال *لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُم* فإذن هنا تصلح *بأفواههم* . أما ألسنتهم: فالموقف كان مختلفاً. لما أراد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يذهب إلى مكة إستنفر القبائل أن تأتي معه.

لما نأتي إلى الآية الثانية *بألسنتهم* الصورة إختلفت هؤلاء الذين يقولون بألسنتهم هم من الأعراب ليسوا من المنافقين لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما ذهب للعمرة إستنفر المسلمين وإستنفر الأعراب أن يأتوا معه تحسّباً لحدوث قتال وساق الهديَ تحسباً. والأعراب كانوا خارج المدينة ومسلمين فإستنفرهم - صلى الله عليه وسلم - ليأتوا معه فهؤلاء كأنهم تخوّفوا فتخلّفوا. لما تخلّفوا وعقد الرسول - صلى الله عليه وسلم - المعاهدة ورجع ولم يلق شراً بل والمعاهدة كانت في صالح المسلمين في حقيقتها فجاءوا مخذولين أذلاّء ويرجون الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يستغفر لهم. بماذا إعتذروا؟ إعتذروا *شغلتنا أموالنا* هم لم يكن عندهم مشاغل فهؤلاء لم يكونوا يتكلمون من علو وإنما كانوا يتكلمون بإنخفاض وبنوع من المذلة يعتذرون للرسول - صلى الله عليه وسلم - *إستغفر لنا* بخلاف أولئك. أولئك كانوا يتكلمون من علو وتكبّر. هؤلاء لم تكن لديهم

صورة تكبّر وإنما أعراب تخلّفوا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو قطعاً كذب والعلماء يقولون: حيث وردت يقولون بألسنتهم أو بأفواههم فهو خلاف الحقيقة هم كانوا يكذبون لكن يكذبون بتواضع ويكذبون بذلة بخلاف أولئك يكذبون بتكبر فالذي كان يكذب بتكبّر قال *بأفواههم* لكن هؤلاء المستضعفين جاءوا مخذولين *سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا* يطلبون الإستغفار أما أولئك فلم يطلبوا إستغفاراً ولا طلبوا شيئاً. هنا لا يناسب الأفواه لأن الأفواه تأتي مع التكبّر فلو عكس يختل المعنى. لو قال للمنافقين بألسنتهم يضعف الحال ولا يصور حالهم هم كانوا متكبرين فقال بأفواههم وليس بألسنتهم. وهؤلاء كانوا معتذرين فلا تتناسب بأفواههم. الصورة لا تتناسب فكل كلمة في القرآن في مكانها.

آية *١٢* :

*يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا *٢٧* الأعراف* ماذا يقصد بالسوءة ؟ وما وجه الشبه بين هذه السوءة وظن السوء في سورة الفتح *بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا *١٢ * ؟

د. فاضل السامرائي

السوءة هي العورة .

قال *بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا *١٢* الفتح* السَوْء يعني السيء، السوْء مصدر ساءه سوءاً والسُوء هو الاسم *وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ *٢٢* طه* من غير سُوء أي من غير مرض أو علة أما السوْء فهو المصدر وهناك فرق بين المصدر والاسم مثلاً نقول الذبح والذِبح، الحمل والحِمل، الوضوء والوَضوء. الحَمْل مصدر والحِمل ما يُحمل *خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا *١٠١* طه* يحمل على الظهر، *وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ *٣١* الأنعام* أما الحَمل هو المصدر أو ما لا يرى بالعين *فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا *١٨٩* الأعراف*، الذَبح هي عملية الذَبح أما الذِبح فهو ما يُذبح كبش أو غيره *وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ *١٠٧* الصافات*، الوُضوء عملية التوضؤ والوَضوء هو الماء الذي يُتوضأ به.

آية *١٥* :

*بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا *١٥* الفتح* هل قليلاً من الفهم؟ قليلاً منهم؟

د. فاضل السامرائي

يحتمل وهي مرادة .

آية *١٨* :

* انظر آية *٤* .؟

آية *٢٤* :

* ما اللمسة البيانية في استخدام *ما* فى قوله تعالى *قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا *١٢٩* الأعراف* واستخدام *أن* فى قوله تعالى *مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ *٢٤* الفتح*؟

د. فاضل السامرائي

فعل الماضي يأتي بعد *أن* في اللغة كما جاء في قوله *مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي *١٠٠* يوسف*، *مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ *٢٤* الفتح*. لماذا هنا استخدم *ما* وهنا استخدم *أن* ؟ *من بعد ما جئتنا*ما* هذه تحتمل معنيين في اللغة هنا: الأول المصدرية والثانية الموصولة . هنا توسع في المعنى وتحتمل الأمرين. هي مصدرية بمعنى *الذي* أي من بعد الذي جئتنا به وهو الرسالة . إذن تحتمل أمرين معنيين: من بعد مجيئه هو شخصياً ومن بعد الذي جاء به من الرسالة ولذلك ما قال من بعد أن جئتنا به لتشمل المعنيين ولو قال من بعد أن جئتنا تكون تعني الموصولة لأنه يصير عائد. فهنا *ما جئتنا* ذكر أمرين لأنه كان مجيئه بالرسالة ومجئيه هو، فجمع معنيين هنا وهذا من باب التوسع في المعنى.

الفرق بين ما المصدرية وما الموصولة : السياق يحددها لكن هنالك أمر يقطع: إذا كان موجود عائد وهو الضمير الذي يعود على الاسم الموصول يقطع هذا بأنها اسم موصول. في حالة عدم وجود العائد نبحث عن المعنى هل يحتمل المصدرية أو الموصولة . *مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ *٢٣* الأحزاب*ما* هنا اسم موصول أي صدقوا الذي عاهدوا الله عليه. لو حذف في غير القرآن *عليه* لو قال: صدقوا ما عاهدوا الله يكون صدقوا عهد الله نفسه والعهد الذي عاهدوا عليه. *المزيد في باب التوسع في المعنى يمكن الرجوع إليه في كتابي الجملة العربية والمعنى* .

إذا كان كفار مكة آنذاك فهموا العربية ولم يؤمنوا بالقرآن ونحن نؤمن بالقرآن ولا نفهم العربية ألهذه الدرجة تنحدر لغتنا العربية ؟

لم تبقى لنا سليقة لأن اللغة العربية منذ زمن بعيد دخلت أقوام وصار اختلاط ألسنة وصارت اللغة تضمحل شيئاً فشيئاً وتحلّ محلها اللهجات العامية ثم هناك من يدفع لإشاعة اللهجات العامية ومحاربة اللغة العربية لأسباب كثيرة وكل جهة لها غرض لمحاربة العربية وخاصة لارتباطها بالقرآن الكريم ولم يبقى عربية في التعليم والمدارس إلا أشياء محدودة وضئيلة جداً. كان العرب يفهمون العربية لأن هذه كانت لغة العرب آنذاك يتحدثون بها. وحتى نعيد العربية إلى سليقتنا نحن نحتاج إلى جهود متضافرة وليس جهد شخص إنما جهد حكومات وجمعيات للغة العربية تكون جادّة وضرورة إفهام الناس بضرورة هذه اللغة وأنه إذا ضاعت هذه اللغة ضاع وجودهم وهنالك عدة أمور يجب أن يفهمها الناس للحفاظ على لغتهم والاعتزاز بها. واللغة العربية عجيبة وهي بالنسبة للغات الأخرى كأنها جهاز متطور ذو تقنية عالية جداً واللغات الأخرى الشائعة الآن لا تستطيع أن تعبّر عن المعاني. لو قلنا مثلاً: أعطى محمد خالداً كتاباً يقابلها في الانجليزية Mohamed gave khaled a book ولو قلنا محمد أعطى كتاباً خالداً، خالداً كتاباً أعطى محمد، وغيرها ذكرناها سابقاً، حوالي ٨ جمل كل واحدة لها معنى خاص دقيق ومعناها العام هو نفسه. عندما نضع الفعل والفاعل والمفعول الأول والمفعول الثاني على الترتيب تقولها والمخاطَب خالي الذهن ليس عنده أي معلومة عن الحادث فأنت تعطيه معلومة جديدة . عندما أقول: محمد أعطى خالداً كتاباً المخاطَب يعلم أن شخصاً ما أعطى خالداً كتاباً لكن لا يعلم الشخص المعطي فكأنه يسأل من أعطى خالداً كتاباً؟ محمد. إذا قلنا: خالداً أعطى محمد كتاباً المخاطَب يعلم أن محمداً أعطى كتاباً لكن لا يعلم لمن أعطاه فكأنه يسأل لمن أعطى محمد كتاباً؟ خالداً.

لو قلنا: كتاباً أعطى محمد خالداً المخاطب يعلم أن محمداً أعطى خالداً شيئاً لكن لا يعلم ما هو؟ لو قلنا: خالداً كتاباً أعطى محمد المخاطَب يعلم أن محمد أعطى شيئاً ما لشخص ما فتقدمهما على

العامل حتى يكون هذا المعنى . ولو قلنا: خالداً كتاباً محمد أعطى المخاطب يعلم أن شخصاً ما أعطى شيئاً ما لشخص ما، هناك عطاء لكن لا يعرف من أعطى وماذا أعطى ولمن أعطى ؟ هذه التراكيب كلها تصح نحوياً. لو قدمنا فقط على الفاعل كل واحدة لها معنى . أحياناً عندنا ٢٥ جملة في العربية أو أكثر كل واحدة لها معنى يقابلها جملة واحدة في اللغات الأخرى . هذه الجمل موجودة في الحياة كيف نعبّر عنها؟ وهذه تدخل في البلاغة والأهمية .

* ما الفرق بين مكة وبكة ؟ *د.أحمد الكبيسي*

قال تعالى في آل عمران *إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ *٩٦ * بالباء، في سورة الفتح *وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ *٢٤* الفتح* لماذا هناك بكة وهنا مكة ؟ المفسرون قالوا بكة هي مكة لكن لأنها تبك رقاب الأعداءهؤلاء المفسرون جزاهم الله خيراً والعلم والتنقيب والدراسات الجغرافية تقول غير هذا.
عندنا مكة هي أُم القرى *وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا *٩٢* الأنعام* أم القرى كانت إلى جانبه التي هي مكة ومكة ما كانت بهذه السعة كانت بلدة صغيرة أنت لما تطير الآن فوق العالم العربي يعني أنت لما تسافر من هنا إلى عمان تجد تجمعاً كبيراً خاصة في الليل بالأضواء تجد مدينة لنقل عشرة آلأف عرشين ألف ومتناثرة حولها مجموعات صغيرة من الأنوار يعني قرى صغيرة هذه القرية الكبيرة هي أم القرى مكة التي هي مكة الآن لم تكن بهذه السعة كان مكان الحرم الحالي كانت صحراء فيها ميزة معينة يسمونها بكة لم تكن بلداً كانت مكان ليس فيه بناء فيه آثار البيت والبيت بنته الملائكة ولهذا قال تعالى *وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ *١٢٧* البقرة * قال يرفع ولم يقل يبني. هذا المكان الذي فيه الحرم الآن كان يسمى بكة *إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ* بالمكان الذي هو ضاحية من ضواحي مكة القديمة وكان يبعد عنها مسافة فكان في بكة وإلى جانبه مكة ، مكة هذه هناك مكة وهناك وادي أربع وديان خمس مجموعات متناثرة كلها تدور في فلك مكة مكة هذه أم القرى المتناثرة كلها تدور في فلك مكة .

في القاهرة عندنا مصر ومصر الجديدة عندنا بغداد وبغداد الجديدة هي قطعة من بغداد لكن لم يكن فيها بناء في سنة ١٩٥٢ هذه ما كانت موجودة سابقاً ثم بنيت بعد ذلك. هناك محافظات بدأت جديدة لكن كان لها أسماء قديمة حلوان منطقة اسمها حلوان ونحن الآن في دبي هناك مناطق كثيرة كانت موجودة سابقاً ثم بنيت بعد هذا. إذن بكة التي فيها الحرم الآن كانت أرضاً خلاء لذا قال *رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ *٣٧* إبراهيم* ليس فيها أحد نهائياً لما سألت هاجر إبراهيم عليه السلام آلله أمرك بهذا؟ قال نعم قالت إذن لن يضيّعنا. إذن بكة المكان الذي بُنِيَ فيه الحرم من قبل سيدنا إبراهيم وإسماعيل ولم يكن فيه بناء لهذا قال سيدنا إبراهيم *وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا *١٢٦* البقرة * في المستقبل لما نبي الحرم قطعاً سيأتي أناس يبنون حوله سيصير بلداً اجعل هذا البلد الذي ليس هو بلداً الآن عندما كانت بكة قال له اجعل لنا هذ البلد آمنا واستجاب الله تعالى دعوة سيدنا إبراهيم كما ساتجاب دعوته أن يبعث فيهم رسولاً منهم نبياً عربياً. إذن موقع بكة الآن في هذه البقعة التي كانت بعيدة جداً عن مكة كما هي عرفة والحجون كلها كانت أماكن بعيدة عن مكة ، مكة صغير حولها سور ولهذا إذن مكة غير بكة لكن الآن توسع مكة أصبحت بكة داخل حدود مكة أصبحت بلداً بدعوة سيدنا إبراهيم.

آية *٢٥* :

*يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١* الإنسان* وفي سورة الفتح *هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء

مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٢٥* الفتح* ما دلالة تأخير وتقديم المشيئة ؟

د. فاضل السامرائي

الآية الأولى في سورة الإنسان *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * والثانية في سورة الفتح *هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٢٥ * . السياق في سورة الإنسان في غير المرحومين *فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا *٢٤ *نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا *٢٨ * إلى أن يقول *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٣١ * لما كان السياق في غير المرحومين أخّر الرحمة .

والسياق في سورة الفتح في المرحومين وفي الكلام عن الله *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا *٢٣ * الكلام عن الله *وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *٢٤ * الكلام في الصحابة *لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *٢٥* إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا *٢٦* لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا *٢٧ * هذا الكلام في المرحومين، فلما كان الكلام في المرحومين قدّم رحمته *لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء *٢٥ * ولما كان السياق في غير المرحومين أخّر رحمته. *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ *٢٨ * هذا الكلام عن الله فقدّم ما يتعلق بالله والضمير يعود إليه.

من حيث البلاغة ليس *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ *٣١ * كمثل *لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء *٢٥ * كل تقديم وتأخير له غرض عند المتكلم البليغ، عندما يتكلم عن الله *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا *٢٣ * قدّم ضميره، ولما كان الكلام على الإنسان قدّم ما يتعلق بالإنسان من يشاء الإنسان *يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ *٣١ * المشيئة لله
لكن *من* للإنسان. كأننا نفهمها يُدخل الإنسانَ الذي يشاؤه الله تعالى. الكلام *سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ* فقدّم ما يتعلق به وهناك يتكلم عن الإنسان غير المرحومين فأخّر الرحمة وعندما تكلم عن المرحومين قدّم الرحمة ، الكلام عن الله قدّم ما يتعلق به، الكلام عن الإنسان قدّم ما يتعلق بالإنسان.

آية *٢٦* :

* انظر آية *٤* .?

آية *٢٧* :

* د. فاضل السامرائي:

حال مقدرة يسموها مستقبلة لأن الحال أكثر ما تكون مقارنة قد تكون مقدرة وقد تكون محكية بحسب الزمن، الحال المحكية تكون للماضي والمقدرة للمستقبل *وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ *١١٢* الصافات* هو لم يأت بعد ولكن باعتبار ما سيكون، *لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن

شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ *٢٧* الفتح* التحليق والتقصير يكون بعد أن يتموا العمرة وليس عند الدخول. حال محكية يتكلم عن أمر قد مضى. نضرب مثالاً لو رأيت عقرب كبيرة تقول هذه العقرب تلسع صغيرة وكبيرة ، صغيرة حال وهي ماضية يعني حالة كونها صغيرة .

فأرسله معي ردءاً يصدقْني إن ترسله معي يصدقْني، أوأرسله هو يصدقُني. الضبط في الشكل هذا ما يؤثر في المعنى وهذا مما تمتاز به اللغة العربية بين اللغات الأخرى.

آية *٢٩* :

* في الفتح قال تعالى *كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ *٢٩* الفتح* وفي الحديد قال *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا* فما الفرق بين الآيتين واللمسة البيانية في كليهما؟

د. فاضل السامرائي

اختيار كل كلمة في مكانها أنسب اختيار. الزُرّاع في آية الفتح أنسب ولا يقال يعجب الكفار ليغيظ بهم الكفار، الزُرّاع أفضل. ليس هذ فقط هذا تشبيه بصورة محمودة وإنما هناك فرق بين الزُرّاع.
هذه الآية في سورة الفتح في أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - *مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا* اختار كلمة الزُرّاع لأن الزارع يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين وهؤلاء ليسوا كالذين ذكرهم *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا* غيث نزل في الأرض وخرج النبات وقد يكون فيه أدغال وحشائش لا تنفع الناس. هناك تصريح بالزُرّاع وقّيدت الآية بـ *نبات* وهو أي نبات نبت في الأرض وقال تعالى *كمثل غيث* ولم يقل مثل زارع والغيث عندما يمطر يُخرِج حشائش الأرض التي لو خرجت في حديقتك ستقلعها. في آية الفتح ذكر الزُرّاع لأن الزارع لا يزرع الحشائش وإنما يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين. ذاك كمثل غيث، الغيث أنت لا تسيطر على ما يُخرجه فقد يُخرِج مما تريد وما لا تريد. آية الفتح وقعت في صورة محمودة في تشبيه أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - *محمد رسول الله والذين معه* . ثم إن الزُرّاع كأنما هناك من زرعه فخرج أي خرج بأمر مقصود.

مثال ذلك قوله تعالى *كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ *١١٠* آل عمران* ما قال خرجت لأن ربنا أخرجها إخراجاً، هذه الأمة الإسلامية ربنا أخرجها بالصورة التي أرادها أُخرجت للناس ولم يقل خرجت من تلقاء نفسها. *خرجت* يعني خرجت من نفسها وليست برسالة ، أخرج فعل متعدي *أخرجته* ، خرج فعل لازم *خرجت من البيت* . *أُخرجت للناس* أي أن الله سبحانه وتعالى أخرجها على نمط معيّن كما يريد ولم تخرج من تلقاء نفسها كما تخرج الحشائش والأدغال في النبات. الزارع ينتقي ويعلم ما يزرع وهذه الأمة أُخرِجت إخراجاً إلى الناس ولم تخرج من تلقاء نفسها وفق منهج معين معدّ واختيار دقيق. هذه الأمة أُخرجت بهذا المنهج لهذا الغرض للناس كافة . تلك الآية خرج كما تخرج الحشائش بالغيث يُعجب من يُعجِب وأما في سورة الفتح إختار الزُرّاع يزرعون وينتقون ماذا يريدون. كنتم خير أمة أخرجت للناس أخرجها ربنا بصورة معينة ولغرض معين منهج معيّن واختيار معين وباصطفاء معين *اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ *٧٥* الحج* . هذا هو الفرق بين كمثل غيث أعجب الكفار نباته هذا تشبيه حالة مذمومة بينما آية الفتح في الثناء والمدح في وصف سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - والذين معه.

* هل كلمة الزراع جمع زارع؟

الزُرّاع جمع زارع مثل كُتّاب وكاتب وواعظ وعّاظ. وعندنا زارعون جمع وأحياناً الكلمة يكون لها أكثر من جمع مثل كلمة ساجد تُجمع على سُجّد *تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا *٢٩* الفتح* وسجود *أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *١٢٥* البقرة * وساجدين *وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ *٢١٩* الشعراء* يكون هناك أكثر من جمع للكلمة . وعندنا ميّت تُجمع على ميّتون *أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ *٥٨* الصافات* وموتى *إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى *٣٩* فصلت* وأموات *وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء *١٥٤* البقرة * كلها جمع ثم تختلف بين القِلّة والكثرة ودلالات أخرى .

* تناسب فواتح سورة الفتح مع خواتيمها*

تبدأ *إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا *١* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا *٢* وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا *٣ * وقال في آخرها *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا *٢٨ * بالهدى ويهديك ودين الحق ليظهره على الدين كله وينصرك، الهداية والنصر في الأول والهداية والنصر في الآخر، في البداية أجمل وفي النهاية وضح الهداية والنصر. *وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا *٢ *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى *٢٨ * يقصد القرآن وكأن القرآن هو هداية للناس. *وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا *٣ *وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ *٢٨ * هذا هو النصر، هذا متناسب. قال في أولها *هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *٤ * وفي آخرها *مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ* هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، الكلام عن أصحابه - صلى الله عليه وسلم - والذين معه هم المؤمنون هؤلاء نفسهم.

في أولها قال *لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا *٥ * وفي أواخرها *وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *٢٩ * الأجر العظيم تكفير السيئات والمغفرة وكأن هذه الآية توضح تلك كيفية الهداية وكيفية النصر وكيفية إنوال السكينة وكيفية تكفير السيئات وهذا ارتباط بين الآيات.

سؤال: إذا قال أحد هذا الكلام لا بد أن تتفلت منه بعض العبارات على الأقل أما أن نجده بهذه الحبكة وتلك الصياغة ؟ وليس في وقت واحد وإنما في سنوات متباعدة متفرقة تأتي آيات وتوضع كل واحدة من سورة وتوضع في مكانها فهذا ليس بكلام بشر لا نجد فيه إلا الترابط واللحمة بين البدايات والنهايات.

* تناسب خواتيم الفتح مع فواتح الحجرات*

الكلام في خاتمة الفتح عن الذين آمنوا *مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *٢٩ * وفي الحجرات خطاب لهؤلاء المؤمنين *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *١ * هناك ذكر حالتهم في حالة الحرب والسلم، آية الفتح في الحرب وآية الحجرات في السلم. يتكلم عن الحرب وما بعدها في آية الفتح هذا وصفهم في هذه الحالة ثم خاطب

هؤلاء وعلّمهم *لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *١ * . كيف تكونون معه؟ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله. وعد الله في خاتمة الفتح *وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *٢٩ * وفي بداية الحجرات *إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ *٣ * ، *مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا* - *لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* كيف يتصرفون معه - صلى الله عليه وسلم - في السلم والحرب.

سورة الحجرات

* تناسب خواتيم الفتح مع فواتح الحجرات*

الكلام في خاتمة الفتح عن الذين آمنوا *مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *٢٩ * وفي الحجرات خطاب لهؤلاء المؤمنين *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *١ * هناك ذكر حالتهم في حالة الحرب والسلم، آية الفتح في الحرب وآية الحجرات في السلم. يتكلم عن الحرب وما بعدها في آية الفتح هذا وصفهم في هذه الحالة ثم خاطب هؤلاء وعلّمهم *لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *١ * . كيف تكونون معه؟ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله. وعد الله في خاتمة الفتح *وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *٢٩ * وفي بداية الحجرات *إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ *٣ * ، *مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا* - *لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* كيف يتصرفون معه - صلى الله عليه وسلم - في السلم والحرب.

* هدف السورة : أدب العلاقات*

سورة محمد والفتح والحجرات يجمعها محور واحد وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسور الثلاثة مدنية ولكل منها هدف خاص بها نستعرضه فيما يلي كل سورة على حدة .

سورة الحجرات هي سورة تتحدث عن أدب العلاقات والتعامل مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومع المسلمين والناس عامة . وكأن الهدف من هذه الآداب والتوجيهات أنكم يا من سينزّل عليكم الفتح تأدبوا بالعلاقات مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا بالإضافة إلى الصفات التي أوردها الله تعالى في سورة الفتح *آية ٢٩* . فكأنما أراد الله تعالى أن يجمع لهم صفات العبادة والعمل مع الصفات الخلقية والذوقية حتى يكونوا أهلاً للفتح من عند الله تعالى . وقد تضمّنت السورة العديد من الآداب نستعرضها فيما يلي:

١ - الأدب مع الشرع: *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* آية ١.

٢ - الأدب مع النبي - صلى الله عليه وسلم - : *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* آية ٢ و ٣.

٣ - أدب تلقّي الأخبار: *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ* آية ٦.

٤ - أدب الأخوّة بين المؤمنين: *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ* آية ١٠.

٥ - أدب الإصلاح في حال وقوع خلاف: *وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* آية ٩ .

٦ - الآداب الإجتماعية بين المسلمين : *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ* آية ١١ و ١٢ .

٧ - أدب التعامل مع الناس بشكل عام: *يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ* آية ١٣ . وقد تأخر ذكر أدب التعامل مع الناس في السورة وهذا ليرشدنا أنه قبل أن نتعامل مع الناس بأدب علينا أن نحقق ونكتسب كل الآداب السابقة في التعامل مع رسولنا وفيما بيننا حتى نتميّز بأخلاقنا وآدابنا وحتى نترك عند الناس من غير المسلمين الإنطباع الحسن لأن الخلق الحسن قد يفتح من البلاد وقلوب العباد ما لا تفتحه الحروب والمعارك. وكم من الناس دخلوا في الإسلام بأخلاق المسلمين الفاتحين لا بالسيف.

٨ - أدب التعامل مع الإيمان ومع الله تعالى: *يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* آية ١٧.

فهذه السورة هي حقاً سورة الآداب الإجتماعية وقد سميّت بـ *الحجرات* لأن الله تعالى ذكر فيها حرمة بيوت النبي وهي الحجرات التي كان يسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهم وهذا لتربطنا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وفي هذا دلالة أيضاً على ارتباط السور الثلاثة محمد والفتح والحجرات بمحور واحد هو *محمد - صلى الله عليه وسلم - * ففي سورة محمد كان الهدف إتّباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي سورة الفتح مواصفات أتباعه وفي سورة الحجرات أدب التعامل مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمجتمع.

* من اللمسات البيانية فى سورة الحجرات*

* في سورة الحجرات الخطاب فيها تكرر ٥ مرات بـ *يا أيها الذين آمنوا* ومرة واحدة *أيها الناس* فما دلالة تغير الخطاب؟

د. فاضل السامرائي

يا أيها الذين آمنوا إذا كان يخاطب المؤمنين خاصة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ *١١ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ *١١ * ، بينما *يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا *١٣ * لما يكون الخطاب لعموم الناس *وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ* هذه ليست للذين آمنوا وإنما لكل الناس، هذا ليس خاصاً بالمؤمنين فقال يا أيها الناس، الخطاب للناس لكن الأخرى أحكام للمؤمنين.

آية *٩* :

* ما دلالة استعمال *إذا* و *إن* في القرآن الكريم؟

د. فاضل السامرائي

إذا في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله كما في الآية : *إذا حضر أحدكم الموت* ولا بد أن يحضر الموت، *فإذا انسلخ الأشهر الحرم* ولا بد للأشهر الحرم من أن تنسلخ، وقوله تعالى: *وترى الشمس إذا طلعت* ولا بد للشمس من أن تطلع وكقوله: *فإذا قضيت الصلاة * ولا بد للصلاة أن تنقضي.

وللكثير الحصول كما في قوله تعالى *فإذا حُييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها* . ولو جاءت *إذا* و *إن* في الآية الواحدة تستعمل *إذا* للكثير و *لإن* للأقلّ كما في آية الوضوء في سورة المائدة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٦} * القيام إلى الصلاة كثيرة الحصول فجاء بـ *إذا* أما كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ لذا جاء بـ *إن* .

أما *إن* فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل كما في قوله تعالى *أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا* هنا احتمال وافتراض، و *وإن يروا كِسفاً من السماء ساقطاً* لم يقع ولكنه احتمال، و *وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا* الأصل أن لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة *انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه* افتراض واحتمال وقوعه.

آية *١٢* :

* ما الفرق بين كلمة *ميت* و *ميّت* في القرآن الكريم؟

د. فاضل السامرائي

كلمة *ميت* بتسمين الياء تقال لمن مات فعلاً مثال ما جاء في سورة الحجرات *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {١٢} * ولذا جاء في القرآن الكريم تحريم أكل لحم الميتة بتسكين الياء وقد تكون حقيقة أو مجازاً. أما الميّت فقد يكون لمن مات أو من سيموت بمعنى من مآله إلى الموت حتماً كما في قوله تعالى في سورة الزمر *إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ {٣٠} * .

آية *١٤* :

* ما دلالة التذكير والتأنيث في قوله تعالى *وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٣٠* يوسف* و *قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤* الحجرات*؟

د. فاضل السامرائي

بحسب القاعدة النحوية المعروفة أنه جائز باعتبار أن جمع التكسير يجوز تذكيره وتأنيثه. يؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر وإذا كان أقل يُذكّر الفعل. ونسوة هن حاشية امرأة العزيز. كما جاء في قوله أيضاً *قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤* الحجرات* استخدم الفعل قالت مؤنثاً لأن الأعراب كُثُر. وكذلك في قوله تعالى *الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *١٨٣* آل عمران* هؤلاء مجموعة من الرسل أما في قوله تعالى *هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ *٥٣* الأعراف* المذكورون هم جميع الرسل وهم أكثر من الأولى لذا جاء الفعل مؤنثاً.

آية *١٥* :

* ما دلالة قوله تعالى *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ *١٥* الحجرات* بدون الباء مثلما جاءت فى سورة التوبة *بالله وبرسوله* ؟

د. أحمد الكبيسي

في قضية الإيمان وردت ١٢ مرة ولم تدخل الباء على أي منها لم يرد آمن بالله وبرسوله وإنما وردت بالله ورسوله، عدم دخول الباء يشير إلى أن الإيمان بالرسول نابع وهو امتداد إيماننا بالله أي أن ما بُعث به محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما هو من عند الله ولذلك لم تدخل الباء على كلمة *رسوله* لأنه لا فرق بين أن نؤمن بالله وبين أن نؤمن برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو. على صعيد آخر وجدنا أن حرف الباء قد دخلت على كلمة الرسول في قضية الكفر قال تعالى *وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ *٥٤* التوبة * وهنا دخول الباء ضروري لأن الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور وهذا كفرهم بالله أما كفرهم برسول الله ذلك أنهم كانوا يلقبون الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يُبعث بالصادق الأمين وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم فلما بُعث فيهم قالوا عنه ساحر أو مجنون *وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ *٣٦* الصافات*وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ *٤* ص* وهذا كفرهم برسول الله وبمعرفتهم له وفي هذا قال تعالى *قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ *٣٣* الأنعام*.

آية *١٨* :

* يقول تعالى *بما تعملون بصير* وفي آية أخرى يقول *بصير بما تعملون* فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية ؟

د. فاضل السامرائي

التقديم والتأخير يأتي لسبب والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور. إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام على الله سبحانه وتعالى وصفاته يقدّم صفته. من باب تقديم العمل على البصر: *وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *١١٠* البقرة * بهذا العمل بصير، إذا كان السياق عن العمل يقدم العمل على البصر وإذا كان الكلام ليس في السياق عن العمل أو الكلام على الله تعالى وصفاته يقدم صفته. *

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢٦٥* البقرة * هذا إنفاق، *وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١١١* هود*فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *١١٢* هود* الكلام على العمل فقدم العمل هذا في القرآن كله إذا كان الكلام ليس على العمل أو على الله تعالى *وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *٩٦* البقرة * ليس فيها عمل، *وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *٧١* المائدة * لا يوجد عمل، *إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* الحجرات* يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى .

* تناسب فواتح سورة الحجرات مع خواتيمها*

بدأت *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *١ * هذا مطلع السورة ، لا تقدموا معناها لا تقطعوا أمراً وتجزموا به وتجترئوا عليه قبل أن يحكم الله تعالى به. لا تذكرون حكم أو تجترئون على إصدار حكم لا تجترئوا ولا تقطعوا أمراً إلا بعد أن يحكم الله فيه وقال في آخرها *قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *١٦ * كأن الحكم قبل حكم الله كأنهم يعلمون الله. هل أنت تُعلِّم الله؟ كلا، إذن لا تقدموا. في الأول قال *إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *١ * وفي الختام *وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *١٦ * وليس هذا فقط وإنما ختمها *إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨ * سميع بصير بكل شيء وعليم بكل شيء. لا تقدّموا - أتعلّمون الله بدينكم؟ لا تقدموا أسلوب نهي واستفهام استنكاري أنكر عليهم هذا الأمر كيف يقدمون؟ هل يعلّمون الله؟ إذن لا تقدموا.

* تناسب خواتيم الحجرات مع فواتح ق*

في أواخر الحجرات ذكر المؤمنين وذكر الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم ممن أسلم وسورة ق في الكافرين، إذن المؤمنون ومن أعلن الإسلام ولم تؤمن قلوبهم .والكافرين في الحجرات بعد أن ذكر *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *١١ * قال *قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤ *

هذه حالة أخرى ، حالة الإيمان الذين خاطبهم ربهم *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا* ، وحالة الإسلام ولما يدخل الإيمان في قلوبهم *وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ* إذن هذا صنف آخر. الصنف الآخر الذي أعلن إسلامه ولم يدخل الإيمان في قلبه *يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *١٧ * ثم في ق *بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ *٢* أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ *٣ * .
إذن استوفت خواتيم سورة الحجرات وأوائل سورة ق عموم الخلق بالنسبة للإيمان: المؤمن الذي آمن والذي أسلم ولم يدخل الإيمان في قلبه والكافر.

سورة ق

* تناسب خواتيم الحجرات مع فواتح ق*

في أواخر الحجرات ذكر المؤمنين وذكر الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم ممن أسلم وسورة ق في الكافرين، إذن المؤمنون ومن أعلن الإسلام ولم تؤمن قلوبهم. والكافرين في الحجرات بعد أن ذكر *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *١١ * قال *قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *١٤ *
هذه حالة أخرى ، حالة الإيمان الذين خاطبهم ربهم *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا* ، وحالة الإسلام ولما يدخل الإيمان في قلوبهم *وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ* إذن هذا صنف آخر. الصنف الآخر الذي أعلن إسلامه ولم يدخل الإيمان في قلبه *يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *١٧ * ثم في ق *بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ *٢* أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ *٣ * .
إذن استوفت خواتيم سورة الحجرات وأوائل سورة ق عموم الخلق بالنسبة للإيمان: المؤمن الذي آمن والذي أسلم ولم يدخل الإيمان في قلبه والكافر.

* هدف السورة : إختيار طريق الجنّة أو طريق النار*

السورة مكّية وقد بدأت بالقسم بالقرآن الكريم الذي يكذب به المجرمون. وفيها تعرض الآيات طريق النار وطريق الجنة عن طريق حوار في الآيات بين الملائكة وأهل النار والعياذ بالله *وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ* آية ٢٣ إلى *يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ* ٣٠. وبينهم وبين أهل الجنة جعلنا الله تعالى منهم *وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ* آية ٣١ إلى *لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ * ٣٥ - ونلاحظ بلاغة التعبير القرآني في قوله تعالى *يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد* وبين قوله تعالى *وأزلفت الجنة للمتقين* فالنار تقول هل من مزيد دليل على سعة جهنم وأنها تتسع لكل المجرمين والكفار لو ألقوا فيها، أما الجنة فقد أدنيت من المؤمنين المتقين حتى تكون بمرأى منهم زيادة في إكرامهم. فبعد هذا التصوير الدقيق يا ترى ماذا نختار؟؟

وفي السورة أيضاً عرضت الآيات للنوازع الثلاثة التي قد تؤثّر على الإنسان وتؤدي إلى هلاكه:

وسوسة النفس البشرية : *وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ* آية ١٦.

وسوسة الشيطان: *وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ* آية ٢٣.

الغفلة : *إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ* آية ٣٧.

وتختم الآيات في هذه السورة بتذكرة الناس بالقرآن الكريم لأن فيه التذكرة لمن خاف عذاب الله وأراد أن يتّقيه فينجو بفضل الله تعالى *نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ * آية ٤٥ .

ثم هناك أمر آخر انتبه له القدامى في السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة وهي أن هذه الأحرف تطبع السورة بطابعها فعلى سبيل المثال: سورة ق تطبع السورة بالقاف *القرآن، قال، تنقص، فوقهم، باسقات، قبلهم، قوم، حقّ، خلق، أقرب، خلقنا، قعيد، وغيرها* .

* من اللمسات البيانية فى سورة ق*

آية *١* :

* ما اللمسة البيانية في عدم ذكر جواب القسم فى أوائل سورة ق؟

د. فاضل السامرائي

جواب الشرط يُحذف في القرآن كثيراُ للتعظيم وهذا ورد كثيراً في القرآن كما في قوله تعالى *وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ *٣١* سبأ* وقوله تعالى *إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ *١* الانشقاق*وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ *٥٠* الأنفال* وذلك حتى يذهب الذهن كل مذهب وهذا أمر عظيم.

جواب القسم ليس بالضرورة أن يُذكر بحسب الغرض منه فإذا اقتضى أن يُجاب القسم يُجاب *فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً {٦٨} مريم*وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {٣٨} النحل* وقد يُحذف إما للدلالة عليه أو للتوسع في المعنى فيحتمل المعنى كل ما يرد على الذهن وهذا في القرآن كثير *ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ {١} * لا يوجد جواب للقسم في سورة ق وكذلك في سورة ص *ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ {١} * لا نجد جواباً للقسم حُذف لاحتمال كل ما يرد في سياق الآيات فلا يريد تعالى جواباً بعينه لكنه يريد أن وسع المعنى.

آية *٢* :

* قال تعالى في سورة ق *بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ *٢ * وفي سورة هود *قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ *٧٢ * وفي سورة ص *أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ *٥ * مادلالة اختلاف هذه الصيغ؟

د. فاضل السامرائي

أولاً صيغ العربية ودلالتها ثم التوكيد وعدمه. عجيب تدخل في صيغ المبالغة أو صفة المشبّه *فعيل، فعال، فُعّال* صيغة فُعّال من حيث المبالغة أكثر من فعيل نقول هذا طويل فإذا أردنا المبالغة نقول طوال. فعيل صفة مشبهة أو مبالغة ، فعال أبلغ من فعيل باعتبار مناسبة لمدّة الألف ومناسبة لمدّة الصوت أحياناً صوت الكلمة يناسب المعنى فمدّة الألف أكثر من الياء فجعلوها للصفة الأبلغ. عُجاب أبلغ من عجيب.

مسألة التوكيد وعدم التوكيد أخبر عن العجيب لكنه غير مؤكد في الأولى ثم الثانية آكد.

لو عدنا إلى الآيات في الأولى *بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ *٢* عجبوا أن جاءهم منذر منهم فجاء بلفظ *عجيب* والثانية أن امرأة عقيماً وعجوز وبعلها شيخ فكيف تلِد والعقيم أصلاً لا تلِد ولو كان رجُلُها فتى فهي عقيم وعجوز وفي الآية من دواعي العجب ما هو أكثر من الآية الأولى لذا دخل التوكيد بـ *إنّ واللام* تأكيدا العجب ناتج عن أن مُثير العجب أكثر. أما في سورة ص *أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ *٥ * هم عجبوا أن جاءهم منذر منهم أولاً ثم عجبوا أن جعل الآلهة إلهاً واحداً فصارت دواعي العجب أكثر من سورة ق التي تعجبوا فيها من أن جاءهم منذر منهم فقط. إضافة إلى ذلك في سورة ص هناك أمر آخر هو جعل الآلهة إلهاً واحداً وهو مشركون عريقون في الشرك فقاتلوه بسبب كلمة التوحيد فالعجب أكثر بعد وصفه بأنه ساحر وكذّاب فجاء بلام التوكيد وجاء بالصفة المشبهة المبالغة عُجاب.

آية *٦* :

* ما الفرق بين *فوقهم* و *من فوقهم* ؟

د. فاضل السامرائي

من تفيد ابتداء الغاية يعني ليس هناك فاصل لما قال فوقهم تحتمل المسافة القريبة أو البعيدة *أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ *٦* ق* كم بينك وبين السماء؟! كثير، ما قال من فوقهم لا يصح. *أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ *١٩* الملك*، *وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا *١٠* فصلت*.

آية *١٣* :

* في أماكن قال آل لوط وفي أماكن قال قوم لوط وفي أماكن قال إخوان لوط، لماذا قيلت كل واحدة في مكانها؟ هل كان يمكن أن يقول قوم لوط في جميع المواطن؟ لِم هذا التنويع؟

د. حسام النعيمي:

التنويع ليس مع لفظة لوط فقط وإنما مع أنبياء آخرين مثل مع هود عندنا قوم هود وأخاهم هود وأخوهم هود، قوم صالح وأخاهم صالح وأخوهم صالح بحسب مواضعها.

لكن لما نأتي إلى الآية *كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ *١٢* وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ *١٣* وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ *١٤* ق* هناك نوع من التناسق في هذه الآية تناسق المواضع: عندنا كلمة قوم تكررت مرتين وكلمة أصحاب تكررت مرتين وجاءت كلمة إخوان كأنها مرحلة وسط بين هذه وهذه بمعنى لو قيل في هذا المكان *وقوم لوط* ستكون قوم تكررت ثلاث مرات وأصحاب تكررت مرتين، الآية ١٢ فيها قوم وأصحاب والآية ١٤ فيها قوم

وأصحاب والآية ١٣ في الوسط جاءت إخوان كأنها توازن من حيث الموازنة اللفظية ، فإذن هي نوع من الموازنة وإخوان لوط هم قوم لوط، هذه واحدة .

لما ننظر شيئاً آخر وهو الجانب الصوتي نلاحظ أنه في الآية ١٣ *وعاد وفرعون وإخوان لوط* على طريقة التحليل نجد أنها مكونة من ١٢
مقطعاً *و/عا/دٌ/وا/فر/عو/ن/و/إخ/وا/ن/لوط* والآية التي قبلها لو أخذنا اثني عشر
مقطعاً *قو/م/نو/حٍ/و/أص/حا/بر/رس/س/و/ث/مود* هذا التجانس الصوتي نجد أن عندنا مقاطع كثيرة بنفس العدد: ٥ مقاطع قصيرة هنا، ٥ مقاطع قصيرة هنا والمقاطع الطويلة : ٤ مقاطع طويلة مغلقة في الآية الأولى و٤ مقاطع طويلة مغلقة في الآية الثانية ونجد مقطعين طويلين مفتوحين مكون من حرف وحركة طويلة وهي *نو - حا* يقابلها *عا - وا* في الآية الثانية . *نو* طويل مفتوح و *حا* طويل مفتوح يقابله *عا* و *وا* لو أنه كان في غير القرآن بدل *وإخوان لوط*و/إخ/وا/ن/لوط* قال *وقوم لوط*و/قو/م/لوط* سيسقط مقطع طويل مفتوح فيكون تخلخل في تناسق الصوت سيكون عندنا ٥ مقاطع قصيرة ، ٥ مقاطع قصيرة ، ٤ مقاطع طويل مغلق - ٤ مقاطع طويل مغلق، هنا سيكون مقطعان طويلان مفتوحان وهنا مقطع طويل مفتوح ويكون في هذه الآية ١١ مقطعاً وفي الثانية ١٢ مقطعاً يختل عدد المقاطع لو قيل *وقوم لوط* سيسقط مقطع طويل مفتوح. هذا التناسق سيفوت عند ذلك. فإذن إختيار كلمة وإخوان لوط هنا أولاً فيه فائدة في الفصل بين الآيتين *أصحاب وقوم هنا وأصحاب وقوم هنا وإخوان في الوسط* ، والأمر الثاني في هذا التناسق هي الصوت بالنسبة للمقاطع الطويلة المفتوحة وفي عدد المقاطع. لذلك نحن نقول هذا الاهتمام أو هذه العناية وتغيير الكلمة هنا بكلمة أخرى ليس من أجل الأرقام وإنما من أجل المعنى ، محاولة الربط من حيث المعنى ومن حيث الجانب الصوتي.

الفرق اللغوي بين قوم وأصحاب والآل وإخوان:

قوم الرجل هم أهله بالصورة الواسعة يقال فلان من قوم كذا،وقد يكون القوم أوسع من القبيلة ،العرب قوم.وقد يُطلق على القبيلة أنها قوم فلان.

الآل هم الأهل المقربون الذين هم أقرب الناس ومن معانيه الزوجة ومن معانيه الأتباع، أتباع الرجل آله، أتباعه الذين تبعوه كُثُر لكن قومه أكثر من الآل، قوم أوسع.

الإخوان أقرب من الآل لأن الآل قد يكون فيها الأتباع *النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ *٤٦* غافر* أي أتباعه.

الأهل:هم المقربون بل إن القرآن استعمل الأهل فى الزوجة على أنه يمكن أن تطلق على الذرية أوالأقارب بحسب الحديث المشهورحديث أم سلمة .

الكلمات فيها فوارق ولكن بحسب السياق فلو جئنا لكل آية استعمل فيها قوم هنا واستعملت كلمة آل هنا، بالنسبة لآل لوط لم تستعمل إلا في الثناء عليهم فقط، لما يثني عليهم ولما يذكرهم بخير يستعمل كلمة آل ولا يستعمل كلمة قوم.

د. فاضل السامرائي :

قوم لوط في معاصيهم لا يشبهون معاصي قوم أي نبي آخر، حالة خاصة وهي حالة إتيان الذكور من العالمين *وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ *٨٠* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ *٨١* الأعراف* هذه لم ترد في الأنبياء

الآخرين وما سبقهم بها من أحد. في قصة سيدنا لوط ما قال لهم كما قال الأنبياء الآخرون *اعبدوا الله ما لكم من إله غيره* مع أنه في سورة الشعراء قال كما قال الأنبياء الآخرون *فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *١٦٣* الشعراء* لكن التركيز على هذه الفاحشة إتيان الذكور من العالمين وهذه المعصية قضية خاصة بالذكور لا بالإناث، خاصة بالذكور وإخوان لوط ذكور وليست أخوات، الرجال، الذكور يأتون الذكور بخلاف الأقوام الأخرى التي هي عامة ولا يقول قوم لأن هذا يدل على العموم، عموم القوم أما إخوان لوط فالتركيز على هذه المسألة *إتيان الذكور* فقال إخوان لوط لا إخوان صالح أو إخوان هود.

قوم لوط وردت في العقوبة صحيح أن الفاحشة عمّت الذكور لكن القوم كذبوا وحتى النساء كذبت، وما وردت كلمة قوم لوط في القرآن إلا في عقوبة القوم وبعدها تأتي الآيات أنه أهلكهم، والعقوبة لا تخص الذكور وإنما هي عامة . أصل المسألة أن هذه المعصية *إتيان الذكور* ما سبقهم بها من أحد فقال إخوان لوط ولم يذكر عقوبة وإنما قال *فكيف كان وعيد* لكن كل المواطن التي ورد فيها قوم لوط يذكر بعدها العقوبة والعقوبة لا تخص الذكور وإنما القوم كلهم. فكلمة قوم لوط وردت في العقوبة لأن العقوبة عمّتهم.

*كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ *١٤* ق* لماذا لم يقل كذبوا ؟

د. فاضل السامرائي

* كل* لها قواعد في التعبير. *كل* إذا أضيفت إلى نكرة هذا يراعى معناها مثل *كل رجل حضر*كل امرأة حضرت*كل رجلين حضرا* إذا أضيف إلى نكرة روعي المعنى وإذا أضيفت إلى معرفة يصح مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى ، مثال: *كل اخوتك* اخوتك جمع يجوز أن يقال كل إخوتك ذاهب ويقال كل إخوتك ذاهبون، يجوز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى . إذن إذا أضيفت إلى نكرة روعي المعنى كل رجل حضر، كل رجلين حضرا، كل امرأة حضرت. *كل* لفظها مفرد مذكر ومعناها تكتسبه بحسب المضاف إليه. إذا أضيفت لنكرة يراعى المضاف إليه وإذا أضيفت لمعرفة يجوز مراعاة اللفظ والمعنى . نوضح القاعدة : كل الرجال حضر وكلهم حضر، إذا قطعت عن الإضافة لفظاً جاز مراعاة اللفظ والمعنى *كلٌ حضر*كلٌ حضروا* يجوز، *وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ *٢٨٥* البقرة *كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ *٣٣* الأنبياء*كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ *١٤* ق* مجموعة قوم نوح وعاد وفرعون قال كلٌ كذب الرسل، *كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ *١١٦* البقرة * . إذن من حيث القاعدة النحوية أنه إذا قطعت عن الإضافة هذا سؤال *كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ* لفظاً جاز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى يمكن أن يقال كلٌ في فلك يسبح وكلٌ في فلك يسبحون لكن هل هنالك اختلاف في المعنى في القرآن ليختار هذا أو ذاك؟ هذا هو السؤال. من حيث اللغة جائز. القرآن استخدم الاثنين *كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ *٩٣* الأنبياء*كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ *٨٤* الإسراء*كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ *١٤* ق* . مما قيل في هذا الخلاف قال: الإخبار بالجمع يعني عندما يقول قانتوت حاضرون يسبحون يعني كلهم مجتمعون في هذا الحدث ولما يفرد يكون كل واحد على حدة ليسوا مجتمعين. لما يقال كلٌ حضروا يعني مجتمعون ولما يقال كلٌ حضر يعني كل واحد على حدة .

قال تعالى *كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ* كلهم يسبحون في آن واحد، *كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ* يوم القيامة كلهم مع بعضهم، *قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ* كلٌ على حدة ، *كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ* كلٌ على حدة كل واحد في أزمان مختلفة .

سؤال: هل هي لغوية معروفة أو خصوصية في القرآن الكريم؟

أصل اللغة ما ذكرنا والقرآن كسى بعض الكلمات دلالات خاصة به في سياق القرآن.

آية *١٨* :

*مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ *١٨* ق* رقيب عتيد كيف يسجلا أعمالنا؟

د. فاضل السامرائي

هنالك ملكان يسجلان ما يلفظ من قول تسجيل الأقوال الرقيب الذي يراقب كل حرف وكل كلمة وقيل كل عمل والعتيد هو الحاضر المهيأ *وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ *٢٣* ق* عتيد يعني حاضر، *وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً *٣١* يوسف* أي أحضرت، عتيد معناه حاضر مهيأ، إذن رقيب عتيد ملكان أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات كل لفظة تصدر منه يكتبها هاذان الحسنة يكتبها أحدهما والآخر يكتب الآخر وقلوا ملك الحسنات هو الآمر الأول فيقال أنه إذا تكلم الشخص بكلمة فأراد أن يكتبها فيقال له تريث لعله يستغفر فإن لم يستغفر يقال له اكتبها، إذن رقيب عتيد هما ملكان لكل واحد، كل شخص هنالك ملكان موكلان به يكتب أحدهما الحسنات والآخر السيئات وهاتان صفتان للملكين. كل الملائكة رقيب عتيد فيكف يكون عَلَم؟ رقيب عتيد هذه صفة ، العَلَم ما أطلق شيء ولم يتناول غيره ما أشبهه، كل واحد عنده رقيب عتيد فيكون يكون علماً؟ العَلَم يكون خاصاً. رقيب عتيد صفة رقيب من المراقبة كل حركة يراقبها وليس فقط كل قول، والآخر عتيد مهيأ حاضر لهذه المسألة إذن رقيب صفة مراقبة وعتيد من الحضور التهيأة كل واحد له هذان أحدهما موكل بكتابة الحسنات والآخر بكتابة السيئات ما يلفظ من قول إلا كتبه أحد هذين الملكين.

آية *٢٣* :

* هل يمكن توضيح ما هو القرين؟

د. فاضل السامرائي

قد يكون من الإنس ومن الجن كما وضح ربنا تعالى والقرين هو المصاحب. *قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ *٥١* يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ *٥٢* أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ *٥٣* الصافات* هذا إنس، *فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ *٥٥* قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ *٥٦* وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ *٥٧ * هذا شيطان إنس. *وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ *٣٦* الزخرف* هذا من الجن، *وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا *٣٨* النساء*وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ *٢٥* فصلت* قد يكون من الإنس وقد يكون من الجن. *وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ *٢٣* ق* يجوز من الإنس والجن لكن الدلالة واحدة وهي المصاحبة .

آية *٢٥* :

* في سورة ق *مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ {٢٥} ق* وفي سورة القلم يقول *مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ {١٢} القلم* ما الفرق بينهما؟ *د. أحمد الكبيسي*

معتدٍ مريب رجل هذا مجرم يعني هو حيثما إذا قال كلامك إذا أحبك إذا صافحك هو مريب ولا يمكن أن تستقر إليه لماذا؟ لأنه كل حركاته إثم، رجلٌ يتتبع الإثم في القول والعمل والفعل وبالتالي بعد

كونه مريباً يحقق هذه الريبة بإثم فهو مناع للخير معتدٍ مريب أولاً ثم يطور إلى مناع للخير معتدٍ أثيم.

آية *٣٦* :

*** في سورة ق *وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ *٣٦**
*** لم عبّر عن الأمم الذين أُهلِكوا بالقرن؟**

د. فاضل السامرائي

ما هو القرن؟ أحد معانيه مائة عام وليس هو المعنى الوحيد. القرن هو القوم من الناس الذين يعيشون في زمن واحد، أي مجموعة من الناس يعيشون في زمن واحد يسمون القرن، في كتب اللغة القرن أهل زمان واحد.

إذا ذهب القرنُ الذي أنت فيهِمُ وخُلِّفت في قرنٍ فأنت غريب

إذا ذهب الناس الذين تعرفهم وعشت بينهم ونشأت بينهم وخلّفت في قوم آخرين فأنت غريب. إذن القرن ليس معناه فقط مائة سنة وإنما هذا أحد معاني القرن. القرن هم القوم المقترون في زمن واحد، الذين يعيشون في زمن واحد.

آية *٣٨* :

*** ما الفرق بين النصب واللغوب؟**

د. فاضل السامرائي

النصب هو التعب والإعياء واللغوب هو الفتور وهو نتيجة النصب، نيجة النصب يفتر الإنسان. النصب أولاً ثم اللغوب. النصب تعب ثم نتيجة الإعياء يحصل فتور. وقسم من أهل اللغة يفرّق يقولون النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس. قال تعالى *وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ *٣٨* ق* يعني أيّ فتور. في الجنة قال *الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ *٣٥* فاطر*. *وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ* ما مسنا من لغوب يعني حتى الفتور ما مسّنا فكيف بالنصب؟! الشيء القليل ما مسنا فما بالك بالكثير؟ في التوراة قالوا خلق الله السماء والأرض في ستة أيام ثم تعب فارتاح يوم السبت!.

آية *٤٠* :

*** ما الفرق بين إدبار وأدبار؟**

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة ق *وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ *٤٠ * وقال في سورة الطور *وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ *٤٩ * .

الأدبار جمع دُبّر بمعنى خلف كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة أي بعد انقضائها وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ *١٥* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ *١٦* . أما الإدبار فهو مصدر فعل أدبر مثل أقبل إقبال والنجوم ليس لها أدبار ولكنها تُدبر أي تغرُب عكس إقبال.

* تناسب فواتح سورة ق مع خواتيمها*

السورة الخمسون، خمسون سورة متتابعة فيها تناسب وتناغم بين البدايات والنهايات. أولها *ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ *١ * وآخرها *فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ *٤٥ * يذكر القرآن في البداية والنهاية . *وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ* هذا قَسَم. في البداية قال *أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ *٣ * رجع بعيد يعني رجعهم إلى الدنيا بعيد لا يقتنعون بالحياة أن يرجعهم إلى الحياة وقالوا *وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ *١٠* السجدة *. *ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ* رجع أي أن يرجعهم إلى الحياة هذا أمر بعيد بالنسبة لهم. وقال *يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ *٤٤ * يوم تشقق الأرض عنهم معناها البعث، الآية *يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ *٤٢* إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ *٤٣* يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ *٤٤ * وهم قالوا *ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ* ، *ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ *٤٤ * وهذه مقابل *ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ* هذه مرتبطة وكأنها تكذيبهم فيما ذهبوا إليه من مزاعم. قال في البداية *أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ *٦ * وقال في النهاية *وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ *٣٨ * ما مسنا من لغوب لا كلل ولا فتور، لغوب أي كلل وفتور وفعلها لَغَب. أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وما مسنا من لغوب، هذا ارتباط وثيق.

* تناسب خواتيم ق مع فواتح الذاريات*

خاتمة سورة ق في يوم الحشر وكذلك في أول الذاريات. في أواخر ق قال *وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ *٤١* يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ *٤٢ * وفي الذاريات *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ *٥* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ *٦ * كأنما استكمال لـ ق. واستمر في الذاريات ذكر عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين *يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ *١٢* يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ *١٣ *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *١٥ * كذلك في ق ذكر الصنفين *أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ *٢٤ * تقابل المكذبين *يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ *١٢* يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ *١٣ * . *أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ *٢٤ * في مقابل الكفار يسألون أيان يوم الدين *يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ *١٢* يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ *١٣ * ، ألقيا في جهنم - يوم هم على النار يفتنون. ثم ذكر *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *١٥ * مقابل *وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ *٣١ * في سورة ق، المشهد هؤلاء الحشر في الآيتين ثم ذكر الصنفين الكفار والمؤمنين في الآيتين وجزاء كل منهما.

سؤال: هل يمكن للدكتور أن يشرح عن الملكين رقيب وعتيد وكيف يسجلا أعمالنا؟

هما ملكان، هذه صفتهما، رقيب يرقب قوله وفعله ويكتب ما كان خيراً أو شراً فإذا كان خيراً فهو صاحب يمين وعتيد يعني حاضر مهيأ، العتيد يعني الحاضر *وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً *٣١* يوسف* يعني جهزت، عتيد يعني جاهز للكتابة ، رقيب وعتيد وصفان لملك هناك ملكان عن يمين وعن يسار لكن كلاهما رقيب عتيد كلاهما مهيأ ويكتب. كيف يكون علماً وكل المليارات من البشر؟ إذن هذا وصف للملك.

سورة الذاريات

الجزء السابع والعشرين

الهدف العام: قضية الاختيار

هذا الجزء يشتمل على ثماني سور يجمعهم محور واحد وتتفرد كل منهم بهدف من أهداف المحور الرئيسي للجزء كلّه. بعد أن عرضت الأجزاء السابقة في القرآن الكريم للمنهج يأتي هذا الجزء والذي يخيّرنا الله تعالى بين أمور عدة علينا أن نحسن الإختيار حتى نفوز في النهاية . وقد عرضت السور والآيات عدة طرق للإختيار منها: طريق إرضاء الله وطريق إغضابه، وطريق الجنة وطريق النار، وطرق النعم وطريق النقم، وطريق الرزق وغيرها والمطلوب منك أيها المسلم المؤمن أن تحسم أمرك وتختار بعد أن عرفت عن كل هذه الإختيارات ما يعينك على حسن الإختيار. وهذا الجزء كله يركّز على التذكرة بالآخرة وفيه اسلوب ترقيق القلوب الذي هو من أنجح الأساليب في الدعوة وتطهير القلوب والنفس البشرية . والسور كلها مكّية ما عدا سورة الحديد فهي مدنية . وأربع منها ابتدأت بالقسم *ق، الطور، النجم، الذاريات* .

سورة الذاريات

* تناسب خواتيم ق مع فواتح الذاريات*

خاتمة سورة ق في يوم الحشر وكذلك في أول الذاريات. في أواخر ق قال *وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ *٤١* يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ *٤٢ * وفي الذاريات *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ *٥* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ *٦ * كأنما استكمال لـ ق. واستمر في الذاريات ذكر عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين *يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ *١٢* يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ *١٣ *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *١٥ * كذلك في ق ذكر الصنفين *أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ *٢٤ * تقابل المكذبين *يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ *١٢* يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ *١٣ * . *أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ *٢٤ * في مقابل الكفار يسألون أيان يوم الدين *يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ *١٢* يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ *١٣ * ، ألقيا في جهنم - يوم هم على النار يفتنون. ثم ذكر *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *١٥ * مقابل *وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ *٣١ * في سورة ق، المشهد هؤلاء الحشر في الآيتين ثم ذكر الصنفين الكفار والمؤمنين في الآيتين وجزاء كل منهما.

* هدف السورة : العطاء والمنع بيد الله تعالى *

هذه السورة مكيّة أيضاً وتبدأ بالقسم بالذاريات *وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا* آية ١ إلى ٤، فالذاريات: هي الريح الشديدة التي تفتت السحاب المحمّل بالمطر فتمنعه عن الإنزال، والحاملات: هي الرياح التي تدفع السحاب ليتجمّع وينزل المطر بإذن الله وهذ دليل قدرة الله تعالى أنه مرّة يسخّر الريح لتفرق السحاب ومرة لتجمعه، الجاريات: هي الفلك تجري في البحر بدفع الرياح لها تجلب الرزق للناس، المقسمات: هي الملائكة التي أمرت أن تقسم أرزاق العباد. فالجأ إلى الله لأنه هو الذي يعطي الرزق أو يمنعه بأمره وقدرته. تتحدث الآيات كلها عن رزق الله ولهذا جاءت فيها الآية المحورية *وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ* آية ٢٢ - حتى ورود قصة سيدنا إبراهيم في السورة جاء ليخدم الهدف وهو الرزق فركّزت على رزق الله تعالى له

بالغلام بعد سنين طويلة لأن الأولاد هم من رزق الله وعطائه سبحانه، ثم إكرام إبراهيم لضيفه *فراغ إلى أهله* دليل الكرم، ثم جاء لهم بعجل سمين وهذا من باب الكرم والرزق والعطاء

وتختم الآيات بأنه إذا كان العطاء والمنع من الله تعالى ففروا أيها الناس إليه *فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* آية ٥٠، وتأتي الآية محورية في السورة *مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ* آية ٥٧ و ٥٨ فالرزق من عند الله وعلينا الإختيار بين من يعطي الرزق ومن لا يملك الرزق.

* من اللمسات البيانية في سورة الذاريات*

آية *٥* :

* ما دلالة فصل *إنما* في آية سورة الأنعام *إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ *١٣٤ * بينما جاءت موصولة في آية سورة الذاريات والمرسلات؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الأنعام *إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ *١٣٤ * وقال في سورة الذاريات *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ *٥ * وفي سورة المرسلات *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ *٧ * .

هذا السؤال عائد إلى خط المصحف *الخط العثماني* وليس عائداً لأمر نحوي، وحسب القاعدة : خطّان لا يُقاس عليهما خط المصحف وخط العَروض. وفي كتابتنا الحالية
نفصل *إن* عن *ما* وحقُّها أن تُفصل.

ابتداء يعود الأمر إلى خط المصحف سواء وصل أم فصل لكن المُلاحظ الغريب في هذه الآيات كأنما نحس أن للفصل والوصل غرض بياني. لو لاحظنا في آية سورة الأنعام *إِنَّ مَا تُوعَدُونَ* فصل وفي الذاريات وصل *إِنَّمَا تُوعَدُونَ* وفي المرسلات وصل *إِنَّمَا تُوعَدُونَ* فلو لاحظنا الآيات نجد أنه تعالى لم يذكر في سورة الأنعام شيء يتعلّق بالآخرة أو متصلاً بها وإنما تكلم بعد الآية موضع السؤال عن الدنيا *قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ *١٣٥* وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ *١٣٦ * ففصل ما يوعدون عن واقع الآخرة . بينما في سورة الذاريات وصل الأمر بأحداث الآخرة *وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ *٦ * والكلام في السورة جاء عن أحداث الآخرة فوصل *ما توعدون* بأحداث الآخرة فكأنما الفصل لفصل بين ما يوعدون وأحداث الآخرة وكذلك في سورة المرسلات دخل في أحداث الآخرة . فلمّا فصل الأحداث الآخرة عن ما يوعدون فصل *إن ما* ولمّا وصل الأحداث مع ما يوعدون وصل *إنما* وكذلك ما جاء في قوله تعالى في قصة موسى وفرعون *وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى *٦٩* طه* السحرة صنعوا وانتهى الأمر، وكذلك قوله تعالى *وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ*الأنفال* هم غنموا وانتهى الأمر فوصل وتكلم عن شيء فعلوه. فكأنها ظاهرة غريبة وكأن الكاتب الذي كتب المصحف لحظ هذا وما في الفصل والوصل هذا والله أعلم.

وقد سبق أن تكلمنا عن الفصل والوصل في *لكيلا* و *لكي لا* في إجابتنا عن سؤال سابق.

ما الموصولة هنا تختلف عن *إنما المؤمنون إخوة * التي هي ما الكافة والمكفوفة التي توصل مع *إن* .

آية *٢٢* :

*** ما المقصود بـ *توعدون* في الآية *وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ *٢٢* الذاريات* هل هي تعني الجنة والنار في السماء؟**

د. فاضل السامرائي

***وما توعدون* قسم قال ما توعدون من خير وشر أي المقدرات هي في السماء باعتبارها كتبت كلها في السماء *في اللوح المحفوظ* كل ما كان وما سيكون إلى يوم الدين فهي في السماء إذن فهي ما توعدون من خير وشر وكله مدوّن في السماء. قسم قال الجنة والنار وقسم جعلها جملة جديدة *وَمَا تُوعَدُونَ *٢٢* فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ *٢٣ * أي كل ما توعدونه وكل ما وعدتم به ووعدكم الرسل وكل ما جاء على ألسنة الرسل ورب السماء والأرض إنه لحق فأقسم على أنه حق، على ما وعدوا به فجعل *ما توعدون إنه لحق* وأقسم على ذلك. فإذن فيها احتمالات وكلها مقبولة . أليس ما نوعد به مدون في السماء؟ بلى، إذن يحتمل هذا الشيء والجنة في السماء والرسول - صلى الله عليه وسلم - رأى الجنة والنار عندما عُرِج به وهو أيضاً هو حق ولكن يبدو لي أنه الجنة والنار أي ما توعدون من جنة أو نار والله أعلم وإن كانت كل الاحتمالات مقبولة . أليست الجنة والنار من الرزق؟ *وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ* إما يكون مدوناً في السماء أو المطر الذي ينزل من السماء ويعتبر من الرزق. "لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها" إذن هي مدونة .**

آية *٢٤* :

*** في سورة الذاريات *هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ *٢٤ * كلمة ضيف جاءت بالمفرد مع أن الملائكة مكرمين يعني جمع؟**

د. فاضل السامرائي

كلمة ضيف تقال للمفرد وللجمع في اللغة مثلها كلمة خصم تقال للمفرد وللجمع *وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ *٢١* ص* وهذه ليست مختصة بالإفراد. وكذلك كلمة طفل تأتي للمفرد وللجمع عندنا كلمات في اللغة تأتي للمفرد وللجمع. وكذلك كلمة بشر *فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ *٢٤* القمر* مفرد *بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ *١٨* المائدة * جمع. عندنا كلمات تكون للمفرد وللجمع منها كلمة ضيف تكون للمفرد وللجمع. عندنا ضيوف وأضياف وعندنا خصم وخصوم وطفل وأطفال ورسول أيضاً تستعمل مفرد وجمع، ورسل، رسول جمع أيضاً تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمصدر أيضاً وهذا يسمى في اللغة إشتراك. الرسول تأتي بمعنى الرسالة والإرسال، المبلّغ هذا الأصل فيها *فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ *١٦* الشعراء*فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ *٤٧* طه* فإذن ضيف تأتي مفرد وجمع.

*** قصة ضيف إبراهيم عليه السلام:**

د. فاضل السامرائي

*** ما الفرق بين قصة ضيف إبراهيم في سورتي الذاريات والحجر؟**

قال تعالى في سورة الذاريات *هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ {٢٤} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ {٢٥} فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ {٢٦} فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا

تَأْكُلُونَ {٢٧} فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {٢٨} فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ {٢٩} قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ {٣٠} * وقال تعالى في سورة الحجر *وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِ بْرَاهِيمَ {٥١} إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ {٥٢} قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ {٥٣} قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ {٥٤} قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ {٥٥} قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ {٥٦} * .

في سورة الذاريات جاء وصف ضيف إبراهيم - عليه السلام - بالمكرمين وهذا له معنى في سياق الآيات في السورة وعدم ذكر صفة الضيف في آية الحجر يُبنى عليه المعنى . وإذا استعرضنا سياق الآيات في السورتين يتبيّن لنا لماذ ودت الصفة في سورة ولم ترد في الأخرى :

سورة الذاريات ... سورة الحجر

سلام ورد التحية وردّ التحية من الإكرام *فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ* ... لم يذكر ردّ التحية ولم يرد الإكرام هنا *فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ*

ثم إن ضيف إبراهيم قالوا *سلاماً* أي حيّوه بجملة فعلية وهو حيّاهم بجملة اسمية والجملة الاسمية أقوى لغوياً وأثبت للمعنى وأبلغ إذن فسيدنا إبراهيم ردّ التحية بخير منها وهذا من مظاهر الإكرام أيضاً ... لم يرد في سورة الحجر أي مظهر من مظاهر الإكرام كما ورد في سورة الذاريات إن من حيث عدم ردّ التحية أو تحضير الطعام أو دعوتهم إليه وغيرها.

قال *قوم منكرون* ولم يقل إنكم قوم منكرون لكن عندما رآهم قال قوم غرباء بشكل عام ولم يوجّه الخطاب لهم مباشرة وهذا من باب التكريم، وهذا يختلف عما جاء في قصة لوط عندما قال *إنكم قوم منكرون* لمّا جاءه الرسل لأنه كان في حالة أزمة .

فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ والعجل السمين من مظاهر الإكرام وراغ معناها أنه ذهب بخفية ولم يرد أن يظهر أنه ذهب وهذا من إكرام الضيف.

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ وهذا أيضاً من باب الإكرام أن قرّب لهم الطعام وقال ألا تأكلون.

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً لم يرد إبراهيم أن يطلعهم على خوفه وهذا من مظاهر التكريم ولم يقل هنا أوجس في نفسه كما جاء في قصة موسى لأن الخوف قد يظهر وقد لا يظهر وفي قصة موسى لم يُرد أن يُظهر خوفه لأنه في مواجهة فرعون وقومه. ... *قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ* ظهر عليه الخوف هنا وعمّ الخوف أهل البيت جميعاً.

وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ لم يعترض إبراهيم هنا لأن الإعتراض ليس من مقام الإكرام فلم يشك في قولهم ولا اعترض عليهم ... *قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ* واجههم بالخوف وأجهروا بالبشرى فكما قال لهم إنا منكم وجلون قالوا له إنا نبشرك بغلام عليم، واعترف إبراهيم أنه يشك فيهم مما بلغه من الخوف فقال *قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ*

* فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ* لم تكن خائفة أو وجلة إنما خرجت لمواجهتهم. ... لم يذكر امرأة إبراهيم لأن الخوف هنا كان طاغياً على البيت كله وأهله ولهذا لم تظهر امرأته لمواجهتهم.

* ما الفرق بين سلام الملائكة وسلام إبراهيم ? في الآية *إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ *٢٥* الذاريات*

د. فاضل السامرائي

سلامٌ هو جزء من جملة اسمية *سلام* إما مبتدأ لخبر محذوف *سلام عليكم* أو خبر لمبتدأ محذوف.

القاعدة : المرفوع يفيد الاسمية والمنصوب جزء من جملة فعلية . إذا قلنا *ويل* فهي جملة اسمية *ويل له* وإذا قلنا ويلاً فهي جملة فعلية . قال تعالى *فضربَ الرقاب* جملة فعلية .

قالوا سلاماً أي حيّوه بالجملة الفعلية وإبراهيم - عليه السلام - ردّ التحيى بخير منها عن طريق الجملة الاسمية قال سلام السلام الثابت الشامل الدائم ولذلك قال تعالى أن تحية أهل الجنة سلام يحيّون فيها بالجملة الاسمية *سلام عليكم بما صبرتم* وقال تعالى *وإذا حُييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها* إبراهيم - عليه السلام - لم يردّها وإنما حيّاهم بأحسن منها.

فى إجابة أخرى للدكتور فاضل :

سلاماً مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره نسلِّم سلاماً وسلامٌ مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليكم. وفيها أعاريب أخرى لكن هذا أشهرها.

وفى إجابة أخرى للدكتور فاضل :

هذا السؤال أثير مرات كثيرة وأجبنا عنه بتفصيل ونجيب اليوم إجابة سريعة عنه. *سلاماً* جزء من جملة فعلية هو مفعول لفعل محذوف *يسلِّم تسليماً* والأخرى و *سلامٌ* جزء من جملة اسمية *سلامٌ عليكم* .والجملة الاسمية والاسم أقوى وأثبت من الجملة الفعلية هذه قاعدة . وكما ذكرنا في حلقة سابقة هو يتعلّم وهو متعلِّم، هو يتفقه وهو متفقّه. إذن إبراهيم - عليه السلام - ردّ التحية بخير منها *وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا *٨٦* النساء* هو ردّ التحية بخير من تحيتهم. همّ حيّوه بحملة فعلية وهو ردّ بجملة اسمية فكان ردّ التحية بأفضل منها *بالجملة الاسمية * . فالردّ أفضل.

سؤال: هل يجوز أن يقول قالوا سلاماً *سلاماً* مفعول به لفعل *قالوا* ؟ هذه ضعيفة والأَولى أن يُقال *قالوا سلاماً* سلاماً مفعول به لفعل محذوف *يسلّم سلاماً* . وهو قال *سلامٌ* أي سلامٌ عليكم، سلام مبتدأ والخبر محذوف جوازاً.

آية *٣٥* :

* ما الفرق بين المؤمنين والمسلمين في سورة الذاريات *فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *٣٥* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ *٣٦ * ؟

د. حسام النعيمي:

هذه الآية تتكلم عن بيت واحد هو نفسه لكنه وُصِف مرة بكلمة المؤمنين ومرة أخرى وُصِف بكلمة المسلمين في موضع واحد وهو بيت لوط - عليه السلام - . والحكاية أن الملائكة جاءوا إلى إبراهيم - عليه السلام - والقصة معروفة فسألهم إلى أين أنتم؟ قالوا: إلى هذه البقعة قال: إن فيها لوطاً، قالوا نحن أعلم بمن فيها *قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ *٣٢* العنكبوت* فأخرجوها من الأهلية لأنه في الأصل المرأة من أهل البيت لكن

أخرجوها لما كانت تعمل بإتفاقها مع المشركين ضد لوط - عليه السلام - . الآية تقول *فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*فيها* تعني من هذه البلدة التي كان فيها لوط - عليه السلام - يدعو قومه إلى الإيمان لأنه الوحيد الذي آمن بإبراهيم - عليه السلام - من أهل البلدة ثم صار نبيّاً وصار يدعو *فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *٣٥* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ* .

نحن عندنا في القرآن الكريم في بعض المواطن هناك تفريق بين المؤمنين والمسلمين بل حتى في الحديث: في حديث سعد بن أبي وقاص لما قال : يا رسول الله أعطِ فلاناً فإنه مؤمن. قال: أو مسلم. فهناك فرق بين المؤمن والمسلم وفي الآية *قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ *١٤* الأحزاب* فإذن الإيمان شيء داخلي : ما وقر في القلب وصدّقه العمل. العمل المصدِّق هو الإسلام لأنه لما جاء جبريل - عليه السلام - يعلّم المسلمين أمور دينهم "حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فاسند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقيم الصلاة . وتؤتي الزكاة . وتصوم رمضان. وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا "قال: صدقت. قال فعجبنا له. يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال:" أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره "قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال:" أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك ". قال: فأخبرني عن الساعة . قال:" ما المسؤول عنها بأعلم من السائل "قال: فأخبرني عن أمارتها. قال:" أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطأولون في البنيان ". قال ثم انطلق. فلبثت مليا. ثم قال لي:" يا عمر! أتدري من السائل؟ "قلت: الله ورسوله أعلم. قال:" فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم "الأعمال الظاهرية هي الإسلام والباطن هو الإيمان."

المؤمن يقيناً هو مسلم لأن الذي يستقر الإيمان في قلبه يطبّق لكن ممكن أن الإنسان يطبّق والإيمان لمّا يدخل بعد في قلبه. كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤناً. عندما يحدثنا عن إنسان معيّن ويقول إنه مؤمن ثم يقول بعد ذلك أنه هو مسلم معنى ذلك أنه جمع له الأمرين: الإيمان الباطني والتطبيق العملي أراد أن يشير إلى التطبيق العملي. فأهل هذا البيت كانوا مؤمنين *فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين* لوط وأهل بيته لأنه *فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين* البيت المقصود به أصحاب البيت، سكان البيت لأن البيت هو ما يبيت فيه الإنسان، هو ما يقضي فيه ليله . هذه على قبيل *واسأل القرية * في سورة يوسف. *فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين* بمعنى غير أهل بيت من المسلمين. لم يقل المؤمنين حتى لا تتكرر أولاً لأنه لو قال في غير القرآن *فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا غير بيت من المؤمنين* هنا التكرار غير محمود لأنه لا معنى له. *غير بيت* يكون مطلقاً ولو قال *غير بيت منهم* كأن يصغّرهم وهو يريد لهم قيمة . فإذا كرر المؤمنين هنا وهي قريبة كأنما يكون تركيزاً على الإيمان وليس فيه إشارة إلى التطبيق العملي والآية أرادت أن تذكر أنهم مؤمنون مطبقون لإيمانهم عملياً فجمعت لهم بين الإيمان والإسلام لأنهم هم أنفسهم وليسوا فريقان فريق مؤمن وفريق مسلم كما *قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا* لكن هؤلاء وصفهم بالإيمان. فحينما يعود ويصفهم بالإسلام معناه هذا تأكيد لقيامهم بالتطبيق العملي لإيمانهم، أنهم مطبقون عملياً. هذا قول جمهور المفسرين. هناك قول آخر ولا بأس أن نذكره والمشاهد الكريم يحاول أن يرى إلى أي التأويلين يطمئن قلبه لأن اللغة تحتمل ذلك. الرأي

الأول وفيه رفع منزلة لأهل لوط، نحن لا ندري على وجه التعيين من كان مع لوط - عليه السلام - من أهل بيته.

هم يقولون إستناداً إلى ما ورد في التوراة أنه كان عنده بنتان وامرأته لكن هذا ليس ثابتاً عندنا من الناحية التاريخية ومن الممكن أن يكون لديه آخرون، من الممكن أن يكون في بيته من المؤمنين، وفيه وإن كان فرداً حتى إذا كان ذكر البنتين يمكن أن تكون إحدى إبنتيه إستقر الإيمان في قلبها والثانية هي مسلمة على دينه ولم يستقر الإيمان في قلبها هذا الإستقرار. فلما قال *غير بيت من المسلمين* معناه هي تدخل معهم ولو قال من المؤمنين لا تدخل معهم هذه البنت التي لم تكن قد إستقر الإيمان في قلبها أما قوله المسلمين فيشملها ذلك لأن المؤمن مسلم والمسلم غير المؤمن ذُكر أنه هو مسلم فيكون الكلام أعم عند ذلك وهذا رأي مرجوح. والرأي الراجح هو الأول أن الجميع كانوا مؤمنين، أنه نوّع بالعبارة حتى يبيّن أن أهل هذا البيت كانوا مؤمنين مطبقين عملياً لإيمانهم فوصفهم مرة بالمؤمنين ثم ألحق ذلك بكلمة وصف المسلمين. فكان الإيمان مستقراً في قلوبهم وكانوا مطبقين لعلامات الإيمان لأنه قد يكون الإنسان مؤمناً لكن يقصّر في التطبيق ولذلك يتوب إلى الله تعالى ويستغفر وليس من قبيل عدم الإيمان. فإذن هذا الوصف فيه رفعة شأن لهؤلاء.

قد يقول القائل لماذا لم يقل : وجدنا فيها غير أهل بيت؟ لماذا حذف *أهل* ؟ وفي آية سورة يوسف *وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ *٨٢ * حذف أهل أيضاً؟

الحذف هناك يختلف عن الحذف هنا بحسب السياق. هناك حذف أهل وهنا حذف أهل. هناك فارق في الصورة هناك *وإسأل القرية * إخوة يوسف كانوا متهمين بأنهم ليسوا صادقين لأن عند أبيهم تجربة سابقة معهم لما جاءوا وقالوا أكله الذئب يوسف وهو لم يأكله فالآن يقولون إبنك سرق وقد يكون كذباً كالذئب فقالوا: *واسأل القرية التي كنا فيها* صحيح هي أهل القرية لكن كأنهم يريدون أن يقولوا له أن صدقنا ثابت في القرية حتى بجدرانها،حتى بحيوانها، إسأل القرية كاملة ، القرية التي كنا فيها والبلدة كأنها جميعاً تشهد لنا ليس بناسها فقط وإنما حتى بجدرانها. وهذا ينسحب على العير أي القافلة *والعير التي أقبلنا فيها* العير ومن عليها ومن معها ومن فيها لأنهم كانوا يشكّون في أنفسهم. أما في آية سورة الذاريات *غير بيت* لو قال: غير أهل بيت تكثر. أهل البيت تصير كثير: القرية من بيوت فأراد أن يبيّن قلة الذين إتّبعوا لوطاً - عليه السلام - فقال *غير بيت* واحد ولو قال أهل بيت: الأهل مجموعة فتكون الصورة فيها كثرة فحذف هنا. هنا أراد الحذف حتى يبيّن القِلّة وهناك *في سورة يوسف* حذف حتى يبيّن الكثرة . ولكل حذف مكان بحسب السياق والله أعلم.

د. أحمدالكبيسي:

فى قوله تعالى عن قوم لوط *فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {٣٥} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٣٦} الذاريات* يعني أي واحد يقرأ الآية يقول كيف استعمل المؤمنين أولاً ثم يرجع رجوع على المسلمين كأن قوم لوط لم يكن فيها مؤمنين كان فيها مسلمون فما الفرق؟ الأخت تقول عرفت وهو أن المؤمنين الذين هم آمنوا إيمان عام لكن *فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ* أي لوط لأن لوط نبي وهو من المسلمين ذلك الإسلام المطلق فكانت مداخلة جميلة .

آية *٤٠* :

* ما إعراب *وقومَ نوح* في سورة الذاريات *وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ *٤٦ * ولماذا جاءت منصوبة ؟

د. فاضل السامرائي

ننظر في الآية قبلها تتكلم عن فرعون *فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ *٤٠ * فصار العطف ظاهراً *وقومَ نوح* معطوفة على الضمير المفعول به في *فأخذناه* أي أخذناه وأخذنا قوم نوح. وقسم يقول معطوفة على *فنبذناهم* أي نبذناه ونبذنا قوم نوح. كثير يكون العطف في حالات مثل في سورة الأعراف *وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً *٦٥ * معطوفة على *لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ *٥٩ * الأولى. ليس بالضرورة أن يكون العطف على الأقرب ولكن على المعنى. في سورة الأعراف *وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً *٦٥* وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا *٧٣ * معطوفة على *لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ* الأولى ثم تمتد القصص. لما قال تعالى هنا في الذاريات *فأخذناه وجنوده* ثم قال *وقومَ نوح* العطف على الهاء في *فأخذناه* . والعطف على ضمير جائز بعضها بشروط وبعضها بغير شروط. فأخذناه وأخذنا قومَ نوح ونبذناه ونبذنا قومَ نوح.

آية *٤١* :

* ما الفرق بين أنزلنا - أرسلنا إليك وعليك؟

د. فاضل السامرائي

على أقوى من *إلى* وتأتي *على* في الغالب في العقوبات *وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ *٤١* الذاريات* وفيها معنى الاستعلاء هي استعلاء ولذلك كان فيها معنى الشدة والقوة ، أما *إلى* فليست كذلك وإنما تفيد منتهى الغاية فقط. ربنا لما يقول مرة *لولا أنزل عليه ملك*لولا أنزل إليه ملك* نلاحظ أن السياق يختلف وهناك فرق بين إليه وعليه، قال *وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ *٨* الأنعام* فيها تهديد، *وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا *٧* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا *٨* الفرقان* ليس فيها تهديد. الأقوى *على* إذن نزّل أقوى من أنزل وعلى أقوى من إلى.

آية *٥٦* :

*وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *٥٦* الذاريات* وفي السجدة *وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ *١٣* السجدة * الجنة مقصود بهم الجن فما الفرق بين الجن والجِنّة ؟ وما دلالة البدء بالجن والجِنّة ؟

د. فاضل السامرائي

الجن القرآن يستعمله بما يقابل الإنس *الجنّ - الإنس* هما الأصلان لهذين الجنسين، أصلان للمخلوقات *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *٥٦* الذاريات*قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا *٨٨* الإسراء* أما الجِنة فيستعملها بمقابل الناس *لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ *١٣* السجدة *الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ *٥* مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ *٦* الناس* . الجنّ والإنس هما الأصلان أما الناس فتكون مجموعة قليلة أو كثيرة من هؤلاء أو أفراد منهم، قد يكون الجميع *قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا *١٥٨* الأعراف* لجميع المخاطبين من آدم إلى أن تقوم الساعة ، أو أفراد منهم

*الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ *١٧٣* آل عمران* تكون هناك قرينة سياقية تحدد المعنى لكن لا تدل على عدد معين إنما تدل على مجموع قد يشمل جميع الناس *قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا* وفي الحديث "أشيروا عليّ أيها الناس" والمقصود الأنصار. الجِنّة مجموعة من الجن قد تكون قليلة أو كثيرة . الجنّ هم الأصل مع الإنس ويستعمل في الغالب الجان بمقابل الإنسان. الجنّ الأصل مثل الإنس والجان قد يكون واحد من هؤلاء مثل الإنس والإنسان والإنسان واحد من الناس وقد يطلق على الأكثر. الإنس غير الناس أحياناً لا يمكن استعمال الإنس مكان الناس *وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ *١٣* البقرة * لا يمكن أن يقال كما آمن الإنس.

أصل البشرية الإنس، *الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ *١٧٣* آل عمران* لا تنفع هنا الإنس، فإذن الإنس بمقابل الجنّ والناس بمقابل الجِنّة . الذي يدل على عموم الجنس في البشر الإنس ومقابله الجنّ، الجنّ مقابل الإنس والجِنّة مقابل الناس والجان مقابل الإنسان *خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ *١٤* وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ *١٥* الرحمن* . هذا ليس من خصوصية الاستعمال القرآني وإنما هو في لغة العرب.

* في القرآن الكريم يذكر الجن قبل الإنس في مواطن كثيرة *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *٥٦* الذاريات* أما في سورة الرحمن فقدم الإنس *فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ *٥٦* الرحمن* فما دلالة التقديم والتأخير؟

د. فاضل السامرائي

التقديم والتأخير يقتضيه المقام والسياق أحياناً يقدم الجن على الإنس *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *٥٦* الذاريات* لأن الجن وجودهم أسبق من الإنس، *وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ *٢٧* الحجر* إبليس قبل آدم. إذن قد يكون السبب هو القِدَم أن الأقدم يقدّمه مثل *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* . *يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ *٣٣* الرحمن* قدم الجن على الإنس لأن الجن أقدر على النفاذ من الإنسان وهم كانوا يستمعون، فلما تحداهم بالنفاذ بدأ بمن هو أقوى أي بالجنّ. الآية التي ذكرها في سورة الرحمن *لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ* هنّ أهل الجنة *حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ* ، *فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ* ، نفسياً إذا كان أحدهم يريد أن يتزوج امرأة وعلِم أنه اتصل بها رجل سابق يحجم عن الزواج أما إذا قال جنّي إتصل بها يقول هذا كلام وخرافة . ولذلك قدم الإنس لأن النفس فوراً إذا طمثها إنسي يحجم عنها إحجاماً ولذلك قدم ما تشمئز منه النفس أولاً فبدأ بالإنس لأن هذا أدعى إلى طهارتها ولو قال لم يطمثهن جن ولا إنس ليست بتلك المنزلة فقدم ما هو أشد. والطمث يعني الدخول بها. الآية تتكلم عن نساء الجنة ، عن حور الجنة *حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ* هنّ نساء الجنة كما قال ربنا *فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا *٣٦* الواقعة * معناها أبكاراً.

* تناسب فواتح سورة الذاريات مع خواتيمها*

قال *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ *٥ * هذا قسم وجواب القسم *وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ *٦ * وقال في الآخر *فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٦٠ * . *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* في الآخرة إما جنة أو نار والدين هنا للحساب *وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ* . إن ما توعدون لصادق وإن الدين لواقع فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون.

* تناسب خواتيم الذاريات مع فواتح الطور*

خاتمة الذاريات *فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ *٥٩* فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٦٠ * وفي الطور *إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ *٧* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ *٨* يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا *٩* وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا *١٠* فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *١١ * ، *فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٦٠ * مقابل *فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *١١ * المشهد هو واحد، كلا المشهدين في الآخرة . المكذبون طائفة من الذين كفروا.

سورة الطور

* تناسب خواتيم الذاريات مع فواتح الطور*

خاتمة الذاريات *فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ *٥٩* فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٦٠ * وفي الطور *إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ *٧* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ *٨* يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا *٩* وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا *١٠* فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *١١ * ، *فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٦٠ * مقابل *فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *١١ * المشهد هوواحد، كلاالمشهدين في الآخرة . المكذبون طائفة من الذين كفروا.

* هدف السورة : إختيار الجنّة أو النار*

سورة الطور تبدأ بالقسم بخمسة أمور دليل على أهمية الموضوع وهو أهوال الآخرة وما يلقاه الكافرون في ذلك الموقف الرهيب وأقسمت أن العذاب واقع بالكفار لا محالة ولا يمنعه مانع.
والسورة تطرح اختياراً جديداً هو: ماذا نختار؟ عذاب أهل النار أو نعيم أهل الجنّة ؟ تبدأ السورة بوصف جهنم وأهلها *فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* آية ١١ ثم تنتقل إلى وصف الجنّة وأهلها من المتقين *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ* آية ١٧. وفي السورة آية محورية *وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ* آية ٢١.

وقد سميّت الطور لأن الله تعالى بدأ بالقسم بجبل الطور الذي كلّم الله تعالى عليه موسى وقد نال هذا الجبل من الأنوار والتجليات الإلهية ما جعله مكاناً مشرّفاً على سائر الجبال في الأرض.

* من اللمسات البيانية فى سورة الطور*

آية *٣* :

*وَالطُّورِ *١* وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ *٢* فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ *٣* الطور* ما اللمسة البيانية في كلمة رَقّ؟

د. فاضل السامرائي

الرَق هو الجلد الرقيق يُكتب فيه ومنشور أي المبسوط بالنظر، لكن ما هو هذا الرَق الذي كُتب فيه؟ يختلف المفسرون قسم يقول هي أعمال العباد ربنا سبحانه وتعالى يعطي للعبد يوم القيامة يخرج له كتاباً يلقاه منشوراً، ربنا يُقسم الكتاب المسطور في الرَق المنشور وقسم قال هو اللوح المحفوظ وقسم قال هو ما يؤتاه العبد يوم القيامة *صحائف الأعمال* والرَق جلد رقيق للكتابة . منشور

توضح الرَق قد يكون منشوراً لمن يراه في الملأ الأعلى والله أعلم والآية تحتمل الوجهين ليست هنالك قرينة سياقية تحدد معنى دون الآخر.

آية *٨* :

* ما الفرق بين *مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ *٨* الطور* و *لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ *٢* المعارج*؟ لماذا استعمل مرة *ليس* ومرة *ما* ؟

د. حسام النعيمي

سؤال طريف حقيقة يدل على تنبّه أنه كلتا الآيتين تنفي وجود الدافع عن العذاب. العذاب واقع ففي الآية الأولى لا يوجد شيء سيمنع هذا العذاب وفي الآية الثانية لا يوجد شيء سيمنع هذا العذاب. لكن صيغة التعبير مرة جاءت *ما له من دافع* ومرة جاءت *ليس له دافع* فهو من حقه أن يسأل حقيقة لأنها تلفت النظر. بشكل أولي حقيقة نحن عندنا تأكيد الجمل: الجملة الاسمية آكد وأقوى من الجملة الفعلية . *ليس* فعل فحينما تنبني مع مبتدأ وخبر تكون الجملة فعلية ولذلك الجملة مع *ليس* أقل توكيداً. أنت تقول: ليس زيدٌ حاضراً في نفي حضور زيد لمن ليس في ذهنه شيء لكن إذا كان شاكّاً فلك أن تقول له: ليس زيدٌ بحاضر لك تؤكده بالباء ولك أن تنتقل من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية فتقول: ما زيد حاضراً لأن *ما* حرف فدخولها على الجملة لا ينقلها من اسميتها إلى الفعلية . *ما زيدٌ حاضراً* آكد من *ليس زيد حاضراً* فيها تأكيد.

الآية الأولى استعملت *ما له من دافع*ما* فالجملة الاسمية ، *ليس له دافع* الجملة فعلية ، فالآية التي في سورة الطور آكد يعني فيها تأكيد من الجملة التي في سورة المعارج. لكن يبقى السؤال: طبعاً هنا *ما له من دافع*من* التبعيضية يعني فيها زيادة تأكيد حتى جزء دافع ما له. *ما و من* بدل *ليس* . لو قال: *ماله دافع* ستكون مجرد تأكيد بينما *ما له من دافع* زيادة في التأكيد. يبقى السؤال: السياق الذي وردت فيه الآيتان: لما ننظر فيه نجد أن الآية الأولى التي في الطور فعلاً تنسجم مع شدة التوكيدات والآية الثانية أصلاً ليس فيها توكيد. نلاحظ الآية الأولى في الطور تبدأ السورة بقسم والقسم توكيد، لما تقسم على شيء فأنت تؤكده فإذن فالجو جو تأكيد *وَالطُّورِ *١* وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ *٢* فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ *٣* وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ *٤* وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ *٥* وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ *٦* إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ *٧* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ *٨ * قسم لتذكير بيوم القيامة *إن عذاب ربك لواقع* و *إنّ* تأكيد مشددة واللام *لواقع* مؤكدة ، لاحظ المؤكدات فالجو جو توكيد فجاء *ماله من دافع* فجاءت منسجمة مع الجو العام للسورة التي هي تعيش في توكيدات.

لكن لما نأتي إلى السورة الثانية سورة المعارج *سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ *١* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ *٢* مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ *٣ * هكذا تبدأ السورة فليس فيها جو توكيدات حتى يؤكد. هناك الجو بكامله جو تأكيد فاستعمل الصيغ التي تتناسب مع جو السورة ونحن دائماً نقول حقيقة الكلمة تناسب جو السورة ،الآية تناسب جو السورة هناك تناسب. لما ننظر هنا لاحظ *سأل سائل* كلام اعتيادي لماذا؟ هذا سائل والسائل هنا لا يعني المستفهم وإنما يعني الذي يدعو، هذا شخص لم يذكره القرآن الكريم من هو على عادته في إغفال ذكر الأشياء التي لا أهمية لها. *سأل سائل* يعني دعا على قومه ونفسه بالعذاب وهذا معنى سأل والعذاب واقع، العذاب سيقع سواء هو سأله أو لم يسأله واقع على الكافرين لا محالة .

هل أفادت التعدية بالباء معنى التكذيب؟ التعدية بالباء في *بعذاب* حقيقة سأل بالشيء يعني كأنه دعا به لبيان أن هذا الفعل قد استُخدم في معنى آخر غير المعنى الأساسي الذي هو الاستفهام لكن هذا السؤال هو دعاء أيضاً أو طلب فهو طلب هذا العذاب لكن حمّله معنى الدعاء أنه طلب بدعاء فدخلت الباء كما تدخل على الفعل دعا *دعا بكذا على قومه* .

آية *٩* :

*يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا *٩* الطور* ما اللمسة البيانية في الآية ؟

د. فاضل السامرائي

تمور يعني تضطرب تشقق والمور هو الحركة بتموّج وربنا تعالى ذكر هذا الأمر *إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ *١* الإنشقاق*إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ *١* الانفطار* فإذن قسم قال هي تمور يعني تجيء وتذهب. وهو مشهد من مشاهد يوم القيامة دالّ على الهول والفزع الأكبر أن تضطرب السماء وتمور مما هو غير مألوف.

آية *٢٠* :

* ما دلالة استعمال الوصف *متكئين* لأهل الجنة خاصة ؟

د. فاضل السامرائي

الاتّكاء غاية الراحة كأن الإنسان ليس وراءه شيء لأن الإنسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء. والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية هذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى *هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ *٥٦* لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ *٥٧* يس* والاتكاء يحسُن في هذا الموضع. وقال تعالى *مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ *٥١* ص* يرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب وكذلك في سورة الرحمن *مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *٥٤ * و *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * وقوله تعالى *مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ *١٦* الواقعة * و *مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ *٢٠* الطور* جاء في السياق مع هذه الآيات ذكر الطعام والشراب.

فالاتكاء غاية الراحة ولهذا وُصِف به أهل الجنة ولم يأت وصفهم بالنوم لأنه لا نوم في الجنة أصلاً. ووصِفوا في القرآن بأوصاف السعادة فقط يتحادثون فيما بينهم ويتذاكرون ما كان في الدنيا والاتكاء غاية الراحة والسعادة .

آية *٢٣* :

* في سورة الطور *يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ *٢٣ * التنازع يكون في شيء شاق وقد نهينا عن التنازع *وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ *٤٦* الأنفال* فهل التنازع في الدنيا مذموم وفي الآخرة محمود؟

د. فاضل السامرائي

التنازع هنا ليس معناها الخصومة كما في الدنيا وإنما تعني التبادل أحدهم يعطي الآخر حتى في الدنيا نقول نتنازع الكؤوس أي نتبادلها.

آية *٢٤* :

* ما الفرق بين ولدان وغلمان؟

د. فاضل السامرائي

الولدان هم الصغار أما الغلمان أي الغلام الشاب الذي أوشك على البلوغ. الوليد منذ أن يولد إلى أن يصل إلى سن البلوغ الغُلمة يسمى ولداً ثم يقال غلام. في الجنة لما يذكر غلمان يقول غلمان لهم أي مختص بهم *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ *٢٤* الطور* أما ولدان فعامّة *يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ *١٧* الواقعة * لا يقول ولدان لهم لأنهم صغار أما الكبير يكون مثل الأسرة خاص بالبيت. الغلام أقل من الشاب سنّاً أو بداية الشباب إذا طال شاربه.

* ما الفرق بين الآيتين *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا *١٩* الإنسان* و *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ *٢٤* الطور* ؟

د. فاضل السامرائي

الفرق بين الآيتين أنه في آية سورة الإنسان قال تعالى *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا *١٩ * لم يذكر *لهم* وإنما ذكر الولدان الذين يأتون بالأشياء كما يأمر الله تعالى أما في آية سورة الطور *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ *٢٤ * ذكر *لهم* بمعنى خاصّين بهم وليسوا عامّين كالذين ورد ذكرهم في آية سورة الإنسان، فأصبحوا مكنونين لأنهم أصبحوا في الأسرة والعائلة متخصصين في خدمتها. أي عائلة ؟ إذا نظرنا إلى الآيات التي سبقت الآية المذكورة في الطور نجد قوله تعالى *وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ *٢١ * فالكلام عن الأسرة وهذه الأسرة أصبح لها خصائص كذلك قوله تعالى *ويطوف عليهم غلمان لهم* أي خاص بهم كأنهم لؤلؤ مكنون وسياق الآيات في سورة الطور فيه خصوصية شديدة للمؤمنين.

آية *٢٩* :

* قال تعالى في سورة الطور: *فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ *٢٩ * وقال في سورة القلم *مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *٢ * فزاد قوله: *بكاهن* في سورة الطور، فما سبب ذلك؟

د. فاضل السامرائي

هناك أكثر من سبب دعا إلى هذه الزيادة .

١ - منها أنه فصّل في سورة الطور في ذكر أقوال الكفرة في الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ذكروا أنه كاهن، وذكروا أنه مجنون، وذكروا أنه شاعر. *أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون* . وقالوا إنه كاذب: *أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون* .

في حين لم يذكر غير قولهم إنه مجنون في سورة القلم: *ويقولون إنه لمجنون* فناسب ذكر هذه الزيادة في سورة الطور.

٢ - ومنها أنه ذكرفي سورة الطور قوله: *أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين* والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم من الجنِ، فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.

٣ - ومنها أنه ذكر السحر في سورة الطور فقال: *أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون* . فناسب ذكر السحر ذكرَ الكهنة .

٤ - ومما حسن ذلك أيضاً أنه توسع في القَسَم في أول سورة الطور بخلاف سورة القلم، فقد قال: *والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع* والبحر المسجور* .

في حين لم يقسم في سورة القلم إلا بالقلم وما يسطرون. فناسب التوسع في الطور هذه الزيادة .

٥ - ذكر في سورة القلم في آخر السورة قول الكفرة ، إنه لمجنون ولم يزد على هذا القول، فقال: *وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون* فرد عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه فقال: *ما أنت بنعمة ربك بمجنون* . فناسب آخر السورة أولها.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي *بمجنون* التوكيد باللام في الإثبات *لمجنون* لأن الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات. والله أعلم.

آية *٣٠* :

* في قوله تعالى *أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ *٣٠* الطور* هل المنون جمع أو مفرد؟ وما أصل الكلمة ؟

د. حسام النعيمي

كلمة المنون كما ورد في المعجمات مأخوذة من الفعل *منّ، يمنّ* بمعنى قطع يقطع. لكن هذه الكلمة *منون* على وزن *فعول* معناه فيها نوع من صيغة المبالغة كما نقول غافر وغفور، غفور فيها مبالغة *فعول* فإذن هي صيغة مبالغة من *منّ* واسم الفاعل *مانّ* أي قاطع ومنون مثل غافر وغفور. فهي صيغة مبالغة لكن العرب استعملتها استعمالات كثيرة بحيث استعملوها للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع وعبروا بها عن الموت لأن الموت يقطع حياة الإنسان. *نتربص به ريب المنون* أي نتربص به مصائب الموت. المون هنا الموت ويذكر ويؤنث، بيت أبي ذوئيب الهذلي:

أمن المنون وريبه تتوجعوا والدهر ليس بمعتب من يجزع

له روايتان *أمن الموت وريبه تتوجعوا* و *أمن المنون وريبها تتوجعوا* أمن المنون وريبه تقوموا فمن قال وريبه قال ذهب إلى الموت ومن ذهب إلى المنيّة قال *وريبها* جعلها مؤنثة .

هذه اللفظة توسعت فيها العرب كثيراً بحيث استعملوها للمذكر والمؤنث والجمع والمثنى والمفرد. وهنا تأتي بمعنى الموت. والتربص فيه معنى الإنتظار لكن مع شيء من التلبّث كأنه يشتاق إلى الشيء *يتربص به* أي يشتاق إليه ليس شوق الغرام والحب ولكن يرغب رغبة شديدة في هذا الأمر وهو من الفعل ربص أي إنتظر وربص به يتعدى بالباء *ربص به* ولما نأخذ نظرية الإشتقاق اللفظي لإبن جنّي منه: صبر والصبر فيه معنى اللبث فالتربص إنتظار مع اللبث وتشوق لوقوع الحادث، كأنهم يتشوقون إلى موته - صلى الله عليه وسلم - .

آية *٤٤* :

* ما دلالة تنوع وصف السحاب فى قوله تعالى في سورة الطور *وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ *٤٤ * ؟

د. حسام النعيمي

المركوم الذي بعضه فوق بعض لم ينسبوه إلى الله تعالى لكن هذه صورته سحاب بعضه فوق بعض، قطعة من هذا السحاب. الكِسَف والكِسْف هو جمعُ كِسفة لكن الكِسِف يوحي بأنه واحد والكِسَف كأنه جمع. كلاهما لغتان في جمع كسفة بمعنى قطعة ،كل قطعة من شيء تسمى كسفة منه. *وإن يروا كسفاً* مقطعاً من مقاطع من السحاب ساقطاً هذا المقطع لما كان مظلماً لأنه كلن عقاباً من الله عز وجل وهم يحسبونه سحاباً متراكماً فقالوا *سحاب مركوم* فيه إشارة إلى ظلمته وضخامة شأنه هو عقاب ولذلك هذا هو وصفهم قالوا *سحاب مركوم*فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ *٤٥ * الأمم التي أصابها ما أصابها وفيه إنذار وتحذير للعرب، لقريش من سواهم أن هذا يمكن أن يقع لكم فترون شيئاً تحسبونه سحاباً مركوماً لكنه في الحقيقة الصاعقة التي ستصعقكم.

* ما دلالة استعمال *إذا* و *إن* في القرآن الكريم؟

د. فاضل السامرائي

إذا في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله كما في الآية : *إذا حضر أحدكم الموت* ولا بد أن يحضر الموت، *فإذا انسلخ الأشهر الحرم* ولا بد للأشهر الحرم من أن تنسلخ، وقوله تعالى : *وترى الشمس إذا طلعت* ولا بد للشمس من أن تطلع وكقوله: *فإذا قضيت الصلاة * ولا بد للصلاة أن تنقضي.

وللكثير الحصول كما في قوله تعالى *فإذا حُييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها* . ولو جاءت *إذا* و *إن* في الآية الواحدة تستعمل *إذا* للكثير و *لإن* للأقلّ كما في آية الوضوء في سورة المائدة .

أما *إن* فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل كما في قوله تعالى *أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا* هنا احتمال وافتراض، و *وإن يروا كِسفاً من السماء ساقطاً* لم يقع ولكنه احتمال، و *وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا* الأصل أن لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة *انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه* افتراض واحتمال وقوعه.

آية *٤٨* :

* حينما تكلم ربنا تبارك وتعالى على سيدنا موسى قال *وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي *٣٩* طه* ولما تكلم عن الرسول ؟ قال *وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ *٤٨* الطور* فما الفروق الدلالية بين الآيتين؟

د. فاضل السامرائي

الصنع يكون في بداية الأمر، هو الكلام على موسى - عليه السلام - تكلم على ولادته ونشأته *إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى *٣٨* أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي *٣٩* طه* هذا في مرحلة طفولته

*إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا
مُوسَى *٤٠* وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي *٤١* طه* والرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الأربعين يحمل همّ الرسالة كيف يقال له تصنع على عيني؟ وإنما هو يحتاج إلى رعاية الآن للتبليغ. الدلالة العامة لقوله *وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي* أي ينشئك بالصورة التي يريدها ابتداء ويهيأ المكان الذي يريده ولما قال عن النبي - صلى الله عليه وسلم - *فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا* يعني يحفظك، كما قال *وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ *١٣* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا *١٤* القمر* السفينة قال تجري بأعيننا يعني برعايتنا وحفظنا.
*

وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ *٦٧* المائدة * يعني يحفظك أنت تحت رعايتنا وحفظنا نراقب الأمر *إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى *٤٦* طه* نحن نراك ونحفظك ونحميك ونرعاك يعني أنت تحت رعايتنا.

آية *٤٩* :

* ما الفرق بين إدبار وأدبار؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة ق *وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ *٤٠ * وقال في سورة الطور *وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ *٤٩ * .

الأدبار جمع دُبّر بمعنى خلف كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة أي بعد انقضائها وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ *١٥* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *١٦ * . أما الإدبار فهو مصدر فعل أدبر مثل أقبل إقبال والنجوم ليس لها أدبار ولكنها تُدبر أي تغرُب عكس إقبال.

* تناسب فواتح الطور مع خواتيمها*

أقسم بالطور وما إلى ذلك *إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ *٧* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ *٨* يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا *٩* وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا *١٠* فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *١١ * وفي آخرها *وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ *٤٤* فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ *٤٥ * هذا الذي ذكر عذاب ربك لواقع هذا ذكره في الأول فذرهم حتى يلاقوا يومهم فيه يصعقون اليوم الذي ذكره في الأول *يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ *٤٦* وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ *٤٧ *فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *١١ * .

* تناسب خواتيم الطور مع فواتح النجم *

ختم سورة الطور بقوله سبحانه *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ *٤٨* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ *٤٩ * ما بعدها في سورة النجم قال *وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *١ * . إدبار النجوم والنجم إذا هوى أي إذا سقط وغرب، إدبار النجوم هو النجم إذا هوى . في خاتمة الطور *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* وأوائل سورة النجم في المعراج *وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *١* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى *٢* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *٣* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى *٤* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى *٥* ذُو مِرَّةٍ
فَاسْتَوَى *٦* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى *٧* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى *٨* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى *٩* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *١٠ * ، *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* لأنه بداية للذهاب إلى موطن التسبيح

والتحميد وهو السماء العُلا. *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* ستذهب إلى الملأ الأعلى وهو المملوء بالتسبيح والتحميد. هذا ارتباط ظاهر: إدبار النجوم - والنجم إذا هوى ، *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* كأنه توجيه له للإستعداد للذهاب إلى السماوات العُلا.

سورة النجم

* تناسب خواتيم الطور مع فواتح النجم *

ختم سورة الطور بقوله سبحانه *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ *٤٨* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ *٤٩ * ما بعدها في سورة النجم قال *وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *١ * . إدبار النجوم والنجم إذا هوى أي إذا سقط وغرب، إدبار النجوم هو النجم إذا هوى . في خاتمة الطور *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* وأوائل سورة النجم في المعراج *وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *١* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى *٢* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *٣* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى *٤* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى *٥* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى *٦* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى *٧* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى *٨* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى *٩* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *١٠ * ، *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* لأنه بداية للذهاب إلى موطن التسبيح والتحميد وهو السماء العُلا. *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* ستذهب إلى الملأ الأعلى وهو المملوء بالتسبيح والتحميد. هذا ارتباط ظاهر: إدبار النجوم - والنجم إذا هوى ، *وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* كأنه توجيه له للإستعداد للذهاب إلى السماوات العُلا.

* هدف السورة : مصادر العلم والمعرفة من الله تعالى *

ابتدأت السورة بالقسم بالنجم الذي هوى ويفسّر المفسرون هوى بمعنى سجد ليتناسب مع جلال الموقف في قصة المعراج ويتناسب مع خواتيم سورة الطور والله أعلم. وهذه السورة تعرض لنا أن العلوم والمعرفة بالله وبخالق الأكوان لها طريقان: طريق الظنون والأوهام وطريق الوحي الذي جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو الكلام الصادق وما عندكم من غير طريق الوحي هو الظن والوهم.

وقد أسهبت الآيات في عرض أن الوحي صدق من الله تعالى: *وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* آية ٣ و ٤، و *مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى* آية ١١، و *مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى* آية ١٧ وكلها تؤكد على أن العلم والمعرفة هي من الله تعالى. فإياكم أن يكون في النفس شك أو ريب في صدق هذا الوحي الذي هو من علم الله تعالى وإياكم أن تكونوا كالأمم السابقة فيصيبكم ما أصابهم *إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى* آية ٢٣، و *وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا* آية ٢٨، و *ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى* آية ٣٠ و *أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى* آية ٣٥.

وعلينا أن نقارن من أين نستقي العلم والمعرفة عن الله تعالى. فالنجم وهو يهوي أو يسقط هو ظاهرة مادية واضحة ومع وضوحها فكذلك الوحي الذي نزل على النبي صادق وواضح والنبي - صلى الله عليه وسلم - لا يضل ولا يهوي وهذا دليل وثوق الوحي والقرآن.

* من اللمسات البيانية فى سورة النجم*

المعراج: *سورة النجم من الآية ١ إلى الآية ١٨*

د. فاضل السامرائي

قال تعالى: *وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى **

القسم: *والنجم إذا هوى *١ * :

في بداية السورة وعلاقته بما قبله *سورة الطور* : سبقت سورة النجم التسبيح في خواتيم سورة الطور *وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ* فجاء ذكر النجوم والقسم هو بالنجم في هذه السورة . هوى: معناه غرَب ومعناه سقط فإذا كان المعنى الأول في خواتيم سورة الطور *ادبار النجوم* أي غروبها فهي إذن مرتبطة بالتسبيح ومرتبطة بادبار النجوم فأصبح هناك تناسق بين ادبار النجوم والنجم إذا هوى. ثم ناسب افتتاح السورة خاتمتها *فاسجدوا لله واعبدوا* أولاً لأن السجود هو أهم ركن من أركان الصلاة والصلاة فُرضت في المعراج وهذه السورة بداية رحلة المعراج وختم السوء بما فُرض في المعراج. ومن ناحية أخرى إذا كان هوى بمعنى سقط والسقوط هوي إلى الأرض فهي مناسبة للحركة لأن السجود هوي إلى الأرض وكأنما النجم هوى ليسجد لله تعالى والسجود أقرب ما يكون إلى الله تعالى لذا اختار سبحانه أقرب حالة إليه في أقرب معيّة وهي العروج بالرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى سدرة المنتهى *أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد* أقرب حالة من الله لأقرب رحلة إلى الله تعالى.

*ما ضلّ صاحبكم وما غوى *٢ * :

نفي شيئين الضلالة والغواية . وهناك فرق بين الضلالة والغواية فالضلالة قد تكون عن قصد أو عن غير قصد *فأضلّه الله على علم*الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا* سورة الكهف، أما الغواية فهي عن قصد وهو الإمعان في الضلال. والضلال عام نقول ضلّت الدابة ولا نقول غوت الدابّة والغواية هي للمكلّف. والضلال نقيض الهدى والغواية نقيض الرشد *يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء*وأضلّ فرعون قومه وما هدى* سورة طه، *وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا*قد تبيّن الرشد من الغيّ* سورة البقرة .

ما ضل صاحبكم وما غوى: نفى الله تعالى عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - الأمرين الضلالة والغواية وقد ذكر كلمة *صاحبكم* ولم يقل اسمه وقد وردت صاحبكم في ثلاث مواضع في القرآن الكريم: إما لنفي الضلال وإما لنفي الجنون *ما بصاحبكم من جِنّة ، وما صاحبكم بمجنون، ماضل صاحبكم* وهذا لأن فيها معنى الصحبة فقد لبث الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيهم عمراً طويلاً وخالطهم وعاشرهم وعرفوا صدقه وأمانته ولا يكذّبونه فهو صاحبهم فكيف يمكن لهم أن يتهموه بالضلال؟ وقد وردت كلمة صاحبكم دائماً لنفي الجنون والغواية وهذا فيه معنى الصحبة أيضاً

ولو لاحظنا القسم في بداية السورة هو دلالة على الهوي والسقوط، والضلال والغيّ هما سقوط في السلوك ودائماً يأتي في القرآن الضلال مع الحرف *في*في ضلال مبين* وهذا دليل على السقوط أما عند ذكر الهداية فيأتي بالحرف *على* لأن الهدى تفيد الإستعلاء وهو - صلى الله عليه وسلم - متمكن من وقع قدمه وقادر أن يرى حتى الهمزة تفيد السقوط تأتي مع *في* الظرفية دلالة على السقوط *وإنا أوإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين* والنجم إذا ضلّ مساره سقط.

تكرار ما في قوله تعالى *ما ضلّ صاحبكم وما غوى* : وهذا حتى لا يُتصوّر أنه نفى الجمع بينهما فقط وإنما نفى الجمع بينهما والإفراد. ما ضلّ صاحبكم وما غوى تعني نفي الضلالة والغواية معاً أو كل منهما على حدة . أما القول ما ضلّ صاحبكم وغوى فهي تفيد النفي بالجمع بين الصفتين. وهذا من باب الإحتياط للمعنى نفاهما على سبيل الجمع والإفراد ومعناه أنه - صلى الله عليه وسلم - اهتدى ورشد فهو مهتد رشيد. إذن لماذا لم يقل *هدى ورشد* بدل ما ضلّ وما غوى؟ لو قال اهتدى قد يكون في وقت من الماضي أو لفترة زمنية محددة قد تفيد أنه قد يكون قبل الهداية ضالاً اكنه - صلى الله عليه وسلم - مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة *ما ضلّ صاحبكم وما غوى* تفيد أنه مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة في أي وقت وزمن كان.

*وما ينطق عن الهوى *٣ * :

أولاً نفى الفعلين السابقين بالماضي *ما ضلّ وما غوى* وهنا نفي بالمضارع يفيد الإستمرار والحاضر فلو قال *ما نطق عن الهوى* لاحتمل المعنى أنه نفى عنه الهوى في الماضي فقط ولم ينفه عنه فيما يستقبل من نُطقه. فقد نفى تعالى عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - الضلال والغواية في الماضي كله ونفى عنه الهوى في النطق في الحاضر والمستقبل فهو إذن - صلى الله عليه وسلم - منفيّ عنه الضلال والغواية في السلوك وفيما مضى وفي المستقبل.

ما دلالة الحرف عن في قوله *وما ينطق عن الهوى* ؟ فالنطق عادة يكون بالباء *كتابنا ينطق بالحقّ* أما هنا فجاءت *عن* ومعناها ما ينطق صادراً عن هوى يعني إن الدافع للنطق ليس من هوى وهو بمنزلة تزكية للنفس القائلة لأن الإنسان قد ينطق بالحق لكن عن هوى *حق أريد به باطل* يعني الدافع هوى *ناطق عن هوى* . وهكذا زكّى الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بتزكية الدافع للقول فالدافع له زكي صادق ونطقه صادق أيضاً وعليه جاءت الآية *وما ينطق عن الهوى* .

*إن هو إلا وحي يوحى *٤ * :

إن هي أقوى ما في النفي وأقوى من ذلك أن تأتي *إن* و *إلاّ* معاً. مسألة الوحي هي المسألة الأساسية التي بين الإيمان والكفر فجاء سبحانه بأقوى حالات الإثبات لأن الوحي كان سبب المسألة الخلافية بين الكفّار والرسول ?. والإنسان قد ينطق غير صادق عن هوى لكن ليس بالضرورة أن يكون كلامه كله حقاً وصدقاً حتى ولو كان دافعه دافع إخلاص. فبعد أن زكّى سبحانه الدافع *ما ينطق عن الهوى* ثبّته أنه وحي *إن هو إلا وحي يوحى* . واستخدام الضمير *هو* يعود على النطق معناه ما نُطقه إلا وحي يوحى.

*علّمه شديد القوى *٥* ذو مِرّة فاستوى *٦ * :

الوحي بالعربية قد يكون إلهاماً مثل الوحي لأم موسى بإلقاءه في اليم، والوحي للنحل، ولشياطين الإنس والجنّ* فأراد سبحانه أن يقطع أي فكرة فقال *علّمه شديد القوى* بمعنى أنه ليس إلهاماً ولكنه وحي علّمه إياه شديد القوى *وعلّمك ما لم تعلم* نسب العلم إلى الله سبحانه أنه هو المُعلّم.

وفي ذكر الوحي يجب ذكر المسؤول عن إيصال الوحي وهو جبريل عليه السلام، فالله تعالى هو المُعلّم الأول عندما ذكر أن كلامه وحي كان من الداعي أن يذكر من علّمه وأوصل العلم إليه. وفعل علّمه تفيد المداومة والتكثير على خلاف أُعلّمه. كل الآيات السابقة مبنية على عدم ذكر اسم الفاعل *ما ضل صاحبكم، ما ينطق، علمه شديد القوى* وذكر وصفين *شديد القوى وذو مِرّة * والمِرّة قد تأتي بمعنى العقل والإحكام والحصانة والإستحكام وتأتي بمعنى القوة أيضاً فلماذا اختار سبحانه هذين الوصفين *شديد القوى وذو مِرّة * ؟ هاتان الصفتان فيهما إشارة أن الخروج إلى أقطار السماوات يحتاج إلى أمرين هما القوة والعلم والرسول ? في رحلته في أقطار السماوات يحتاج إلى قوة شديدة وإلى إحكام وعقل وهنا إشارة إلى تمكّن جبريل ? من حفظ الرسول ? في رحلته فكان قوياً في حفظ الرسول ? ومحكماً في حفظ الوحي وكل حفظ يحتاج إلى قوة وعقل وإحكام. وهذه الرحلة *المعراج* في أقطار السماوات والأرض أما في سورة الرحمن *إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسطان* لأن الخروج من أقطار السماوات والأرض فيها تحدّي وتحتاج إلى سلطان القوة والعلم.

*ذو مرة فاستوى *٦* وهو بالأفق الأعلى *٧* ثم دنا فتدلّى *٨ * :

تحديد مكان الإستواء. أولا استوى تعني اعتل وأستقام وتهيّأ. ينزل جبريل ? إلى الرسول ? يتدلّى إليه ويصحبه بعد أن تهيّأ لذلك من الأفق الأعلى *وليس العالي* وهذا حتى يليق بمقام النبوة وهذا فيه ثناء على جبريل ? أنه استعدّ للأمر قبل أن يأتي ويقوم بمهمته وفيه تكريم للرسول ? لأن مقام الشخصية يستدعي زيادة التهيأة والإستعداد وحسنه واستعد لذلك من الأفق الأعلى *استعد جبريل ? للأمر قبل أن ينزل وفيه إشارة إلى عِظم المهمة وعِظم الزائر وهو الرسول ?* .

هذه الآية في سورة النجم ذكرت *الأفق الأعلى* وفي آية سورة التكوير ذكر *الأفق المبين* فما الفرق بينهما؟

في آية سورة النجم يُراد بالآيات والرحلة العروج إلى الأفق الأعلى وهو المكان الذي سيعرُج إليه الرسول ?. أما في آية سورة التكوير *ولقد رآه بالأفق المبين* فالأفق المبين تدل على الإبانة الواضحة وهي مناسبة لما تبعها في قوله تعالى *وما هو على الغيب بضنين* على أنه ? ليس بضنين ولا بخيل فالرسول ? مبين ليس بضنين والأفق مبين أيضاً.

*ثم دنا فتدلّى *٨* فكان قاب قوسين أو أدنى *٩ * :

ثم دنا فتدلّى فيها تكريم للرسول ? لأن الدنو غير التدلي فالدنو هو القرب من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل وغيره أما التدلّي فلا يكون إلا من أعلى لأسفل. ومعنى أن جبريل ? تدلّى للرسول ? فهذا في غاية التكريم له. العرب تقول في القرُب أشياء كثيرة كناية عن القرب فلماذا اختار سبحانه قاب قوسين أو أدنى؟ اختيار قاب قوسين تدل على القرب والقوس هي في حد ذاتها لا بد أن تكون قوية شديدة والوتر لا بد أن يكون قوياً شديداً والرامي ينبغي أن يكون قوياً مُسدداً فالقوس يحتاج إلى إحكام في التسديد والإنطلاق وهذه كلها عناصر الرحلة وقد سبق قوله تعالى *شديد القوى * ذو مِرّة فاستوى* والقوس شديد ويستعمله قوي شديد والرحلة وهي الإنطلاق لذا جاء استعمال قاب قوسين أو أدنى.

*فأوحى إلى عبده ما أوحى *١٠ * :

نفس الكلام الذي ورد في أسرى بعبده ينطبق على ورود كلمة عبده هنا في هذه الآية . تستخدم كلمة *عبد* على مجموع الجسد والروح وهنا إثبات على أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد

وإلاّ فأين المعجزة ! ولو كان بالروح فقط لما كذّبه الكفار فهم عرفوا وتأكدوا أن الرحلة تمّت بالروح والجسد معاً.

الإنسان لما يقول عن نفسه أنا عبد الله هذا تواضع والله تعالى لما يقولها عن عبد يكون تكريماً *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً *١* الإسراء*فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *١٠* النجم*وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ *١٧* ص* هذا من الله تكريم ولذلك لاحظ يقولون لما قال *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً* لما ذكر كلمة عبد عرج به إلى السماوات العلى وإلى سدرة المنتهى ولما ذكر موسى باسمه قال *وَخَرَّ موسَى صَعِقًا *١٤٣* الأعراف* إذن وكأن مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.

*ما كذب الفؤاد ما رأى *١١* أفتمارونه على ما يرى *١٢ * :

ما اللمسة البيانية في اختيار كلمة *المراء* ؟ ورد قبل هذه الآية قوله تعالى *ما كذب الفؤاد ما رأى* اختيار لفظ الفؤاد هو من التفؤد والتوقّد *يقال فأد اللحم بمعنى شواه* اختار الفؤاد لأن فؤاده ? متوقّد ليرى كل ما حوله. أما في قوله *ما كذب الفؤاد ما رأى* وهو القلب المتوقّد الحار لم يقل لبصره أنه واهم فيما يرى، فؤاده ? صدّق بصره يعني ما رأيته ببصرك لم يشكك به الفؤاد على توقّده فقد صدق الفؤاد البصر وما يراه البصر هو حق صادق.

المرية : فيها شك. لم يقل سبحانه أفتجادلونه إنما قال أفتمارونه لأن المِرية تختلف عن الجدال، فالكفار كانوا يشككون في الرواية وليس في الأفكار كما في قوله *إن الذين يمارونك في الساعة *يمارون في الساعة * أي يجادلون في الساعة لأن لا أحد رآها، أما الرؤية فهي ليست موضوع نقاش في هذه السورة *أفتمارونه على ما يرى* أي لا يُمارى على رؤيته - صلى الله عليه وسلم - والملاحظ هنا استخدام حرف *على* أما في الآية السابقة استخدم الحرف *في* .

*ولقد رآه نزلة أخرى *١٣* عند سدرة المنتهى *١٤* عندها جنّة المأوى *١٥ * :

استخدم كلمة نزلة وليس كلمة *مرّة * لأن النزلة من النزول فقال ولقد رآه نزلة أخرى أي عند نزوله - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل وهذا دليل على أنه - صلى الله عليه وسلم - صعد إلى مكان أعلى من الذي وصل إليه جبريل وفي رحلة عودته - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل عند نزوله وهذا مصداق الحديث أن جبريل - عليه السلام - قال للرسول - صلى الله عليه وسلم - تقدم وقال لو تقدمتُ لاحترقت.

اختيار سدرة المنتهى: المنتهى هي آخر شيء وآخر نقطة ومكانها عند جنّة المأوى.

*إذ يغشى السدرة ما يغشى *١٦ * :

وفي هذه الآية أمور لا نعرفها نحن فالله أعلم بمجريات هذه الرحلة وما فيها وما رآه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيها وما في السدرة وما يغشاها.

*ما زاغ البصر وما طغى *١٧ * :

زاغ من الزيغان وهو الذهاب يميناً وشمالاً أما الطغيان فهو مجاوزة الحدّ والقدر والتطلع إلى ما ليس له. بمعنى أنه ? في رحلته ما مال بصره ولا جاوز قدره بل وقف في المكان الذي خُصص له وفي هذا مدح للرسول ? فقد وقف بصره في المكان المحدد له مع أن المكان يستدعي أخذ البصر والإلتفات. وقد سبق أن نفى الله تعالى عن رسوله ? الضلال والغواية في الأرض وكذلك نفى عنه

أن يكون زاغ بصره أو طغى في السماوات فهو لم يتجاوز لا في الأرض ولا في السماء فسبحان الله تعالى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***لقد رأى من آيات ربه الكبرى *١٨ * :**

***مِن* يقال لها التبعضيّة . لم يرى كل شيء لكن الرحلة كان لها منهجاً معيناً وجاء بالكبرى فيه تكريم آخر للرسول ? أنه رأى بعض الآيات الكبرى. والسورة كلها فيها تكريم للرسول ? وهذه الآية مبنية على الإبهام وهذا الإبهام للتعظيم. وأورد ما فسّره الشيخ الشعراوي رحمه الله فهو في خواطره يرى أن الرسول ? رأى من آيات ربه الآية الكبرى والله أعلم بهذا.**

آية *٢٢* :

*** ما اللمسة البيانية في كلمة ضيزى في آية سورة النجم *تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى *٢٢ * ؟**

د. فاضل السامرائي

معناها جائرة ظالمة . ويقولون أصلها ضُيزى يقولون هو من باب اسم التفضيل، الأفعل والفعلى للمؤنث أكبر كبرى، أصغر صغرى وهذه ضيزى وزنها فُعلى في الأصل لكن الضمة قلبت كسرة حتى تبقى صحيحة ، الضاد مضمومة في الأصل تغيّرت إلى كسر ضيزى وهي كلمة عربية لأن ضاز معناه جار. عندنا فعلين: ضاز يضيز بمعنى جار وضاز يضوز بمعنى لاك الشيء ومضغه، الدلالة متغير تماماً لكن هذا الاختيار لأن ضيزى ليس فقط جائرة وإنما هذا تلوكونه بألسنتكم وتمضغونه وليس له قيمة فجاء بهذه الكلمة الغريبة لأنها قِسمة غريبة وهي من الكلمات الغريبة استعملها لأنها قسمة غريبة *أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى *٢١* النجم*وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ *٥٧* النحل* فاختار الكلمة الغريبة للقسمة الغريبة . إذن ضيزى تحتمل الدلالتين قسمة جائرة غير عادلة ويلوكونها بدون معرفة .

آية *٢٣* :

*** ما الفرق بين *مانزل الله بها من سلطان* و *مأنزل الله بها من سلطان* ؟**

د. فاضل السامرائي

أنزل ونزّل قسم غير قليل يفرق بينهما أنه نزّل تفيد التدرج والتكرار وأنزل عامة ويستدلون بقوله تعالى *نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ *٣* آل عمران* وقالوا لأن القرآن نزل منجماً مفرقاً والتوراة والانجيل أنزلتا جملة واحدة فقال أنزل. ردوا التدرج بقوله تعالى *وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً *٣٢* الفرقان* لأن أنزل عامة سواء كان متدرجاً أو غير متدرجاً، كلمة أنزل لا تختص بالتدرج ولا بدون تدرج. السؤال يقولون الإنزال عام لا يخص التدرج أو غير التدرج لكن التنزيل هو الذي يخص التدرج، نزّل الذي فيه التدرج *إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ *١* القدر* أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، هناك مراحل لنزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل منجماً. ردوا التدرج في نزّل التدرج في نزّل وقالوا *وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً *٣٢* الفرقان* هذا ليس فيه تدريج *لولا هنا من حروف التحضيض* . لكن الذي يبدو أن الفرق بين نزّل وأنزل أنه نزّل تفيد الاهتمام نظير وصى وأوصى وكرّم وأكرم ففي المواطن التي فيها توكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ *نزّل* والتي دونها يأتي بـ *أنزل* .

نضرب أمثلة : قال تعالى في الأعراف *قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ *٧١ * وقال في يوسف *مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ *٤٠ * وقال في النجم *إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى *٢٣ * . ننظر السياق في الأعراف فيها محاورة شديدة حيث قال *قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *٧٠* قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ *٧١ * فيها تهديد، كلام شديد من أولئك كيف تتركنا نترك آلهتنا ونعبد الله فقال *نزّل* .

في سورة يوسف قال تعالى *مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ *٤٠ * لم يردّ عليه السجينان وليس فيها تهديد إذن الموقف يختلف عن آية سورة الأعراف فقال أنزل. في النجم *أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى *١٩* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى *٢٠* أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى *٢١* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى *٢٢* إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى *٢٣ * لم يردّوا عليه ولم يكن هنالك محاورة ولا تهديد، إذن الأشد *نزّل* ،. إذن نزّل آكد وأقوى في موطن الاهتمام أشد من أنزل.

آية *٢٥* :

* التوكيد بـ *اللام* في كلمة *للآخرة * في سورة الليل فيه اختلاف مع آية سورة النجم *فلله الآخرة والأولى* فما الحكم البياني في هذا التوكيد؟

د. فاضل السامرائي

التوكيد في سورة الليل جاء مناسباً لسياق الآيات، فسياق الآيات في ورة الليل جاء كله في الاموال وامتلاكها والتصرف فيها *فأما من أعطى* والمعطي لا بد أن يكون مالكاً لما يعطيه، *وأما من بخل واستغنى* والبخيل هو أيضاً مالك للمال لأنه لو لن يكن يملكه فبم يبخل؟ وكذلك الذي استغنى وهو من الغنى ثم ذكر المال *وما يغني عنه ماله إذا تردى* و *الذي يؤتي ماله يتزكى* فالسورة كلها في ذكر الاموال وتملكها والتصرف فيها فلذا ناسب التوكيد باللام هنا لأن الآخرة والأولى من الملك لله حصراً. أما في سورة النجم فسياق الآيات ليس في المال ولا في التملك أصلاً فلم يؤكد باللام.

آية *٣٢* :

* ما الفرق بين التزكيتين *قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا *٩* الشمس*فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى *٣٢* النجم* وما معنى التزكية في القرآن الكريم؟

د. فاضل السامرائي

كثير من الكلمات يسمونه من المشترك اللفظي بحيث له أكثر من معنى يصح في حال وآخر قديكون منهياً عنه. زكّى نفسه بها معنيين: طهّرها ومنه الزكاة *خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا *١٠٣* التوبة * والزكاة هي النماء في الحقيقة والتطهير شيء آخر. قد أفلح من زكاها أي

طهّر نفسه. *فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ* زكّى نفسه أي نسبها إلى التزكية قال أنا جيّد أنا خير من كذا ففي هذه الحالة لا يجوز فقال تعالى لا تزكوا أنفسهم لا تقولوا أنا أحسن من هذا أنا أفضل لأنه تعالى أعلم بمن اتقى. مثل فعل قوّم بمعنى عدّل وقوّم بمعنى أعطى للشيء قيمة كم تقوّم هذه الساعة مثلاً؟ أو هذه السلعة ؟ ثوّم السلعة أي بيّن مقدار قيمتها. قوّم ولا تقوّم يعني عدّلها لكن لا تقوم قيمتها فإذن هذه من المشترك وكل واحدة لها معنى. قد أفلح من زكاها أي طهّرها، لا تزكوا أنفسكم أي لا تفتخر بنفسك وكل واحدة لها معنى.

استطراد من المقدم: لاحظت أنك تقول مشترِك لفظي لا مشترَك فلماذا؟ يقال مشترِك، اشترك فعل لازم ليس متعدياً فاللازم إما أن يُبنى على حاله إذا جعلنا اسم المفعول يجب أن نقدر هنالك شيء إما جار ومجرور مشترك في التعبير كما نقول اشترك في كذا فيصير مشترَك فيه يعني مشترَك في شيء أي المشترَك في أمر من الأمور أما إذا اشترك في المعنى يصير مشترِك لو قدّرنا الفعل لازماً بدون تقدير نقول مشترِك كما في قوله *فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ *٣٣* الصافات*.

آية *٤٥* :

* ما الحكمة في عدم استخدام كلمة الزوجين في الآية *وما خلق الزوجين الذكر والأنثى* في سورة الليل؟ كما يأتي في معظم الآيات التي فيها الذكر والأنثى كقوله تعالى: **فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى*سورة القيامة * وقوله: *وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى*سورة النجم* ؟

د. فاضل السامرائي

إذا استعرضنا الآيات في سورة القيامة نرى أن الله سبحانه وتعالى فسر تطور الجنين من بداية *ألم يك نطفة * إلى قوله *فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى* فالآيات جاءت إذن مفصلة وكذلك في سورة النجم *وأنه هو اضحك وأبكى* إلى قوله *انه خلق الزوجين الذكر والأنثى* . لقد فصل سبحانه مراحل تطور الجنين في سورة القيامة وفصل القدرة الالهية في سورة النجم أما في سورة الليل فإن الله تعالى أقسم بلا تفصيل هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قوله تعالى *إن سعيكم لشتى* يقتضي عدم التفصيل وعدم ذكر الزوجين. لماذا؟ لأن كلمة الزوج في القرآن تعني المثيل كقوله تعالى *وآخر من شكله أزواج* وكلمة شتى تعني مفترق لذا لا يتناسب التماثل مع الافتراق فالزوج هو المثيل والنظير وفي الآية *إن سعيكم لشتى* تفيد التباعد فلا يصح ذكر الزوجين معها. الزوج قريب من زوجته مؤتلف معها *لتسكنوا إليها* وكلمة شتى في الآية هنا في سورة الليل تفيد الافتراق. فخلاصة القول إذن أن كلمة الزوجين لا تتناسب مع الآية *وما خلق الذكر والأنثى* من الناحية اللغوية ومن ناحية الزوج والزوجة لذا كان من الانسب عدم ذكر كلمة الزوجين في الآية .

* تناسب فواتح النجم مع خواتيمها*

قال في البداية *وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *١ * الله تعالى لا يحتاج إلى قسم وإنما هو يقسم بمخلوقاته تعظيماً لما يخلق ثم مناسبة لجواب القسم. وقد كُتِبت في أقسام القرآن *التبيان في أقسام القرآن* يذكر المناسبة بين القسم وما أقسم عليه. *وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *١* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى *٢ * الضلال سقوط والغواية سقوط وهوى يعني سقط، إذن ليس قَسَماً عشوائياً وإنما لغرض معين وحكمة ومتناسبة مع ما ورد في السورة من قَسَم. *وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *١* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى *٢* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *٣* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى *٤ * وفي الآخر *هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى *٥٦ * لا ضلال ولا غواية ، هذا نذير مما ذكره الأنبياء السابقون والرسل وما أنذروا به أقوامهم إذن هو ليس ضلالاً ولا غواية ولا نطقاً عن الهوى وإنما هو وحي يوحي، هذا النذير واحد

من النذر الأولى وليس ضلال ولا غواية ولا نطق عن الهوى ، هذا نذير من النذر الأولى . *أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ *٥٩* وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ *٦٠ * هو في أول السورة ذكر المعراج *أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى *١٢ *لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى *١٨ * فكانوا يضحكون ولا يصدقون، أفمن هذا الحديث أي المعراج تعجبون، أفتمارونه على ما يرى أي تجادلونه، المراء من الجدل، هو يرى فهل يجادَل على ما يرى ؟!. *أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ *٥٩* وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ *٦٠ * ذكر لهم أهل الجنة وأهل النار والذي حصل لهم وكأن المفروض أنهم يروا أنفسهم أين هم والنار وما فيها تهددهم؟ ينبغي أن تبكوا على أنفسكم ولا أن تضحكوا وأنتم سامدون عابثون! انظروا أين مصيركم أفتضحكون من هذا الحديث؟! هم يضحكون سخرية والحريّ بهم أن يبكوا.

آخر آية *فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا {س} *٦٢ * الآيات الأخيرة مرتبطة بسياقها هي في المكان الذي وردت فيه وهي مرتبطة أيضاً بالأول وكلٌ له دلالة ، في سياقها بما ورد من سياق فتكمل سياقها وتبيّنه وترتبط بأوائل السورة بدلالة أوائل السورة . في الأول قال *أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى *١٩* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى *٢٠ * هذه آلهة هم يعبدونها *فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا* يعني دعكم من هذه الآلهة . *أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى *٢١* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى *٢٢ * ذكر معتقداتهم كأنه يصور الله تعالى ما حالهم عليه من الضلال ثم يقطع بالصواب *فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا* أي دعكم من هذه الآلهة . إما قد يكون تبيان وتوضيح أو إضافة أو تفصيل بعد إجمال.

سؤال: ماذا ينبغي على المسلم أن يفعل حينما يستمع إلى هذا الكلام أو يقرأه؟

عليه أن يزداد من التدبر والتفكير ومن العبرة والاتعاظ. أن يعتبر ويتعظ ويبادر إلى الزيادة في طاعة الله سبحانه وتعالى .

* تناسب خواتيم النجم مع فواتح القمر*

في خاتمة النجم *أَزِفَتِ الْآزِفَةُ *٥٧* لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ *٥٨ * الكلام عن الساعة وفي القمر *اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ *١ * ، أزفت الآزفة الكلام عن الساعة و *اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ *١ *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦* خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧ * الكلام عن الساعة ، الآزفة هي ما ذكرها وبيّنها في بداية سورة القمر، الآزفة هي الساعة وأزفت الآزفة يعني اقتربت وقال اقتربت الساعة .

أزفت الآزفة *اقتربت الساعة * أليس يعتبر هذا صورة من صور التكرار؟ الدلالة واحدة لكن الأسلوب في التعبير مختلف؟ كلا، هو ذكر في سورة القمر ما لم يذكره في النجم، هناك إشارة وهنا توضيح، هناك لم يقل *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ* وهنا بيّنها، هناك لم يقل وانشق القمر ذكر أموراً لم يذكرها، هناك ذكر كلاماً عاماً وهنا ذكر توضيحاً لما ذكره فيما تقدم كأنها مقدمة *أزفت الآزفة * هذه مجرد إشارة ، إذن في النجم إشارة وفي القمر توضيح *يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦ * هذه لم تذكر في النجم، كأنه تبيين لما ذكره، كأنما هي بعدها في التوضيح وكأنها من سورة واحدة متصلة .

سورة القمر

* تناسب خواتيم النجم مع فواتح القمر*

في خاتمة النجم *أَزِفَتِ الْآَزِفَةُ *٥٧* لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ *٥٨ * الكلام عن الساعة وفي القمر *اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ *١ * ، أزفت الآزفة الكلام عن الساعة و *اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ *١ *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦* خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧ * الكلام عن الساعة ، الآزفة هي ما ذكرها وبيّنها في بداية سورة القمر، الآزفة هي الساعة وأزفت الآزفة يعني اقتربت وقال اقتربت الساعة .

*أزفت الآزفة *اقتربت الساعة * أليس يعتبر هذا صورة من صور التكرار؟ الدلالة واحدة لكن الأسلوب في التعبير مختلف؟ كلا، هو ذكر في سورة القمر ما لم يذكره في النجم، هناك إشارة وهنا توضيح، هناك لم يقل *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ* وهنا بيّنها، هناك لم يقل وانشق القمر ذكر أموراً لم يذكرها، هناك ذكر كلاماً عاماً وهنا ذكر توضيحاً لما ذكره فيما تقدم كأنها مقدمة *أزفت الآزفة * هذه مجرد إشارة ، إذن في النجم إشارة وفي القمر توضيح *يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦ * هذه لم تذكر في النجم، كأنه تبيين لما ذكره، كأنما هي بعدها في التوضيح وكأنها من سورة واحدة متصلة .

* هدف السورة : التعرّف على الله من خلال النقم*

هذه السورة تتحدث بمعظم آياتها على نماذج لمن كذّب بآيات القرآن وتحمل السورة طابع التهديد والوعيد والإنذار مع صور شتّى من مشاهد العذاب والدمار. وقد تكرر فيها ذكر *فكيف كان عذابي ونذر* وكذلك *ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر* وتحدثت عن قوم نوح *وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ* آية ١٢، وقوم عاد *إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ* آية ١٩، وقوم ثمود *إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ* آية ٣١، وقوم لوط: *إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ* آية ٣٤، وآل فرعون: *كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ* آية ٤٢ - وكلها تتحدث عن كيفية غضب الله تعالى لنتعرف عليه من خلال النقم التي لحقت بمن كذّب بهذا القرآن. وقد ختمت السورة بآية بيّنت مآل السعداء المتقين لتحافظ على توازن اسلوب القرآن في الترغيب والترهيب *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ* آية ٥٤.

* من اللمسات البيانية فى سورة القمر *

آية *٦* :

* ما الفرق بين نُكر ونُكُر *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦* القمر*؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦* القمر* جاءت نُكُر بضم الكاف هنا ولا تصلح هنا مع الفاصلة أن تأتي نُكر وفي الحقيقة أن صيغة فُعُل غير صيغة فُعْل بتسكين العين ولكا

منها دلالة خاصة . يقال باب فُتُح أي مفتّح لا يُغلق ويقال من وجد باباً مُغلقاً فإن هناك بابَفُتُحا هو باب الله. ويقال قارورة فُتُح أي ليس لها غطاء أصلاً.

صيغة فُعُل أبلغ من فُعْل لأن فيها توالي ضمّتان ونُكُر أبلغ وأشد في النكارة من نُكر بتسكين الكاف ولو لاحظنا ما ورد في الآيات التي فيها نُكر ونُكُر نجد أنه صحيح أن الفاصلة تقتضي كلاً من التعبيرين والعبارتين أو الوزنين لكن الدلالة تختلف.

في قوله تعالى *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦* القمر* هذه في الآخرة وهي غير مألوفة والصوت الذي يدعوهم إلى الخروج غير مألوف فالأمر مُستغرب زلم يسمعوا به والدعور هائلة والأمر غير مألوف فيما سبق من حياتهم *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * ليس له نظير فجاء بـ *نُكُر* شديد النكارة ولم يقل نُكر بتسكين الكاف.

أما في قوله تعالى *قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا *٨٧ * في سورة الكهف لم يقل نُكُراً علماً أن الحديث في الآخرة أيضاً وهذا لسببين:

أولاً قال *أما من ظلم* ولم يقل من كفر وليس بالضرورة أن الظالم هو كافر كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر.

والأمر الآخر أنه قال *فسوف نعذّبه* إذن سينال عذاباً في الدنيا فإذا كلن العذاب مُجزياً في الدنيا سقط عنه في الآخرة وإذا لم يكن مجزياً عُذب في الآخرة . وإذا قام على أحد الحدّ في الدنيا لا يُعذب في الآخرة . فهذا العذاب نكارته ليس بتلك الشدة التي في آية سورة

أما في قوله تعالى *فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا *٧٤ * قتل النفس في الأرض كثير وليس مستغرباً كالأمر في آية سورة . فالقتل يحصل رغم استنكاره.

وفي قوله تعالى *وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا *٨* الطلاق* هذا في الدنيا كالصيحة أو الخسف أو غيرها وليس في الآخرة وليست بنكارة ما في الآخرة .

واختلاف الصيغ كثير منها عسِر وعسير لكا منهما دلالة خاصة وطويل وطوال تقال مثلاً إذا كان شخصان كلاهما طويل لكن أحدهم أطول من الآخر فيقال له طوال إذا كان بالغ الطول.

آية *٧* :

* ما الفرق بين خشعاً ابصارهم وخاشعة أبصارهم وأبصارها خاشعة *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* القمر*، *خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *٤٤* المعارج*، *خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ *٤٣* القلم*أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ *٩* النازعات*؟

د. فاضل السامرائي

خُشّع هذا الجمع على وزن فُعّل. والخشوع هو الإنكسار والذلة ويكون للإنسان عموماً وللقلوب وللأبصار والوجوه *وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ *٢* الغاشية * يظهر فيها الذلة والإنكسار، *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *٢* المؤمنون* خشوع عام في القلب والجوارح. خُشّع جمع مفردها خاشع مثل

سُجّد ساجد. قال خاشعة أبصارهم وخشّعاً أبصارهم، في الايتين في السؤال *خاشعة أبصارهم*خشعاً أبصارهم* خشع جمع على وزن فعل هذا الوزن يفيد التكثير والمبالغة نظير قولنا في المبالغة مثل قُلّب، نقول هذا رجُل قُلّب أي كثير التقلب وسريع التقلب، وبَرْق خُلّب أي ليس فيه مطر، ورجُل حُوّل أي كثير التحوّل. هذه من صيغ المبالغة وهي أكثر من فُعَلة هُمزة لُمزة . في المفرد من صيغ المبالغة ، هذه جمع خشعاً ابصارهم أي فيها مبالغة الخشوع. هذا المعنى اتضح الفرق بين خاشع وخُشّع، خاشعة اسم فاعل وخُشّع هي جمع يفيد التكثير ومفرده في الأصل على وزن فُعل يفيد المبالغة والتكثير مثل خُلّب وقُلّب.

هذا الفرق في الدلالة ، يبقى سبب الإختيار لماذا هنا قال خُشّعاً وهنا خاشعة ؟ نقرأ الآية في سورة القمر *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦* خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * أولاً قال *شيء نكر* نُكُر أي شديد النكارة غير مألوف ولا معروف صيغة فُعُل من صيغ المبالغة الدالة على شدة النكارة غير المألوفة وغير المعروفة ، هذا واحد ثم تقديم الحال *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ* وفي الآية الثانية كلها مؤخرة *يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ *٤٣* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *٤٤ * الحال متأخرة بينما في القمر الحالة المتقدمة لشدة الأمر *خشعاً* حال دالة على الكثرة وشيء نكر ومتقدمة . *يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨* القلم* مهطعين أي مسرعين مادّي أعناقهم خائفين ولم يذكر في الآية الثانية مثل هذه الأشياء. *يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ* كلها تدل على الموقف والهول وشدة النكارة فقال *خشعاً أبصارهم* فجاء بالصيغة التي تدل على الكثرة والمبالغة وقدّمها.

أقصى ما قال في الآية الثانية في سورة المعارج *كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ* هذه يشاهدونها، يسرعون إلى أصنامهم حالة مألوفة لكن لما قال *إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ* هذا غير مألوف شديد النكارة غير معروف *يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * أيها الإنسب لمن يعرف اللغة أين نضع خشعاً وخاشعة ؟ يضعها في مكانها هذه موازين كالمعادلة الرياضية قدم خشعاً وخاشعة على الإبصار أما في آية *أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ *٩* النازعات* هذه إخبار مبتدأ وخبر.

* وردت كلمة أجداث في القرآن ثلاث مرات والقبور ثماني مرات فما هناك فرق بين الجدث والقبر؟

د.حسام النعيمي

حقيقة هم يقولون لما نأتي إلى معجمات اللغة أي معجم يعني من اللسان إلى الصحاح الواسعة والموجزة يقول لك: الجدث القبر فالأجداث القبور. لكن السؤال لماذا استعمل القرآن الأجداث هنا ولم يستعمل القبور؟ صحيح الأجداث هي القبور لكن نريد أن نعرف حقيقة كان بإمكان القرآن أن يقول *يخرجون من القبور* بدل ما يقولون *من الأجداث* طبعاً علماء اللغة يقولون القبر عام عند العرب كلمة قد يستعملها قبائل اليمن قبائل العرب وما بينهما وقبائل الشام. أما الجدث فالأصل فيه أنه لهذيل. هذيل قبيلة في وسط الجزيرة يعني من القبائل التي أُخِذ منها العربية وتميم أيضاً في وسط الجزيرة لكن الفرق أن الهُذلي يقول جدث بالثاء والتميمي يوقل حدف بالفاء. لاحظ تقارب الثاء والفاء، قريش أخذت من هذيل وصارت تستعملها ونزل القرآن بها. هؤلاء الذين في وسط الصحراء أرضهم رملية فتخيل عندما ينشق القبر تتشقق هذه القبور وكلها رمال ماذا سيكون؟ سيكون نوع من طيران الرمال في الجو لتشققها هذا يتناسب مع صوت الثاء بما فيه من نفث. لما

نقول جدث وأجداث الثاء فيه نفخ بخلاف قبر وقبور فيها شدة ، فيها حركة لكن فيها شدة ليس فيها هذه الضوضاء ولذلك لم يستعمل الأجداث إلا في بيان مشاهد يوم القيامة بينما كلمة قبر وقبور استعملت في الدنيا والآخرة *إذا القبور بعثرت* يعني ما صوّر لنا الصورة . لاحظ الصور أنا جمعت الآيات الثلاث: هي في ثلاثة مواضع وكلها في الكلام على النشور يوم القيامة وعلى الخروج من القبور أو من الأجداث،

الآية الأولى *وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ *٥١* يس* : يعني جماعات جماعات أفواج ينسلون يتجهون يسرعون في الخروج.

الآية الثانية *خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧* القمر* : أيضاً يوم القيامة وأيضاً فيه هذا الانتشار وسرعة الحركة للجراد كأنهم جراد منتشر.

الآية الثالثة *يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ *٤٣* المعارج*: هذا كله في مشهد يوم القيامة في الحركة والانتفاض. لم تستعمل كلمة جدث وما استعمل أي اشتقاق من اشتقاقاتها استعمل فقط أجداث. وفي هذه الصورة صورة مشهد يوم القيامة . بينما كلمة قبر لأنها عامة استعمل منها الفعل *ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ *٢١* عبس* واستعمل المفرد *وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ *٨٤* التوبة * هذا في الدنيا، المقابر في الدنيا، القبور وردت خمس مرات.

آية *٨* :

* ما دلالة استخدام صيغة *عَسِر* في آية *٨* سورة القمر؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة القمر *مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * .

من أوزان الصفة المشبّهة فعِل وفعيل فتأتي هاتين الصفتين للمبالغة أو صفة مشبّهة ، يُقال فرِح وطويل.

وعَسِر غير عسير والكم في موضوع الصيغة المشبهة ودلالاتها ومعانيها طويل لكن نتحدث عنه بشكل موجز هنا. نقول مثلاً صيغة أفعل مثل أحمر تستعمل للنعوت والحُلى الظاهرة .

عسِر تستعمل للأشياء الداخلية ، بينما أعسر تستعمل للصفات الظاهرة والجسمية .

مثل شريف وأشرف: أشرف تعمي المرتفع الكتفين، وكذلك رئيس وأرأس بمعنى رأسه كبير. مليح بمعنى جميل وأملح بمعنى أبيض اللون. أسِف *فرجع موسى غضبان أسِفا* من الاندفاع وجاء في قول عائشة عن أبيها *إن أبا بكر رجل أسيف* هذه ليست حالة عارضة وإنما وصف له. وكذلك كبمة بطِن *بمعنى لا يهمه إلا بطنه* وبطين *بمعنى كبير البطن واسعه* ، نشِط *مندفع وهي حالة اندفاعية * أما نشيط فهي صفة عامة .

فكلمة عَسِر غير عسير فيقال عسِر عليه الأمر فهو عسِر فالأمر خاص به قد يكون عسِراً عليه لكنه ليس كذلك على غيره فقد يعسر أمر ما على طفل ولا يعسر على من هو أكبر منه.

أما عسُر الأمر: الوصف فيه عسير ويدل على الثبوت خِلقة أو اكتساباً *طويل، خطيب* ويُقال فقُه الرجل فهو فقيه *حالة ثبات* ويقال فقِه الرجل المسألة *تحديداً وليس على الاطلاق* فهو لها فاقِه أو فقِه.

فكلمة عسير تقال عندما يكون الأمر عسير في ذاته صعب أما عسِر فهو نسبي. وقد وصف تعالى قول الكافرين الذين يقولون *هذا يوم عسِر* لأنه نسبي لهم والله تعالى ييسره على من يشاء. هو لا شك يوم عسير كما وصفه تعالى في سورة المدّثر *فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ *٩* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ *١٠ * فهو على الكافرين عسير لكن قد لا يكون كذلك على غيرهم. ولو لم يحدد الله تعالى أنه عسير على الكافرين لكان عسيراً على الكل.

فكلمة عسِر وعسير اشتقاقهما من مادة واحدة *ع س ر* لكن المعنى اختلف باختلاف الصيغة .
عسِر وعسير وأعسر كلها صفات مشبهة لكن لكل منها معنى مختلفاً عن الأخرى.

آية *١١* :

* قال تعالى *وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ *٤٤* هود* في موقع آخر قال *فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ *١١* وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ *١٢* القمر* لم هنا قدم السماء على الأرض؟

في سورة القمر *فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ* . حتى تستكمل القصة لماذا بدأ بها *فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ *١٠* القمر* الآية هي *فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ* دعا ربه والداعي تفتح له أبواب السماء، دعا ربه ففتح أبواب السماء بماء منهمر هذه الإجابة كانت فعلية ، الدعوة تفتح لها أبواب السماء دعا ربه ففتحنا أبواب السماء هذه الإجابة ، في سورة هود ليس هناك أصلاً دعاء؟ *فَدَعَا رَبَّهُ* هذه الإجابة والفاء للسرعة ، هذه الإجابة لم يقل فتح أبواب السماء لدعوته فاستجبنا له وإنما قال *فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ* . في سورة هود ليس هناك دعاء *حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ *٤٠* هود*.

آية *١٣* :

* لماذا جاء وصف السفينة في سورة القمر على هذا النحو *وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ *١٣ * ولم يستعمل الفلك أو السفينة ؟

د. حسام النعيمي

يأتي بنا إلى الكلام على ما أطلق العلماء عليه الفاصلة القرآنية . العربي يميل بطبعه إلى رتابة النهايات في الجُمل لذلك جاء عنده السجع والسجع يراه كلاماً عالياً لما يكون الكلام مسجوع في النثر، والسجع هو أن تنهي الجمل بحرف واحد مثلما قال: من مات فات وكل ما هو آتٍ آت. وفي الشعر هناك القافية ، حرف الرويّ الذي هو فيها ملازم لحرف واحد يأتي. هذه طبيعة قبائل العرب يميلون إلى ذلك، يأنسون به، يرون فيه نوعاً - على قولهم - من الموسيقى يأنسون لها، هذه الرتابة كأنها رتابة سير الجمل يرفع قدمه ثم تستقر في موضع واحد.

هذه السورة لما نأتي إلى القرآن الكريم نجد نهايات الآيات أو ما يسمى برؤوس الآي تلزم في كثير من الأحيان حرفاً واحداً علماؤنا تحرّجوا أن يسمونه سجعاً أو أن يسموا ذلك قافية إبتعاداً بالقرآن عن لفظ السجع والقافية لأنه من كلام البشر فأطلقوا عليه كلمة الفاصلة القرآنية ، فواصل القرآن فجاءت على ما يأنس به العربي. لكن هل كانت الفاصلة مرادة لذاتها من غير علاقة بالمعنى ؟ الجواب قطعاً لا ولذلك - لعلنا ذكرنا هذا مرة - إذا كان المعنى يقتضي التضحية بالفاصلة فالآية تضحّي بالفاصلة . أمامنا نموذج، مثال، *إستطراد من المقدم سأل عن سورة الضحى فأجاب

الدكتور أن سورة الضحى لم يضحي بالفاصلة وإنما أراد الفاصلة لكنه مرتبط بالمعنى لما قال *ما ودعك ربك وما قلى * ما قال ما قلاك، حصل على الفاصلة لكن في الوقت نفسه نزّه ضمير الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أن يرتبط بالقلا الذي هو البغض* .

وحملناه على ذات ألواح ودُسُر : الدُسُر جمع دسار مثل كتب وكتاب والدسر أو الدسار العربي يستعملها لمعنى المسمار لأن أصل دسر بمعنى أدخل بقوة أو شدّ بقوة . إن أراد الإنسان أن يربط خشبتين بحبل لا بد أن تربط بقوة ، فهذه العملية يقولون دسر فإما بمعنى المسمار وإما بمعنى الحبل وقسم يقول حبل الليف على وجه الخصوص والظاهر أنه الليف لأن هذه الخيوط المترابطة التي تحتضن النخلة وتحصر السعف حتى لا يتساقط، فهذا ينسجون منه الحِبال. *حملناه على ذات ألواح ودسر* ذات ألواح ودسر يعني الفلك لكن لم يذكرها وإنما ذكر الصفة . حذف الموصوف وذكر الصفة . لدينا منه أمثلة : بيت للمتنبي الذي كان فارساً شاعراً وقتله بيتٌ من الشعر، قال:

مفرشي صهوة الحصان ولكن قميصي مسرودةٌ من حديد

مفرشي صهوة الحصان *المكان الذي يوضع عيله السرج* أي أنا هناك حتى من غير سرج ولكن قميصي *القميص مذكّر* مسرودة بالحديد *مؤنث* . كيف يقول المتنبي قميصي مسرودة ؟ قال: هو ما أراد القميص وإنما أراد أن يقول قميصي درعٌ مسرودة من حديد فحذف الموصوف وأبقى الصفة على غرار الآية :وحملناه على فلك هي ألواح ودسر.

لِمَ لم يقل فلك مع أنه استعمل الفلك *ويصنع الفلك* ؟ لو نظرنا إلى الجو العام جو رعب، جو خوف *فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ *١١* القمر* كأن السماء من حيث نظر الإنسان يرى باباً مفتوحاً من الماء، ما قال غيث لأن الإنسان لما يسمع كلمة مطر أو غيث يتخيل نقاطاً، قطرات، هذا ماء منهمر الذي يقولون عنه كأفواه القِرَب المفتوحة . *وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ *١٢* القمر* يعني كل ذرة من الأرض انفجرت عيوناً، الأرض كلها صارت عيوناً، *وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ *٤٢* هود* معناه هناك ريح تعصف بحيث تضرب الماء فيرتفع الماء فيكون أمواجاً هذا شيء مخيف. لو قال في فلك، الفلك مكان آمن خاصة إذا استعمل *في* ، الإنسان آمن في داخل السفينة . لكن أراد أن يقوي صورة الخوف والرعب فقال *على ذات ألواح ودسر* هي عبارة عن ألواح مشدودة وقال *وحملناه على * ما قال *في* فلما يتخيل الإنسان هذا المشهد، هو فوق ألواح ودسر وهذا الماء بهذا الشكل يزداد رعباً ويتذكر أن ذلك قدرة الله سبحانه وتعالى كيف حمل نوحاً ومن معه على هذه الألواح والدُسُر. هذا المعنى يفوت لو قيل في غير القرآن وحملناه على فلك أو في فلك أو في سفينة أو على السفينة يضيع هذا المعنى وإلا القرآن قادر أن يقول وحملناه في فلك ويضحي بالفاصلة كما ضحى بها في *وهو يهدي السبيل* ، لكن الصورة تختلف. تخيل الإنسان الذي تقدّم بالعمر يتذكر أن أناساً كانوا ينقلون بضائعهم بين المدن التي على النهر عن طريق ألواح ودسر حتى عندنا يسمونهم بالعامية الكلك، مجموعة أخشاب مشدودة ببعضها ويجلسون عليها وينقلون عليها البضاعة من مكان لمكان ولما يرجع يسحبها بالحبل على كتفه.

فتخيل الإنسان لو كان هنا وهي كالجبال وهذه الريح والماء من فوقه ومن تحته، أيُّ رعب هذا؟! ينتقل الإنسان رأساً للتشبث برحمة الله سبحانه وتعالى التي أنجت نوحاً ومن معه وهو في هذه الحال.

آية *١٤* :

* في قصة نوح عليه السلام في الآية *تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ *١٤* القمر* هل *كُفِر* وافقت السياق *وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ *١٢* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ *١٣ * أم لها معنى؟ ولماذا لم تأت *كَفَر* ؟

د. فاضل السامرائي

الذي كُفِر هو سيدنا نوح - عليه السلام - *جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ* أي كُفِرت دعوته وأمره. *فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ *١٠* فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ *١١* وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ *١٢* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ *١٣ * تجري بأعيننا أي برعايتنا ولا يمكن أن تكون هذه الرعاية لمن كان كَفَر وكيف تجري بهم وهم غرقوا؟ الذي كُفِر تعود على سيدنا نوح - عليه السلام - أي هي تجري جزاء لسيدنا نوح الذي دعا ربه أني مغلوب فانتصِر فحمله رب العزة على ذات ألواح ودسر وهي سفينة وهي تجري برعايته سبحانه جزاء لمن كان كُفِر. فلا يصح أن تكون جزاء لمن كان كَفَر. جزاء أي ثواباً لصبره على قومه ودعوته وهو دعا ربه أني مغلوب فانتصِر فربنا سبحانه وتعالى استجاب له وحمله.

آية *١٥* - *١٧* - *٣٢* - *٤٠* - *٥١* :

* في سورة القمر *وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ* فما اللمسة البيانية في كلمة *مدّكر* ؟

د. فاضل السامرائي

هذا سؤال صرفي يُدرس في الصرف ويسمى الإبدال عندما نصيغ على صيغة *افتعل* وتقلباتها مفتَعل ومفتعِل، والمشهور أن افتعل تأتب بالتاء مثل اختبر واجتهد واشتهر لكن مع بعض الحروف لا تأتي التاء فتُبدل دالاً *مع الدال والذال* مثلاً اذتكر هي صيغة افتعل من ذَكَر والمفروض أن نقول *مذتكر* هذا هو القياس وكذلك ادّعى المفروض أن نقول *ادتعى* على وزن افتعل لكن العرب تستثقل هذا فتُقلب الذال والدال دالاً فمع الزاي ومع الدال ومع الذال تتحول إلى دال تصير مذدكر ثم الذال تتحول إلى الدال وتدغم فتصبح مدّكر على وزن مفتعل. فيقولون *مدّكر* و *وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ *٤٥* يوسف* بمعنى ذكر. وتبدل طاء مع الصاد والضاد مثل *اصطبر* والقياس *اصتبر* بالتاء يبدلون التاء طاء وكذلك اطّلع *اضتلع* . ليس هناك في المعجم دكر وإنما ذكر وهذه قاعدة صرفية .

آية *١٩* :

* ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟

د. فاضل السامرائي

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر كما في قوله تعالى في سورة القمر *إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ {١٩} * .

أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات كما في قوله تعالى في سورة النمل *أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {٦٣} * .

وفي سورة سبأ *وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {١٢} * استعملت كلمة ريح مع سليمان لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر لأن الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

آية *٢٠* :

* ما هي الآية الكريمة التي استعصت على الدكتور لمعرفة لمساتها البيانية ؟

د. فاضل السامرائي

هي أكثر من آية ، هما آيتان إحداها بقيت عندي أشهر وهي قوله تعالى *تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ *٢٠* القمر* لماذا جاءت بالتأنيث في سورة الحاقة *كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ* وفي القمر *كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ* وهي وصف للنخل في الحالتين لكن إحدى الآيتين بالتأنيث والأخرى بالتذكير. رجعت لكتب التفسير التي تقول أنها متناسبة لخواتيم الآيات لكن في نفسي أنها ليست للفاصلة وحدها وقطعاً هناك أمر غير الفاصلة ووصلت إلى إجابة وكتبتها في كتاب بلاغة الكلمة في القرآن. ثم اهتديت إليها عَرَضاً في صنعاء. عندنا قاعدة أن التأنيث قد يفيد المبالغة والتكثير يعني رجل راوية ، داعية هذه فيها مبالغة مثل علام علامة ، حطم حطمة ، همز همزة هذه مبالغة وهذه قاعدة لغوية وتعني التكثير *قالت الأعراب آمنا* بالتأنيث وقال *قال نسوة في المدينة * الأعراب أكثر.

قال تعالى *إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ *١٩* تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ *٢٠ * وقال في يوم واحد بينما في سورة الحاقة قال *سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ *٧ * أيها الأكثر سبع أيام بلياليها أم يوم؟ سبع أيام فجاء بالتأنيث للدلالة على المبالغة والتكثير ثم قال في الحاقة قال *وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *٦ * وفي القمر قال *رِيحًا صَرْصَرًا* لم يقل عاتية فزاد العتو وزاد الأيام في الحاقة فيكون الدمار أكبر فقال خاوية لأن الخاوية أكثر من منقعر لأن كل منقعر هو خاوي والخاوي عام يشمل المنقعر وغير المنقعر فجاء بكلمة خاوية التي هي أعم من منقعر وجاء بالتأنيث للمبالغة والتكثير وصفة الرياح أقل ريح صرصر لذا قال بعدها *فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ* . أما الآية الأخرى فاستغرقت سنوات طويلة وتحتاج لسنوات طويلة .

آية *٢٤* :

* لماذا جاءت كلمة بشر للدلالة على المفرد فى الآية *فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ *٢٤* القمر*؟

د. فاضل السامرائي

في سورة الحجر *قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ *٦٨ * كلمة ضيف جاءت بالمفرد مع أن الملائكة مكرمين يعني جمع؟ هذا سؤال لغوي نجيب عنه الآن: كلمة ضيف تقال للمفرد وللجمع في اللغة مثلها كلمة خصم تقال للمفرد وللجمع *وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ *٢١* ص* وهذه ليست مختصة بالإفراد. وكذلك كلمة طفل تأتي للمفرد وللجمع عندنا كلمات في اللغة تأتي للمفرد وللجمع. وكذلك كلمة بشر *فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ *٢٤* القمر* مفرد *بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ *١٨* المائدة * جمع. عندنا كلمات تكون للمفرد وللجمع منها كلمة ضيف تكون للمفرد وللجمع. عندنا ضيوف وأضياف وعندنا خصم وخصوم وطفل وأطفال ورسول أيضاً تستعمل مفرد

وجمع، ورسل، رسول جمع أيضاً تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمصدر أيضاً وهذا يسمى في اللغة إشتراك. الرسول تأتي بمعنى الرسالة والإرسال، المبلّغ هذا الأصل فيها *فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ *١٦* الشعراء*فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ *٤٧* طه* فإذن ضيف تأتي مفرد وجمع.

آية *٣٥* :

* ما الفرق بين *نعمةً منا* و *نعمةً من عندنا* ؟

د. فاضل السامرائي

في القرآن يستعمل رحمة من عندنا أخص من رحمة منا، لا يستعمل رحمة من عندنا إلا مع المؤمنين فقط أما رحمة منا فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر. *وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ *٤٣* إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ *٤٤* يس* عامة ، *فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا *٦٥* الكهف*من عندنا* يستعملها خاصة و *منا* عامة . حتى *نعمة منا* و *نعمة من عندنا* ، يستعمل *منا* عامة و *نعمة من عندنا* خاصة مثل *فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ *٤٩* الزمر*إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ *٣٤* نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ *٣٥* القمر*.

آية *٥١* :

* ما الفرق بين أتباع وأشياع؟

د. فاضل السامرائي

الأشياع هم أتباع الرجل على جماعة واحدة والأتباع هم أنصار الرجل لكن ما الفرق؟ الأشياع أنصار أيضاً لكن الأشياع أعمّ قال تعالى *وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ *٥١* القمر* المخاطَب زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أشياعهم الأمم السابقة ، نحن أشياع سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه الذين معه وقتها. القرآن الكريم لم يستعمل التبع إلا من كان مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقتها، كل أتباع الرجل من كان معه *فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا *٢١* إبراهيم*. الأشياع ليس بالضرورة واستعملها الله تعالى للمتقدم والمتأخر، تكلم عن سيدنا نوح - عليه السلام - *وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ *٧٥ * ثم قال *وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ *٨٣* الصافات* أين إبراهيم - عليه السلام - من نوح - عليه السلام - ؟ من شيعته أي من شيعة نوح، صحيح الفروع مختلفة لكن أصل الرسالة واحدة . سيدنا نوح - عليه السلام - كان أسبق بكثير من إبراهيم. فالأشياع أعمّ من الأتباع، الأتباع من كانوا معه فقط ولا يستعمل للمتأخر. التبع يكون معه والأشياع عامة وفي القرآن يستعمل الأشياع أعمّ من التبع.

آية *٥٢* :

* لماذا جاءت *وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ *١٢* يس* بالنصب *وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ *٥٢* القمر* مرفوعة ؟

د. فاضل السامرائي

كل له دلالة *وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ *١٢* يس* بالنصب *وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ *٥٢* القمر* لم يقل وكلَ شيء فعلوه، لا يمكن أن تقول وكلَّ شيء فعلوه في الزبر المعنى

خطأ لأنها تعني أنهم فعلوا كل شيء في الزبر وهم لم يفعلوا شيئاً في الزبر، أصلاً لا يصح. *إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ *٤٩* القمر* لا يمكن أن تقول كلُّ شيء تصير غير معنى وتعني المخلوقات على قسمين قسم خلقه ربنا وقسم خلقه واحد آخر. لا يمكن.

آية *٥٤ ـ ٥٥* :

*** ما دلالة كلمة نـهَربفتح الهاء وكلمة مقتدر في قوله تعالى في سورة القمر *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {٥٤} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ {٥٥} * ؟**

د. فاضل السامرائي

النهَر بالفتح هي من السعة في العيش والرزق وما تقتضيه السعادة وهي من الضياء ومقتطعة من كلمة *نهار* لأن الجنّة ليس فيها ظلمة ولا ليل. ونـهر بمعنى مجرى الماء *فيها أنهار من ماء* و *تجري من تحتها الأنهار* .

وفي قوله تعالى *في جنّات ونـهَر* بمعنى أنـهار وسعة وضياء وهذا ما يسمى التوسع بالمعنى

وفي قوله تعالى في سورة محمد *مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ {١٥} * لم ترد كلمة تجري للأنهار لأن الماء الآسن لا يكون إلا بركود الماء فلم يتطلب السياق ذكر كلمة تجري، أما في قوله تعالى *تجري من تحتها الأنـهار* لم يكن هناك من داع لتحديد غير آسن لأنه جاء وصف الأنهار بالجريان الأمر الذي لا يؤدي إلى أن تأسن الماء.

أما قوله تعالى *في مقعد صدق* هذه هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم كله التي وردت في وصف الجنة بهذا التعبير *في مقعد صدق* . ودلالة مقعد صدق أن المقاعد الأخرى كلها كاذبة وهذا هو المقام الوحيد الصدق لأنها إما أن تزول بزوال القعيد أو الملك وهذا المقعد الوحيد الذي لا يزول. وقد يأتي الصدق في معنى الجودة فيقال نسيج صدق بمعنى مقعد الخير ولا أفضل منه.

فما هي دلالة كلمة *مقعد* ولماذا لم يستعمل كلمة *مقام* ؟ لأن الأكرم هو القعود وهو يدل على الإنتهاء من القيام والراحة . وقد ورد في القرآن الكريم مقام آمين كلها ذكر مقام الربّ يذكر الخوف *ولمن خاف مقام ربه جنتان* فكلمة مقام تعني معه الخوف، فمن خاف المقام يؤمن كما انهم خافوا مقام ربهم في الدنيا أمنّهم في الآخرة . في جنات ونـهَر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

واستعمل كلمة مليك من الملك وهو الحكم ولم يقل مالك من التملك والملِك ليس مالكاً. الله تعالى جمع لنفسه المتملك والملك *قل اللهم مالك الملك* . الفرق بين مليك وملك: هذه الآية الوحيدة التي وردت فيها كلمة مليك في القرآن المَلَك على صيغة فَعَل أما مليك على صفة فعيل. وصيغة فعل تختلف عن صيغة فعيل بالدلالة فصيغة فعل تدل على الأعراض وتدلّ على الأشياء الطارئة مثال: صبرة ، رجل غمَش، أما فعيل فتدل على الثبوت مثل جميل وصغير وقصير وهي صفة مشبهة أي صفات ثابتة أو تدل على التحول إلى الثبوت فلا يُسمّى الخطيب خطيباً من أول خطبة بل بعد عدة خطب. كما يقال فَقِه المسألة فهو فقِه ويقال فَقُه الرجل أي صار فقيهاً، وكذلك نقول عَسَر الأمر فهو عَسِر وعسُر الأمر فهو عسير. وبما أن المقعد في الآية *في مقعد صدق* ورد في مقام الإستمرارية وجب قول مليك مقتدر *عند مليك مقتدر* .

واستخدام كلمة كلمة مقتدر تفيد المبالغة في القدرة وتماشت مع سياق الآية لأنها تشمل مبالغة في الوصف والجزاء والطاعة والأجر والسعة ولذا اقتضى المبالغة في القدرة .

* ما اللمسات البيانية فى قوله تعالى : *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {٥٤} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ* [القمر] ؟

د. فاضل السامرائي

سأل سائل: لم وحد تعالى : *النهر* في هذه الآية ولم يجمعه مع أن الجنات قبله جمع بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة ، جمع النهر أيضاً فيقول: *جنات تجري من تحتها الأنهار*

والجواب: أنه جمع في لفظ *النهر* عدة معان وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال: *أنهار* ذلك أنه علاوة على أن فواصل الآيات، تقتضي *النهر* لا *الأنهار* لأن آيات السورة على هذا الوزن فقد جاء قبلها: *وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر* وجاء بعدها: *في مقعد صدق عند مليك مقتدر* فإن المعنى أيضاً ذلك من جهات أخرى منها:

أنة النهر اسم جنس بمعنى الأنهار، وهو بمعنى الجمع والكثرة ، ومنه قوله r: "أهلك الناس الدينار والدرهم" والمراد بالدينار والدرهم الجنس لا الواحد.

وجاء في *معاني القرآن* : "ونهر معناه أنهار وهو في مذهبه كقوله: *سيهزم الجمع ويولون الدبر* وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلاناً فكنا في لحمة ونبيذة فوحد ومعناه الكثير"

ومنها: أن معاني *النهر* أيضاً السعة والسعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة ، وكل ما يقتضي تمام السعادة السعة فيه. جاء في *البحر المحيط* : "ونهر: وسعة في الأرزاق والمنازل"ftn_ - ٥ . وجاء في *روح المعاني* : "وعن ابن عباس تفسيره بالسعة والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر، وقيل: سعة الرزق والمعيشة ، وقيل: ما يعمهما"

ومنها: أن من معاني *النهر* أيضاً

جاء في *لسان العرب* : "وأما قوله ـ عز وجل ـ *إن المتقين في جنات ونهر* فقد يجوز أن يعني به السعة والضياء"

، وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء، على وضع الواحد موضع الجميع... وقيل في قوله: *جنات ونهر* أي: في ضياء وسعة ، لأن الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلألأ

وجاء في *معاني القرآن* لفراء: "ويقال: *إن المتقين في جنات ونهر* في ضياء وسعة" .

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة ، فإن المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية ، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة ، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة .

فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال *أنهار* ، فإنها لا تعني إلا شيئاً واحداً.

ثم انظر كيف أنه لما كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين أعلى أجرهم ودرجتهم، فقال: *ونهر* ولم يقل: *وأنهار* ولما أعلى أجرهم ودرجتهم وبالغ في إنعامهم وإكرامهم جاء بالصفة والموصوف بما يدل على المبالغة فقال: *عند ملك مقتدر* ولم يقل: *ملك قادر* فإن *مليك* أبلغ من *ملك* و *مقتدر* أبلغ من *قادر* فإن كلمة *مليك* على صيغة *فعيل* وهي أبلغ وأثبت من صيغة *فعل

جاء في *روح المعاني* : "عند مليك، أي: ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة ، وليست الياء من الإشباع" .

ولما جاء بالصيغة الدالة على الثبوت، قال: *في مقعد صدق* "ذلك لأن هذا المقعد ثابت لا يزول، فهو وحده مقعد الصدق، وكل المقاعد الأخرى كاذبة ، لأنها تزول إما بزوال الملك صاحبه، وإما بزوال القعيد، وإما بطرده، وهذا المقعد وحده الذي لا يزول، وقد يفيد أيضاً أنه المقعد الذي صدقوا في الخبر به

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، إن معنى الصدق ههنا يفيد معنى الخير أيضاً والجودة والصلاح فجمعت كلمة *الصدق* ههنا معنيي الخير والصدق معاً، كما جمع *النهر* أكثر من معنى ثم انظر كيف أنهم لما صدقوا في إيمانهم وعملهم، كان لهم مقعد الصدق.

و *المقتدر* أبلغ أيضاً من *القادر* ذلك أن *المقتدر* اسم فاعل من *اقتدر* وهذا أبلغ من *قدر* فإن صيغة *افتعل* قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف فعل ومنه اكتسب واصطبر واجتهد قال تعالى : *لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت* [البقرة] .

جاء في *الكشاف* في هذه الآية : "فإن قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟"

قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس، وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ."

وجاء في *البحر المحيط* : "والذي يظهر لي أن الحسنات، هي مما تكتسب دون تكلف والسيئات ببناء المبالغة

وقال سيبويه: "كسب: أصاب، واكتسب: تتصرف واجتهد

فجاء ههنا، أي: في قوله: *مقتدر* بالصيغة الدالة على القدرة البالغة مع الملك الواسع الثابت.

فانظر كيف بالغ وأعظم في الأجر، وبالغ وأعظم في الملك، وبالغ وأعظم في القدرة لمن بالغ وجد في عمله وصدق فيه وهم المتقون.

ونريد أن نشير إلى أمر، وهو إطلاق وصف *المبالغة * على صفات الله نحو علام، وعليم، وغفور، وما إلى ذلك فقد توهم بعضهم أنه ينبغي أن لا يطلق على صفات الله وصف المبالغة ، لأنها صفات الله وصف المبالغة ، لأنها صفات حقيقية وليست مبالغاً فيها. وقد اعترض علي معترض ذات مرة بنحو هذا. مع أنه من الواضح أن ليس المقصود كما ظن الظان أو توهم فالمقصود أن هذا البناء يفيد كثرة وقوع الفعل، وليس المقصود أن الأمر مبالغ فيه. فـ *عليم* أبلغ من *عالم* و *صبور* أبلغ من *صابر* ذلك أن الموصوف بعليم معناه أنه موصوف بكثرة العلم،

وليس المقصود أن صاحبه وصف بهذا الوصف وهو لا يستحق أن يوصف به فكان الوصف به مبالغة .

ولا نريد أن نطيل في كشف هذه الشبهة ، فإنها فيما أحسب لا تستحق أكثر من هذا. *منقول من موقع موسوعة الإعجاز*

* تناسب فواتح سورة القمر مع خواتيمها*

الآن نبدأ بالسورة الرابعة والخمسين سورة القمر تبدأ بقوله تعالى *اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ *١ * ثم ذكر من أحداث هذه الساعة فقال *فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ *٦* خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ *٧ * يتكلم عن أحوال الساعة *مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ *٨ * ، *اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ *١ * وفي الآخر يقول *بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ *٤٦ * ، اقتربت الساعة ذكر الساعة ثم ذكر في الآخر وقوع الساعة *بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ *٤٦* إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ *٤٧ * تلك أحداث الساعة وهنا أحداث هؤلاء في هذه الساعة ماذا سيحصل لهم؟ *إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ *٤٧* يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ *٤٨ * إلى أن يقول *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ *٥٤* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ *٥٥ * وكأن هذه صورة متوازنة لما سوف يحصل يوم القيامة ، أحداث الساعة أولاً واقترابها ثم ذكر في الآخر ماذا يحدث فيها خاتمة المجرمين وخاتمة المتقين. *أدهى وأمر* اسم تفضيل من أي شيء يجدونه في حياتهم الحالية من أمور مريرة وشديدة ، أدهى وأمر من كل ما يعلمونه من أمور شديدة ومريرة . إذن هي مرتبطة أولها بآخرها وهي في سياق واحد. في قوله تعالى *اقتربت الساعة * كأنها تحذير للناس لكي يستعدوا ويجهزوا أنفسهم لهذا اليوم وذكر الصنفين المتقين والمجرمين.

* تناسب خواتيم القمر مع فواتح الرحمن*

قال في خاتمة سورة القمر *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ *٥٤* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ *٥٥ * وفي بداية الرحمن قال *الرَّحْمَنُ *١* عَلَّمَ الْقُرْآنَ *٢* خَلَقَ الْإِنْسَانَ *٣* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ *٤ * الرحمن هو المليك المقتدر وكأنها تكملة لها. فبدأ بالرحمن لأنه رحم عباده عند مليك مقتدر فرحمهم الرحمن. *الرَّحْمَنُ *١* عَلَّمَ الْقُرْآنَ *٢ * المليك المقتدر هو الرحمن الذي علّم القرآن فيكون مقعد صدق لمن أطاع ما في القرآن.

سورة الرحمن عز وجل

* تناسب خواتيم القمر مع فواتح الرحمن*

قال في خاتمة سورة القمر *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ *٥٤* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ *٥٥ * وفي بداية الرحمن قال *الرَّحْمَنُ *١* عَلَّمَ الْقُرْآنَ *٢* خَلَقَ الْإِنْسَانَ *٣* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ *٤ * الرحمن هو المليك المقتدر وكأنها تكملة لها. فبدأ بالرحمن لأنه رحم عباده عند مليك مقتدر فرحمهم الرحمن. *الرَّحْمَنُ *١* عَلَّمَ الْقُرْآنَ *٢ * المليك المقتدر هو الرحمن الذي علّم القرآن فيكون مقعد صدق لمن أطاع ما في القرآن.

* هدف السور ة : التعرف إلى الله تعالى من خلال النعم*

سورة الرحمن مكّية وهي تعرف بـ *عروس القرآن* كما ورد في الحيث الشريف: *لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن* . وقد ابتدأت بتعداد نعم الله تعالى على عباده التي لا تحصى ولا تعد وفي طليعتها تعليم القرآن. ثم أسهبت الآيات في ذكر نعم الله تعالى وآلائه في الكون وفي ما خلق فيه *وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ* آية ٧، و *وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ* آية ١٠، و *وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ* آية ١٢، و *مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ* آية ١٩ - ثم عرضت السورة لحال المجرمين *يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ* آية ٤١ وحال المتقين السعداء *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ* آية ٤٦ وتكرر فيها ذكر *فبأي آلاء ربكما تكذبان* وردت ٣١ مرة في السورة . وقد ورد في الحديث عن ابن عمرأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا فقال: ما لي أسمع الجنّ أحسن جواباً لربها منكم؟ ما أتيت على قول الله تعالى *فبأي آلاء ربكما تكذبان* إلا قالوا: لا بشيء من نعمك نكذب فلك الحمد.

فكيف نختار بعد أن تعرّفنا على كل هذه النعم من الله تبارك وتعالى ؟

وهذ السورة هي أول سورة في القرآن موجهة إلى الجنّ والإنس معاً وفيها خطاب مباشر للجن *سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ* آية ٣١ إلى ٣٣.

وختمت السورة بتمجيد الله تعالى والثناء عليه لأن النعم تستحق الثناء على المنعم وهو أنسب ختام لسورة سميّت باسم من أسماء الله الحسنى *تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ* آية ٧٨ وهذا الختام يتناسب مع البداية في أروع صور البيان.

* من اللمسات البيانية فى سورة الرحمن*

* ما دلالة تكرار الآية *فبأي آلآء ربكما تكذبان* في سورة الرحمن؟

د. فاضل السامرائي

تكرار الآيات قد يكون للتوكيد ففي ذكر النار من قوله تعالى *سنفرغ لكم أيها الثقلان* تكررت الآية ٧ مرات على عدد أبواب جهنم أما في الجنة *من دونهما جنتان* تكررت الآية ٨ مرات على عدد أبواب الجنة .

وفي نفس الآية لمن يوجّه الله تعالى خطابه في قوله *فبأي آلآء ربكما تكذبان* ؟

نلاحظ أول آية في سورة الرحمن ابتدأت فيها هذه الآية ويقول المفسرون أن المقصود بهما الثقلان أي الإنس والجنّ. لكن السؤال لماذا جاءت أول مرة ولمن الخطاب هنا؟ يقول عامة المفسرون أنه ليس بالضرورة عندما تخاطب واحداً أو جماعة أن يسبقه كلام فمن الممكن مخاطبة جماعة لأول مرة بدون سابق خطاب *أين أنتم ذاهبون؟* ومع ذلك فقد ورد قبلها ما يدل على المخاطبين فقد قال تعالى *والأرض وضعها للأنام* والأنام من معانيها الثقلان أي الإنس والجنّ *وقسم من المفسرون يحصرونها بهذا المعنى* ومن معانيها البشر وقسم آخر يقول أنها تعني كل المخلوقات على الأرض لكن قطعاً من معانيها الثقلين مما يشمل الإنس والجنّ. والأمر الثاني هو أنه قبل الآية الأولى فيها خطاب المكلفين وهما الإنس والجن *أن لا تطغوا في الميزان* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان* والمكلفين هما الإنس والجنّ. وإذا أخذنا معنى الأنام المقصور على الثقلين انتهى الأمر وإذا أخذنا المعنى أنه المخلوقات حميعاً فالآيات تفيد التخصيص. ثم قال تعالى *الرحمن * علّم

القرآن* والقرآن هو للإنس والجنّ. إذن من الممكن أن يخاطب تعالى الثقلين مباشرة دون أن يسبقه كلام وإنما في هذه الآيات سبقه كلام وأوامر ونواهي للثقلين والكتاب الذي أُنزل للإنس والجنّ إذن هو خطاب عادي للثقلين في قوله تعالى *فبأي آلآء ربكما تكذبان* .

يبقى سؤال آخر: جاء الخطاب في الآية للثقلين *بالمثنّى* وقال تعالى *وأقيموا الوزن* بالجمع لماذا؟ الخطاب للثقلين بالمثنى هو للفريقين عموماً وهما فريقان اثنان *فريق الإنس وفريق الجنّ* على غرار قوله تعالى *قالوا خصمان* وقوله *وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا* وصيغة الجمع تدل على أن الخطاب هو لكل فرد من أفراد هذين الفريقين.

في بداية السورة قال تعالى *خلق الإنسان * علّمه البيان* الآية تدل على خلق الإنسان مع أن الأنام فيما بعد تدل على المخلوقات عامة وذلك لأن الإنسان هو الذي أُنزل عليه الكتاب أو القرآن وبيّنه للثقلين. وعلّمه البيان بمعنى ليبيّن عن نفسه والبيان هو القدرة على التعبير عمّا في النفس، والله أعلم.

فى إجابة أخرى للدكتور فاضل:

هذا من باب التذكير بالنِعم والتقرير فيها فإذا ذكر نعمة خاطب الثقلين *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* الآلآء هي النِعم، كل نعمة يذكرها يقول مثلاً *خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ *١٤* وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ *١٥* فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *١٦ * ربنا يريد أن يقرر النِعم على عباده على الثقلين الجن والإنس فيكرر هذا الشيء وهذا أمر يجري في كلامنا العادي إذا أردنا أن نذكر أحدهم بالنعمة نقرره كما نقول لقد تعهدك فلان أتنكر ذاك؟ وأدخلك المدارس وأنفق عليك أتنكر ذاك؟ وأدخلك الجامعة أتنكر ذاك؟ هذا من باب التذكير بالنعم ربنا يذكرنا بالنعم ويقررنا *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* أما العدد فهي بحسب النِعم التي ذكرها ربنا تعالى وقال القدماء لما ذكر الجنة ذكر *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* ٨ مرات بعدد أبواب الجنة في الجنتين ولما ذكر النار ذكرها سبع مرات بعدد أبواب النار.

* ما هو إعراب قوله تعالى *فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* ؟

د. فاضل السامرائي

الإعراب ليس فيه إشكال: *بأي* جار ومجرور *أيّ* اسم مجرور وهو مضاف و *آلآء* مضاف إليه وهو مضاف و *رب* مضاف إليه وهو مضاف والضمير *كما* مضاف إليه و *تكذبان* فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة .

آية *٢ - ٤* :

* ما دلالة تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان في آية سورة الرحمن مع أنه يتصور أن الخلق يكون أولاً *الرَّحْمَنُ *١* عَلَّمَ الْقُرْآنَ *٢* خَلَقَ الْإِنسَانَ *٣* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ *٤ * ؟

د. فاضل السامرائي

قوله تعالى *الرَّحْمَنُ *١* عَلَّمَ الْقُرْآنَ *٢* خَلَقَ الْإِنْسَانَ *٣* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ *٤ * خلق الإنسان لأي غرض؟ ربنا خلق الإنسان والجن للعبادة *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *٥٦* الذاريات* إذن أي واحد يريد أن يصنع شيئاً لغرض يجب أن يكون الغرض مرسوماً عنده. فلما كان خلق الإنسان والجن لغرض العبادة والقرآن هو كتاب العبادة التي سيستغرق الانس والجن إلى قيام الساعة . فهذا

الكتاب هو الغرض من خلق الإنسان فهو الأسبق، الغرض أسبق من الخلق. في أي عمل الغرض أسبق من العمل. الغرض موجود ويعمل الشيء بموجب الغرض وبموجب العِلّة . خُلِق الإنسان للعبادة وكتاب العبادة قبله، هذا أمر. والأمر الآخر هو أن القرآن هو أصلاً قبل خلق الإنسان، القرآن كلام الله ومن علم الله وهو موجود قبل الإنسان. فإذن من حيث العِلّة هو أسبق من الإنسان ومن حيث الوجود هو أسبق من الإنسان. فإذن *علّم القرآن* أسبق من الإنسان لذلك ذكر العِلّة أولاً ثم ذكر ما بعدها *خلق الإنسان* ثم قال *علّمه البيان* حتى نلاحظ ما قال علم الإنسان البيان وإنما لما ذكر الإنسان قال *علّمه البيان* ذكرها بالإطلاق قبل خلق الإنسان هذا أصلاً. الرحمن علّم القرآن لم يقل علّم الإنسان القرآن، علّمه البيان لأن البيان يتأخر عن الإنسان أما القرآن فمتقدم. حتى لو كان التعليم متأخر لكن القرآن متقدم. يصلح أن يكون الترتيب زمنياً ومن حيث العلة يكون القرآن أسبق. نفهم قوله علّمه البيان بعد الإنسان والقرآن أسبق من الإنسان.

هذا ترتيب زمني أولاً ترتيب العِلّة لأن الغرض أسبق من العمل فإذا كان الغرض العبادة فالقرآن هو كتاب العبادة أسبق ووجوداً وواقعاً هو أسبق فقدّم، وهو أفضل أيضاً. إذا كان على الفضل هو أسبق وإذا كان على الزمن هو أسبق وإذا كان على العِلّة والغرض هو أسبق. القرآن ليس بالضرورة أن يراعي الترتيب الزمني وإنما بحسب الضرورة أو حسب السياق، حسب الأسبق أو حسب الأفضل وأحياناً يقدم المتأخر.

ما دلالة الفعل *علّم* بتشديد اللام؟ هناك علِم وعلّم، هنالك من علّم الرحمن برحمته علّم القرآن أراد أن يرحم خلقه فعلّمهم القرآن. عندنا علّم أو أعلَم الفرق بينهما أن أعلم في مرة واحدة أما علّم يحتاج لوقت أطول *علّمته الحساب* للتكثير والمبالغة يقتضي وقتاً أطول وممارسة أكثر أما أعلم فيكون في لحظة واحدة تقول مثلاً أأعلمته مسألة هذا يحدث في لحظة واحدة مثل نبّأ وأنبأ، ما يقتضي ممارسة أكثر وحدث أكثر يستعمل له التضعيف *فعّل* .

* ما العلاقة بين علم القرآن وعلم البيان *الرَّحْمَنُ *١* عَلَّمَ الْقُرْآنَ *٢* خَلَقَ الْإِنْسَانَ *٣* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ *٤ * ؟

د.حسام النعيمي

السؤال عن سبب ترتيب الآيات كأن الذي يخطر في بال السائلة أن يقول في غير القرآن: الرحمن خلق الإنسان علمه البيان علمه القرآن. يبدأ بخلق الإنسان وتعليم البيان ثم تعليم القرآن. الأمر ليس أمر ترتيب تاريخي، القرآن لا يتحدث حديثاً تاريخياً وإنما هذه السورة تبدأ باسم الرحمن وأسماء الله سبحانه وتعالى كلها تتضمن معنى الصفة . لما تقول الرحمن تتخيل الرحمة إلا الاسم الأعظم الذي هو الله لفظ الجلالة عندما تقول الله يخطر ببالك ما يخطر من صفات الله: الرحمن، الرحيم، الملك، السميع، البصير كل ما يخطر في بالك : الله. هنا بدأ: الرحمن وجمهور الآيات تدل على رحمته سبحانه وتعالى وأوضحها *فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* هذه النعم التي أنعمها هي نعمة الرحمن فبدأ بالرحمن ومن رحمته أنه علّم القرآن لمحمد - صلى الله عليه وسلم - من أعظم رحمة الله عز وجل أنه علّم القرآن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يبثه للناس. هنا انتقل إلى خلق الإنسان الذي سيُخاطب بالقرآن وإلى الميزة التي أُعطيها وهي أنه كان مبيّناً، كان ذا لغة ، فإذن من رحمة الله عز وجل الرحمن أنه علّم لرسوله - صلى الله عليه وسلم - القرآن وخلق الإنسان وعلّمه البيان حتى يفهم القرآن. فالآيات مترابطة متشابكة وهذا نظامها وليس كما يتخيا الإنسان من أول نظرة . من رحمة الله تعالى القرآن وتعليمه للرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم خلق الإنسان وتعليمه البيان ليُدرك القرآن الذي ذكره قبل ذلك. تعلّم اللغة الآن ثبت من حيث التشريح أن خلايا الدماغ

متخصصة . يقول العلماء كل خلية إذا أُتلِإت لا تُعوّض. فهناك في الفصّ الأيسر من الدماغ في الطيّة الثالثة هناك منطقة متخصصة باللغة في الطيّة الثالثة من الفصّ الأيسر من الدماغ.

فالإنسان خُلِق مهيأً بخلايا متخصصة لأن تجعله ذا لغة أيّ لغة لذا الطفل أينما يعيش يتعلم اللغة عنده القدرة أن يكون ذا لغة فكونه ذا لغة هذه نعمة من نعم الله تعالى وإلاّ لا تكون حضارة ولا خلافة في الأرض وباللغة تتناول المعلومات.

آية *٥* :

* مداخلة مع برنامج *أخر متشابهات* :

يقول تعالى *وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا {٩٦} الأنعام*الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {٥} الرحمن* الشمس والقمر حسباناً أي وسيلة لحساب الزمن، الله قال فعلاً *لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ {٥} يونس* يدل على أن الشمس لها حسابٌ والقمر له حساب. أما الآية الثانية *الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ* أي يجريان بحسابٍ دقيق مقرر معلوم من الحق سبحانه وتعالى.

آية *١١* :

* ما الفرق بين فواكه وفاكهة ؟

د. فاضل السامرائي

فاكهة اسم جنس يعني عام يشمل المفرد والمثنى والجمع أما فواكه فهي جمع واسم الجنس يكون أعمّ من الجمع. للحبة الواحدة يقال عنها فاكهة والحبتين يقال فاكهة لكن لا يقال فواكه، لكن فواكه يقال عنها فواكه وفاكهة ، فاكهة تشمل فواكه لكن فواكه لا تشمل فاكهة من حيث اللفظ لأن هذا يدل على جمع والفاكهة تدل على الجمع أيضاً وتدل على المفرد والمثنى . ليس هذا فقط لو كان عندنا أنواع من الفواكه كالرمان والبرتقال وغيرها نسميها فواكه ونسميها فاكهة أيضاً. لو كان عندنا فقط نوع واحد من الفاكهة مثل الرمان أو التفاح نسميه فاكهة ولا نسميه فواكه إذن فاكهة أعمّ لأنها للمفرد والمثنى والجمع والمتعدد وغير المتعدد المتنوع وغير المتنوع. الفواكه للجمع والمتنوع فقط إذن أيها الأعم؟ فاكهة أعمّ. لذلك تستعمل الفاكهة في القرآن لما هو أوسع من الفواكه، مثال:
*وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ *١٠* فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ *١١* الرحمن* آية أخرى *وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ *١٨* فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *١٩* المؤمنون* عندنا أمران: الأرض *وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ *١٠* فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ *١١* الرحمن* وعندنا *لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ* أيها الأكثر الفواكه في الأرض كلها في عموم الأرض أو فقط في البساتين ؟ في عموم الأرض لأن البساتين هي في الأرض ومحدودة لذلك لما قال *وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ* قال *فيها فاكهة * ولما قال *فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ* قال *لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ* ، أيها الأكثر؟ الفاكهة أكثر.

إذن الفاكهة اسم جنس والفواكه جمع واسم الجنس هنا أعمّ من الجمع. حتى في الجمع لما يذكر فاكهة معناها أكثر وأشكل وأعم من فاكهة حتى في الجنة مثل في الصافات قال *فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ *٤٢* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *٤٣ * وفي الواقعة *وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *١٠* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ *١١* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *١٢* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ *١٣* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ *١٤* عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ *١٥* مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ *١٦* يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ *١٧* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ

وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ *١٨* لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ *١٩* وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ *٢٠ * مع السابقون قال *وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ* كثير ومن دونهم قال *فواكه* هذا متعلق بالدرجة أيضاً.

آية *٢٦* :

* ذكر الدكتور في حلقة سابقة في قضية عودة الضمير على غير مذكور ودلّ عليه السياق عندي مثال مطلع قصيدة : *فإن تنجو منها يا حزيم بن طارق فقد تركت ما خلف ظهرك بلقعا* ودل السياق على أنه الخيل فهل يمكن إعطاؤنا مثالاً من القرآن؟

د. فاضل السامرائي

*كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ *٢٦* القيامة *فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ *٣٢* ص* الشمس هل التي توارت بالحجاب، *كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ *٢٦* الرحمن* الضمير يعود على غير مذكور ومعلوم من السياق.

آية *٢٧* :

*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ *٢٧* الرحمن*تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ *٧٨* الرحمن*، مرة *ذو* ومرة *ذي* فما اللمسات البيانة الموجودة في الآيتين؟

د. فاضل السامرائي

السؤال عن الوجه والوجه هو الذات يعني هذا استعمال مجاز مرسل. استعمال الأيدي في الأنفس *فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ *٣٠* الشورى* ليست الأيدي التي كسبت وإنما الإنسان هو الذي كسب فهذا مجاز مرسل علاقته جزئية ، فهذا المجاز مرسل *وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ* أي ذاته، *فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ *٢٠* آل عمران* أسلمت فقط الوجه؟ كل الجسد بما يشتمل لكن الوجه هو أكرم شيء فإذا أسلمت وجهك فقد أسلمت نفسك، أسلمت وجهه لله أي الذات كلها. *إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ *٩* الإنسان*بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ *١١٢* البقرة * كيف يُسلِم وجهه فقط؟ يسلم الكل، الذات. هكذا قوله *وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ *٢٢* الرعد*إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ *٩* الإنسان*فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ *١٤٤* البقرة *وجه* هذا مجاز مرسل بمعنى ذات الله سبحانه وتعالى.

آية *٢٩* :

* د. أحمد الكبيسي:

الإمام أحمد، كان يتكلم ويشرح قوله تعالى *كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ {٢٩} الرحمن* فقام رجل فسأله: ما شأن ربنا اليوم؟ فسيدنا أحمد بن حنبل سكت، سبحان الله ورجع للبيت حاول وحاول يقلب يمين يسار لم يستطع أن يجيب، في اليوم الثاني أيضاً نفس الحالة ونفس السؤال فسيدنا احمد لم يجب فعاد للبيت حسران تعبان يريد يفهم الموضوع وهذا أمام الناس فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا وحكى له القصة فقال له: يا رسول الله ما شأن ربنا اليوم؟ قال له: أمورٌ يبديها ولا يبتديها. الإمام أحمد كغيره من العلماء فهم هذه الجملة بالضبط وهي هذه من عقائد المسلمين "أمورٌ يبديها ولا يبتديها" فلما جاء اليوم الثالث وسيدنا أحمد تكلم في نفس الموضوع وهذا السائل قال له: ما شأن ربنا اليوم؟ قال له أمورٌ يبديها ولا يبتديها ماذا قال له هذا الرجل؟ قال له: يا أحمد صلِّ على

من علّمك. هذه الأمة مباركة مثل كل الأمم لو تقرا ما حصل في زمن سيدنا عيسى وفي زمن سيدنا سليمان.

آية *٣٣* :

* مداخلة مع د. أحمد الكبيسي:

في سورة الملك *وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ {٥} الملك* وفي سورة الجن *وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا {٨} الجن* المداخلة التي عندي يعني سبحانه وتعالى نص القرآن الكريم في سورة الملك على أنها السماء الدنيا التي ملئت حرساً شديداً يعني بالمعنى فإذاً لو كانوا رواد الفضاء قادرين على اجتياز السماء الدنيا فإنهم لن يتأثروا بوسوسة الشياطين لأن الشياطين أو الجن لن يجتازوا السماء الدنيا إلى السماء الثانية .

الإجابة : أحسنت، رب العالمين يقول *فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ {٣٣} الرحمن* الشياطين وسوسة وأوهام وإيحاءات باطلة هذا الذي طلع على القمر وطبعاً القمر ليس سماء القمر أرض لكن حتى لو وصل إلى السماء بالعلم هو السلطان *فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ* أي سلطان العلم وليس سلطان الوساوس والشياطين وكلامك صحيح ومع هذا نقول للإخوان جميعاً الذي ليده من هذه القدحات الجميلة كما تداخل معنا بعض الإخوان يبعثون لنا على الفاكس حتى نثريها ونعرضها لكي يستفيد منها الناس وحتى لا يتعطل عن البرنامج الذي وضعناه الآيات التي رتبناها وعدلناها وشاركنا اشتركنا مع المشاهدين في عرضها إن شاء الله حتى نعطيها حقها.

آية *٣٩* :

*فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ *٣٩* الرحمن* هذا مغاير لآيات تؤكد سؤال المجرمين عما كانوا يعملون *فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ *٦* الأعراف*وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ *٤٤* الزخرف*؟

د. فاضل السامرائي

هذه مشاهد من يوم القيامة في مشهد لا يتكلمون ولا يُسأل أحد وإنما صمت عام يبقى الناس أربعين ألف سنة لا يتكلمون ثم بعد ذلك يكون السؤال والجواب. إذن هي مشاهد قبل الحساب في المشهد الأول لم يتكلم أحد *وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا *١٠٨* طه* والملائكة لا يتكلمون، هذا المشهد ليس فيه كلام يبقى الناس لا يتكلمون ثم يذهبوا إلى آدم وحتى يقول البعض اللهم أرحنا من هذا ولو إلى النار.

آية *٤٦* :

*وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *٤٦* الرحمن*وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *٦٢ * هل يمكن شرح مفصل للآيتين؟

د. فاضل السامرائي

نقرأ الآيات حتى تتضح *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *٤٦* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٤٧* ذَوَاتَا أَفْنَانٍ *٤٨* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٤٩* فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ *٥٠* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٥١* فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ *٥٢* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٥٣* مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *٥٤* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٥٥* فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ *٥٦* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٥٧* كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ *٥٨* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٥٩* هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ *٦٠* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٦١ * هذا وصف الجنتين وقال *وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ* أي أقل منهما في الجزاء *وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *٦٢* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٦٣* مُدْهَامَّتَانِ *٦٤* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٦٥* فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ *٦٦* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٦٧* فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ *٦٨* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٦٩* فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ *٧٠* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٧١* حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ *٧٢* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٧٣* لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ *٧٤* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *٧٥* مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦* فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *

٧٧ ** . في الأولى قال *ذَوَاتَا أَفْنَانٍ* وفي الثانية قال *مُدْهَامَّتَانِ* الأولى أعلى لأن الأفنان تطلق على ضروب عدة والأفنان جمع فنن وهي عموم النعم هذه لا يفيد معها مدهامتان، مدهامتان أي شديدتا الخضرة تميل إلى السواد لم يذكر نِعَم وإنما ذكر الخضرة ، مدهامتان كلمة عربية هذه صيغة إفعالّة وهي قليلة في اللغة مثل إحمارّ واصفارّ وهي أشد وفيها مبالغة أكثر، أدهم من مدهامتان أي يميل إلى السواد. مدهامتان أي مائلتان إلى السواد من شدة الخضرة . فهنا إذن *ذَوَاتَا أَفْنَانٍ* أعلى . *فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ* مقابل *فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ* أي فيهما ماء قليل وتجريان أقوى ، وأقل من الضخ النضح. *فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ* أكثر وأقوى من *فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ* . *مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ* مقابل *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ* في الأولى ذكر البطائن ولم يذكر الظاهر، البطائن من استبرق فما بالك بالظواهر؟ ولذلك قسم قالوا الظواهر هي من النور الجامد. قال *فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ* مقابل *حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ* قاصرات لا تنظر إلى غير زوجها لا ترى أفضل منه ولا أحب منه فهي قاصرة الطرف على زوجها، أما مقصورات أي مثل المحبوسات في الخيام محددة إقامتهم. وقال *كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ* ولم يقلها في مقصورات في الخيام *كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ* ثم قال *هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ* ولم يقل مثل ذلك في الثانية . إذن في كل لفظة الأولى أعلى *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ* .

سؤال: لكن ربما يظهر سؤالاً أن الجنتان الأولى جزاء لمن خاف مقام ربه فلمن اللتان من دونهما؟

لا نعلم، ربما لمن هو دونهم. كل من يقول لا إله إلا الله موحد يدخل الجنة . الجنان هي جنان وذكر الآن جنتين، جنتان هما بستانان خارج القصر وداخله الجنة بمعنى البستان وذكر القدامى أنه تكرر فبأي آلآء ربكما تكذبنان في كل جنة ثماني مرات على عدد أبواب الجنة وأبواب الجنة ثمانية كما في الحديث. الأبواب هي واحدة .

استطراد من المقدم: ربما يكون المكان واحد لكن الدرجة وما بها من مميزات تختلف من واحدة عن الأخرى.

بالطبع *لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ *٤* الأنفال*.

*وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *٤٦* الرحمن* فما معنى جنتان؟ وهل هي جنة واحدة أم جنتان؟

د. فاضل السامرائي

الجنة هي البستان *وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ *٣٥* الكهف*إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ *١٧* القلم* داخل الجنة التي هي دار السعادة عموماً بساتين، لكل واحد عنده أكثر من جنة .

الجنة معناها البستان وهي مفردة . ثم أطلقت على دار السعادة عموماً الجنة بما يقابل جهنم دار الشقاء وهي تضم ثماني درجات أما النار فسبعة . كل واحد في منزلته هو أكثر من جنة *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ* بستانين في منزلته هو خاصة به، *وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *٦٢* الرحمن* أي تحتهما وأقل منهما. ليس كما يقال أن الكافر كان له جنة فكفر فأخذها المؤمن. المهم له جنتان في منزلته هو، داخل قصره بستان وخارج قصره بستان كما يقولون.

آية *٥٤* :

* ما دلالة استعمال الوصف *متكئين* لأهل الجنة خاصة ؟

د. فاضل السامرائي

الاتّكاء غاية الراحة كأن الإنسان ليس وراءه شيء لأن الإنسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء. والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية هذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد في سورة الكهف.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى *هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ *٥٦* لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ *٥٧* يس* والاتكاء يحسُن في هذا الموضع. وقال تعالى *مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ *٥١* ص* يرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب وكذلك في سورة الرحمن *مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *٥٤ * و *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * وقوله تعالى *مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ *١٦* الواقعة * و *مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ *٢٠* الطور* جاء في السياق مع هذه الآيات ذكر الطعام والشراب.

فالاتكاء غاية الراحة ولهذا وًصِف به أهل الجنة ولم يأت وصفهم بالنوم لأنه لا نوم في الجنة أصلاً. ووصِفوا في القرآن بأوصاف السعادة فقط يتحادثون فيما بينهم ويتذاكرون ما كان في الدنيا والاتكاء غاية الراحة والسعادة .

آية *٥٦* :

* في القرآن الكريم يذكر الجن قبل الإنس في مواطن كثيرة *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *٥٦* الذاريات* أما في سورة الرحمن فقدم الإنس *فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ *٥٦* الرحمن* فما دلالة التقديم والتأخير؟

د. فاضل السامرائي

التقديم والتأخير يقتضيه المقام والسياق أحياناً يقدم الجن على الإنس *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *٥٦* الذاريات* لأن الجن وجودهم أسبق من الإنس، *وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ *٢٧* الحجر* إبليس قبل آدم. إذن قد يكون السبب هو القِدَم أن الأقدم يقدّمه مثل *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* . *يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ *٣٣* الرحمن* قدم الجن على الإنس لأن الجن أقدر على النفاذ من الإنسان وهم كانوا يستمعون، فلما تحداهم بالنفاذ بدأ بمن هو أقوى أي بالجنّ. الآية التي ذكرها في سورة الرحمن *لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ* هنّ أهل الجنة *حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ* ، *فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ* ، نفسياً إذا كان أحدهم يريد أن يتزوج امرأة وعلِم أنه اتصل بها رجل سابق يحجم عن الزواج أما إذا قال جنّي

إتصل بها يقول هذا كلام وخرافة . ولذلك قدم الإنس لأن النفس فوراً إذا طمثها إنسي يحجم عنها إحجاماً ولذلك قدم ما تشمئز منه النفس أولاً فبدأ بالإنس لأن هذا أدعى إلى طهارتها ولو قال لم يطمثهن جن ولا إنس ليست بتلك المنزلة فقدم ما هو أشد. والطمث يعني الدخول بها. الآية تتكلم عن نساء الجنة ، عن حور الجنة *حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ* هنّ نساء الجنة كما قال ربنا *فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا *٣٦* الواقعة * معناها أبكاراً.

آية *٦٢* :

* انظر آية *٤٦* .

آية *٦٨* :

* ما دلالة ذكرالنخل والرمان مع الفاكهة في سورة الرحمن مع أن النخل والرمان من الفاكهة ؟

د. فاضل السامرائي

من حيث الحكم النحوي هذا ما يُسمّى عطف الخاص على العام كما في قوله تعالى *حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ {٢٣٨} سورة البقرة * والصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات لكن لأهميتها وعظمة شأنها ذكرت وحدها، وقوله تعالى *مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ {٩٨} سورة البقرة * وجبريل من الملائكة وذكره يفيد رفعة منزلته عند الله، وكذلك قوله تعالى *فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ {٦٨} سورة الرحمن* والنخل والرمان من الفاكهة وهي فاكهة أهل الجنة .

آية *٧٠* :

* ما السر في استعمال *فيهن* في قوله تعالى *فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ *٥٦* فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ *٧٠* الرحمن* مع أن باقي الآيات ورد فيها *فيهما* مثل *فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ *٥٠* فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ *٥٢* فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ *٦٦* فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ *٦٨ * ؟

د. فاضل السامرائي

في سورة الرحمن *ولمن خاف مقام ربه جنتان* يعني نوع من الإكرام لمن خاف مقام ربه، الذي يخاف مقام ربه يطبّق ما يريده ربه، *ولمن خاف مقام ربه جنتان* هذا إكرام ليس جنة واحدة وإنما يوهَب جنتين.

من علماؤنا يقولون لفظها لفظ مفرد، *من خاف* أي الذي خاف لكن هي ليست بلفظ *الذي* وإنما تحتمل الذي واللذان واللتان والذين واللاتي، هي عامّة لفظها لفظ مفرد، حتى أن البعض قال ما الدليل على أن لفظها لفظ مفرد؟ علماؤنا يقولون لفظها لفظ مفرد الدليل أن تأبّط شرّاً - هو شاعر جاهلي معروف - جمعها على *منون* يقول:

أتوا ناري فقلت منون أنتم؟ فقالوا الجِنّ قلت عِمّوا ظلاماً

أوقد ناراً في الليل،صار أضيافه من الجنّ. قول علماؤنا لما يقولون لفظه لفظ مفرد عندهم إسناد. أنت تستطيع أن تقول كما قال القرآن *من خاف* ولك أن تقول *من خافوا* لكن بيان القرآن وأسلوبه في استعماله لما يستعمل *من* لما يستعمله للجمع يراعي لفظه مرة ومعناه مرة ، يقدّم مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى *ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر* يقول مفرد، *وما

هم بمؤمنين* ما قال *وما هو* هذا السياق موجود في القرآن في مواطن كثيرة . لما يكون *من* يراد به الجمع يستعمل أولاً المفرد ثم بعد ذلك يأتي إلى الجمع. عندنا آيات أخرى : *ومن يطع الله والرسول* ومن يطع مفرد *فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم* جمع، هذا السياق يراعي اللفظ ويراعي المعنى ، يقدم مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى . كان العرب يلاحظون هذا ويعجبون ويقفون إجلالاً لكلام الله سبحانه وتعالى عندما يسمعونه كهذا الذي سمع قوله تعالى *وأنذرتكم صاعقة * وضع يده على رأسه قال ستسقط على رأسي، كانوا يتحسسون هذا.

ولمن خاف مقام ربه جنتان الذي خاف مقام ربه من آدم - عليه السلام - إلى قيام الساعة هو جماعة وليس واجداً، الخائفون كُثُر، فإذن جنتان وجنتان وجنتان إذن تكون جنّات، لذلك نجد القرآن في موضع آخر صحيح هو قال *ذواتا أفنان، فيهما عينان تجريان* ثم قال *متكئين* لما جاء يتحدث عن الخائفين قال متكئين يعني هؤلاء الخائفون قال متكئين لم يقل متكيء، راعى المعنى هنا. فلما قال متكئين، المتكئون لا يكون لهم حوراء واحدة وإنما حور عين، لا يكون لهم قاصرة طرف وإنما قاصرات. فلما جاء لذكر النساء في يوم القيامة كان لا بد أن يجمع، لا تكون واحدة فقال *فيهن قاصرات الطرف* كأنه يمهّد لقاصرات الطرف ما قال *فيهما* في الجنتين لأنه قال *متكئين* إذن صارت جنات، قال متكئين إنتقل إلى صورة الجمع، إلى صورة جنات وجنات تقتضي *فيهن* حتى يلائم أيضاً قاصرات الطرف.

الموضع الثاني هو هو أيضاً *فيهن خيرات حسنات* ، إستمر يتكلم *ومن دونهما جنتان* لأن الجنة مراتب لذا الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: إسألوا الله الفردوس الأعلى لأنه يدعو يدعو فيسأل الله سبحانه وتعالى أعلى شيء لأنه يدعو ويسأل كريماً لكن الناس مراتب.

من دونهما جنتان رجع للجنتين التي هي لكل واحد خاف مقام ربه فصارت جنات، *فيهما فاكهة ونخل ورمان* لما جاء إلى ذكر الخيرات الحسان *فيهن خيرات حسان* ، الخيرات جمع خيرة التي أصلها خيّرة وخُفّفت، هي جمع الزوجات. ثم قال *حور مقصورات في الخيام* لهذا السبب جاءت *فيهن* تمهيد لذكر مجموع ما في هذه الجنات، والله أعلم.

آية *٧٦* :

* انظر آية *٥٤* .

آية *٧٨* :

* انظر آية *٢٧* .

* تناسب فواتح سورة الرحمن مع خواتيمها*

السورة الخامسة والخمسون في أولها *الرَّحْمَنُ *١* عَلَّمَ الْقُرْآنَ *٢* خَلَقَ الْإِنْسَانَ *٣* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ *٤ * إذن ذكر أولاً خلق الإنسان وفي نهايتها ذكر نهاية الإنسان. هنا بداية الخلق وهناك نهاية الخلق *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * . ذكر المجرمين *هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ *٤٣* يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ *٤٤ * وذكر المتقين في آخرها *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *٤٦ *وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *٦٢ *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * . بدأت باسمه الجليل *الرَّحْمَنُ *١ * وانتهت *تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ *٧٨ * ، الرحمن علم القرآن تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام، تعظيم لصفاته سبحانه

وتعالى. إذن ذكر خلق الإنسان أولاً زذكر نهاية الإنسان المتقي والمشرك، ابتدأ بالرحمن ثم انتهى بتعظيمه سبحانه وتعالى *تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ *٧٨ * .

* تناسب خواتيم الرحمن مع فواتح الواقعة *

خاتمة سورة الرحمن في اليوم الآخر *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * وقبلها يتكلم عن أصحاب النار *يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ *٤١ * ومن خاف مقام ربه *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *٤٦ *وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *٦٢ * وفي الواقعة *إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *١* لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ *٢ * نفس المشهد ثم ذكر جزاء أصحاب اليمين والسابقين وأصحاب الشمال وقد ذكرهم أيضاً في سورة الرحمن.

سؤال: إذا كان هذا الأمر حتى هذه السورة مرتبط خواتيم السور ببدايات السور التي تليها فلم كانت الحاجة إلى الفصل بين السور وبعضها في القرآن الكريم طالما أنه وحدة واحدة كما يقول المستشرقون؟

السورة لها مقصد وكُتب عن وحدة السورة وهناك رسالة عن وحدة السورة والسورة لها أهدافها ومقاصدها ووحداتها مثلاً سورة البقرة ليست كسورة الرحمن وسورة النساء ليست كسورة الكهف كل سورة لها وحدة غير السورة التي تليها لكنها مرتبطة في أوائلها وأواخرها كأنها واحدة والآيات مرتبطة بعضها ببعض، الآيات داخل السورة نفسها متناسبة لكن السور ليست متشابهة لأن بعضها أحكام فالرحمن ليست مثل سورة التحريم أو الطلاق لكن هناك ارتباط وتناسب.

سؤال: هل أسماء السور توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى؟ هكذا قرأنا في الأحاديث "فبدأ بالبقرة وآل عمران" ، وسورة براءة تسمى براءة والتوبة .

في خاتمة الرحمن ذكر *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * الجنة وفي الواقعة قال *إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *١* لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ *٢ * تكلم في اليوم الآخر ثم ذكر جزاء السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال وذكرهم بصورة أخرى في خواتيم سورة الرحمن.

سؤال: إذا جمعنا مشاهد الجنة من القرآن كله ومشاهد النار من القرآن كله ألا نجد هنالك تكراراً أو تعارضاً؟ أبداً وقد جربت شخصياً أن آخذ قصصاً من القرآن الكريم التي هي مظنة التكرار جربت أن آخذ القصص من القرآن الكريم وأنظرها في كل ما ورد من مواطن فرأيتها أن كل واحدة تضيف معنى ولا يوجد تكرار في أي ملمح وأخذت أكثر من قصة وتابعتها في جميع ما ورد من القرآن الكريم. يمكن أن نضرب مثالاً على هذا في حلقات سابقة .

سؤال: إذن كيف نرد على من يهاجم القرآن؟ هنالك أمران إما أن الذي يهاجم القرآن يكون جاهلاً أو يكون مدفوعاً لغرض وكلامه مردود عليه وباطل. وقد كنت أرى سابقاً في الماضي أن القرآن كلام عادي وقد ذكرت هذا في مقدمة كتابة "نبوة محمد من الشك إلى اليقين" وذكرت معاناتي في هذا الأمر واتصالي بالقرآن لم يأت من فراغ.

سورة الواقعة

* تناسب خواتيم الرحمن مع فواتح الواقعة *

خاتمة سورة الرحمن في اليوم الآخر *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * وقبلها يتكلم عن أصحاب النار *يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ *٤١ * ومن خاف مقام ربه *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *٤٦ *وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *٦٢ * وفي الواقعة *إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *١* لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ *٢ * نفس المشهد ثم ذكر جزاء أصحاب اليمين والسابقين وأصحاب الشمال وقد ذكرهم أيضاً في سورة الرحمن.

في خاتمة الرحمن ذكر *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * الجنة وفي الواقعة قال *إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *١* لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ *٢ * تكلم في اليوم الآخر ثم ذكر جزاء السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال وذكرهم بصورة أخرى في خواتيم سورة الرحمن.

* هدف السورة : الإختيار بين نماذج ثلاثة *

سورة الواقعة مكّية وهي تشتمل على أحوال يوم القيامة وتركّز على انقسام الناس إلى ثلاث طوائف *أصحاب اليمين *فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ* آية ٨، أصحاب الشمال *وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ* آية ٩، والسابقون *وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* آية ١٠* وتحدثت السورة عن مآل كل من هذه الطوائف وما أعده الله تعالى لهم من الجزاء العادل. وتحدثت السورة عن دلائل قدرة الله تعالى في الكون *أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ* آية ٥٨ و *أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ* آية ٦٣، و *أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* آية ٦٨، و *أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* آية ٧١ لتجيب عن سؤال: من مالك الكون غير الله تعالى؟ ثم تتحدث عن لحظات خروج الروح وحال كل من الطوائف الثلاث في هذا الموقف ثم تنتقل إلى التذكير بعاقبة كل منهم *فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* آية ٨٨ و *وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* ٩٠ و *وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ* آية ٩٢.

فكأنما السورة ابتدأت بذكر الطوائف الثلاث ثم عرضت لقدرة الله تعالى في الكون وبأنه مالك الكون كله في الوسط ثم اختتمت بذكر الطوائف الثلاث وعاقبتهم في الآخرة .

وختمت السورة *فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ* آية ٩٦ تسبيح لله تعالى العظيم لتمهّد لبداية سورة الحديد.

* من اللمسات البيانية فى سورة الواقعة *

آية *٧* :

* ما دلالة *كان* فى قوله تعالى *وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً *٧* الواقعة *؟

د. فاضل السامرائي

ذكرنا في وقت سابق أن *كان* يفرد لها النُحاة بكلام في زمنها: أولاً الزمان الماضي المنقطع كأن تقول كان نائماً واستيقظ، كان مسافراً ثم آب. وفي الماضي المستمر *كان الإستمرارية * بمعنى كان

ولا يزال *وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً *١١* الإسراء*وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا *١٠٠* الإسراء*إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا *٥٣* الإسراء*إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا *٥٨* النساء* يسمونها كان الإستمرارية أي هذا كونه منذ أن وُجِد. ليس في الماضي المنقطع *إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا *٥٣* الإسراء* لا تعني كان عدواً والآن أصبح صديقاً وإنما كان لا يزال عدواً. و *كان* تفيد الاستقبال *وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا *١٩* النبأ* أي صارت في المستقبل. *وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً *٧* الواقعة * أي صرتم، أصبحتم. *كان* في كلام كثير عند النُحاة غير كان التامة والناقصة من حيث الزمن ليس مثل ما يظن بعض من عندهم معرفة قليلة باللغة وهؤلاء عليهم أن يراجعوا قواعد اللغة .

آية *٨ - ٩* :

*فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ *٨* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ *٩* الواقعة * ما دلالة استخدام *ما* وليس *من* ؟

د. فاضل السامرائي

من لذات من يعقل، للذات، من هذا؟ هذا فلان، من أبوك؟ أبي فلان، من أنت؟ أنا فلان.
إذن *من* لذات العاقل سواء كانت اسم استفهام أم شرط أم نكرة موصوفة أم اسم
موصول. *ما* تستعمل للسؤال عن ذات غير العاقل مثل ما هذا؟ هذا حصان، ما تأكل؟ آكل كذا.
وتستعمل لصفات العقلاء، الذات أي الشخص الكيان. *ما* تستخدم لذات غير العاقل ولصفات
العقلاء. لذات غير العاقل مثل الطعام *أشرب ما تشرب* هذه ذات وصفات العقلاء مثل تقول من
هذا؟ تقول خالد، ما هو؟ تقول تاجر، شاعر. *فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء *٣* النساء* عاقل،
صفة ، أي انكحوا الطيّب من النساء. *ما* تستخدم لذات غير العاقل وصفاتهم *ما لونه؟
أسود* ولصفات العقلاء *وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *٧* الشمس* الذي سواها هو الله. مهما كان
معنى *ما* سواء كانت الذي أو غيره هذه دلالتها *وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى *٣* الليل* من الخالِق؟
الله هو الخالق. إذن *ما* قد تكون لصفات العقلاء ثم قد تكون للسؤال عن حقيقة الشيء *قَالُوا وَمَا
الرَّحْمَنُ *٦٠* الفرقان* يسألون عن حقيقته، فرعون قال *وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ *٢٣* الشعراء*
يتساءل عن الحقيقة . وقد يؤتى بها للتفخيم والتعظيم *الْقَارِعَةُ *١* مَا الْقَارِعَةُ *٢* وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْقَارِعَةُ *٣* القارعة *وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ *٢٧* الواقعة * تفخيم وتعظيم سواء
كان فيما هو مخوف أو فيما هو خير، عائشة قالت أبي وما أبي؟ ذلك والله فرع مديد وطود منيب.
فلان ما فلان؟ يؤتى بها للتفخيم والتعظيم *وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ *٢٧* الواقعة
*وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ *٤١* الواقعة * ماذا تعرف عن حقيقتهم؟ التعظيم يكون في
الخير أو في السوء أو ما يصيبه من السوء، قال ربنا عذاب عظيم وقال فوز عظيم قال عظيم
للعذاب والفوز.

النُحاة ذكروا هذه المعاني لـ *ما* في كتب النحو والبلاغة .

* لماذا لم يرد تصنيف لأصحاب المشأمة في سورة الواقعة على غرار تصنيف أصحاب الميمنة والسابقون؟

د.حسام النعيمي

هذا سؤال وجيه. *إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *١* لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ *٢* خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ *٣* إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا *٤* وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا *٥* فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا *٦* وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً *٧* فَأَصْحَابُ

الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ *٨* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ *٩* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *١٠* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ *١١*الواقعة * السائلة تسأل أهل اليمين ميمنة وسابقون فلماذا لم يصنف أصحاب المشأمة على صنفين؟ ليست المسألة مسألة تقسيم وإنما نحن في هذه الدنيا مؤمنون وغير مؤمنين. المنافقون كافرون في الحقيقة لكن يتظاهرون بالإيمان المنافق كافر ولكن يتظاهر بالإيمان ولذلك صار أشد لأن عنده صفة الكفر إضافة إلى صفة المخادعة . المطلوب في هذه الحياة لما يعرض القرآن الكريم علينا الصور المطلوب المنافسة في الخير *وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ *٢٦* المطففين* أنا لما أعلم أن الجنة درجات وأعلاها الفردوس الأعلى وعندي نوع من الهِمّة أحاول أن أسابق الآخرين في الإرتقاء إلى هذه الدرجة العليا، فيها مجال للمنافسة لما أعرف أن يوم القيامة لا يكون الناس على حدٍ سواء الكل في مستوى واحد في الجنة وإنما هناك من يكون قريباً من الأنبياء والشهداء والصديقين ويؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة بعد أن يعرّف منزلته في الجنة فيقال له اقرأ ورتل وارتق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها فيتنافسون في الحفظ. فصار عندنا أصحاب يمين وهؤلاء جنتهم فيها صفات معينة . وعندنا السابقون السابقون جنّتهم لها صفات معينة .

فأنا لما أقرأ هذه وأقرأ هذه أحرص على الأفضل فأحاول أن أقدم الخير. لكن الذي سيدخل جهنم هو سيشتوي بمجرد دخولها لا مجال للتمايز، حتى الدركات هم نازلون فيها ليس هناك مجال للتنافس في أخذ الأفضل، لما كان في الجنة مجال منافسة للأفضل كان عندنا ميمنة وسابقون لكن هؤلاء إذا كان سيشتوي سواء كان في الدركة الأولى أو الثانية فهو مشوي مشوي ولا مجال لتشجيعه على التنافس، هم في داخلها ويصطرخون نسأل الله السلامة والعافية .

إذن الغرض من التقسيم - والله أعلم - هو الحث على المنافسة ، هناك أكثر من درجة ، هناك مراتب والناس عند الله سبحانه وتعالى مقامات ليسوا سواء، بل حتى الذين يدخلون الجنة قسم منهم يأتي ليشرب من حوض الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن الحوض على وجه اليقين في الجنة وليس خارج الجنة والرسول - صلى الله عليه وسلم - هو يسقي شربة لا يظمأ بعدها أبداً، فيأتي ليشرب يمنعه الملائكة أنك أنت منزلتك لا تؤهلك للشرب من حوض محمد - صلى الله عليه وسلم - . حتى أنه في الحديث يقول - صلى الله عليه وسلم - أصحابي أي يعرف بعضهم، قسم من الشُرّاح قالوا أصحابي يقصد من أمتي وظاهر النص أنهم أصحابه في زمنه من أهل الجنة لكن خاض بعضهم فيما خاض من فتن لأنه صارت فتن فيدخل الجنة ولا نشك في ذلك لكن لما يصل لحوض المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ليشرب منه يقال له لا حتى قيل للرسول - صلى الله عليه وسلم - أنت لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، أحدثوا فتناً فيما بينهم، فُتِنوا لكن هم من أهل الجنة وهم على العين والرأس لكن لا يشربون من الحوض ولا ندري من هم؟ ولا نستطيع أن نقول فلان أو فلان لا يجوز، لكلٍ مقامهم ونحن مبدأنا أن الصحابة على العين والرأس ولا نخوض فيما شجر بينهم من خلاف ولا نخوض في المفاضلة بينهم ويمكن أن يكون فلان في قلبي أفضل من فلان لسابقته لكن نُهينا عن الحوض في المفاضلة لأنه يؤدي إلى نتيجة *لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ *٤* الأنفال* ولا نصل لتراب أقدام أدناهم لكنهم مراتب ودرجات. لذلك جاء التقسيم ميمنة وسابقون وأهل النار أهل نار لا يحتاجون إلى تقسيم لأنه ليس فيه حثٌ على المنافسة والمسابقة . هناك في السعي لنيل درجات الجنان ترغيب في المنافسة لكن أهل النار لا مجال للترغيب.

استطراد من المقدم: نحن نفهم هذا في سياق أننا مؤمنون بالله وبآيات القرآن فهل الكفار كانوا يفهمون هذه المعاني؟ التسابق في الخيرات؟

هو كيف يتسابق في النار؟ هل يزيد من سيئاته ليتسابق في أهل النار؟ هم لا يقسّمون ولله المثل الأعلى مثل طلبة جامعة الناجحون يقسّمون لكن الذي يرسب في صفه هو راسب أي سيعيد العام ولا يوجد راسب ٤٠ وراسب ٣٠ هو راسب وسيعيد الفصل الدراسي.

آية *١٣ - ١٤* :

* في سورة الواقعة *ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ *١٣* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ *١٤ * و *لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ *٣٨* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ *٣٩* وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ *٤٠ * ما الفرق بين ثلة وقليل؟

د. فاضل السامرائي

الأولى في السابقين *وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *١٠* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ *١١* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *١٢* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ *١٣* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ *١٤ * ففي الآخِرين قليلة ، السابقون هم الأنبياء وأتباعهم وثلة من الأولين كثيرين والآخرين السابقون فيهم قلة وأصحاب اليمين دون السابقين قال ثلة وثلة أما السابقون فهم قلة فقال قليل من الآخرين وقالوا لم تقع عيننا على أحد منهم ولم نشم لأحد رائحة . أما أصحاب اليمين فهم كثر في الأولين والآخرين. وثلة تعني جماعة .

الثلة الجماعة الكثيرة والقليل قليل. ثم قسم يقولون في أمة كلّ نبي في صدرها ثُلة وما بعدهم يكونون قلة وبالنسبة للأمة الإسلامية على هذا القياس ويبدو لي والله أعلم أن الثلة هم جماعة "خير القرون قرني" والقلة بعد هذا العصر. الثلة في خير القرون وما بعدهم قليل اللهم اجعلنا من هذا القليل.

آية *١٦* :

* ما دلالة استعمال الوصف *متكئين* لأهل الجنة خاصة ؟

د. فاضل السامرائي

الاتّكاء غاية الراحة كأن الإنسان ليس وراءه شيء لأن الإنسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء. والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية هذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى *هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ *٥٦* لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ *٥٧* يس* والاتكاء يحسُن في هذا الموضع. وقال تعالى *مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ *٥١* ص* يرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب وكذلك في سورة الرحمن *مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *٥٤ * و *مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ *٧٦ * وقوله تعالى *مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ *١٦* الواقعة * و *مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ *٢٠* الطور* جاء في السياق مع هذه الآيات ذكر الطعام والشراب.

فالاتكاء غاية الراحة ولهذا وَصِف به أهل الجنة ولم يأت وصفهم بالنوم لأنه لا نوم في الجنة أصلاً. ووصِفوا في القرآن بأوصاف السعادة فقط يتحادثون فيما بينهم ويتذاكرون ما كان في الدنيا والاتكاء غاية الراحة والسعادة .

آية *١٧* :

* ما الفرق بين ولدان وغلمان؟

د. فاضل السامرائي

الولدان هم الصغار أما الغلمان أي الغلام الشاب الذي أوشك على البلوغ. الوليد منذ أن يولد إلى أن يصل إلى سن البلوغ الغُلمة يسمى ولداً ثم يقال غلام. في الجنة لما يذكر غلمان يقول غلمان لهم أي مختص بهم *وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ *٢٤* الطور* أما ولدان فعامّة *يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ *١٧* الواقعة * لا يقول ولدان لهم لأنهم صغار أما الكبير يكون مثل الأسرة خاص بالبيت. الغلام أقل من الشاب سنّاً أو بداية الشباب إذا طال شاربه.

آية *١٩* :

* ما الفرق بين قوله تعالى *ولا يُنزفون* في سورة الواقعة وقوله *ولا هم عنها ينزفون* في سورة الصافات؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الواقعة *لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ {١٩} * وفي سورة الصافات *لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ {٤٧} * . وكلمة يُنزفون من أنزف لها معنيين: أنزف يُنزف بمعنى سكِر وبمعنى نفذ شرابه وانقطع، ويقال أنزف القوم إذا نفذ شرابهم وهو فعل لازم غير متعدي. ويُنزف فعل متعدي معناه سكِر وذهب عقله من السكر.

إذا استعرضنا الآيات في السورتين لوجدنا ما يلي:

سورة الواقعة ... سورة الصافات

وردت يُنزفون في السابقين وشرح أحوال السابقين وجزاؤهم ونعيمهم في الجنّة . وفي الجنة صنفين من أصناف المؤمنين السابقون وهم قِلّة وفي درجات عليا ... وردت في عباد الله الآخِرين وهم أقلّ درجة من السابقين.

ذكر *وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون* في الآية تخيير وزيادة لحم طير ... *أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون* لا يوجد تخيير هنا

أولئك المقربون في جنات النعيم التقريب هو الإكرام وزيادة ... *وهم مكرمون في جنات النعيم*

على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين التنعّم هنا أكثر : موضونة ، إتّكاء، تقابل ... *على سرر متقابلين* لم يذكر إلا التقابل فقط

يطوف عليهم ولدان مخلدون تحديد الولدان المخلدون ... *يُطاف عليهم* الفاعل مبني للمجهول ولم يُحدد

بأكواب وأباريق وكأس من معين زيادة وتنويع في الأواني لتنوع الأشربة ... *كأس من معين* كأس واحد فقط

لا يصدّعون عنها ولا يُنزفون لا يصيبهم صداع ونفي الصداع نفي لما هو أكبر وهو الغول. والآية تدل على أن خمر الجنة لا تُسكر ولا ينقطع الشراب فالتكريم هنا أعلى من سورة الصافات.
... *لا فيها غول ولا هم يُنزفون* الغول إما للإفساد والإهلاك وإما اغتيال العقول، لا تهلك الجسم ولا تفسده ولا تسكره. ونفي الغول لا ينفي الصداع. وإذا كان المقصود بالغول إفساد العقول فالغول وينزفون بمعنى واحد لكن الأول يكون صفة المشروب والثانية صفة الشارب

* حور عين كأنهم لؤلؤ مكنون* ذكر صنفين والوصف هنا جاء أعلى ... *وعندهم قاصرات الطرف عين* صفة واحدة من صفات حور الجنة *بيض مكنون* .

لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلاً سلاماً سلاما نفي لسماع أي لغو ولم ترد في الصافات ... لم يرد شيء عن نفي سماع اللغو

يطوف عليهم بما أن يُنزفون مبنية للمعلوم ناسب أن يقال *يطوف عليهم* مبنية للمعلوم أيضاً ... *ينزفون* مبنية للمجهول فناسب أن يقال *يُطاف عليهم* مبنية للمجهول.

ففي سورة الواقعة إذن دلّ السياق على الإكرام وزيادة والسُرر وزيادة والكأس وزيادة والعين وزيادة ونفى السُكر وزيادة ونفى اللغو وزيادة .

آية *٢٠* :

* ما الفرق بين فواكه وفاكهة ؟

د. فاضل السامرائي

فاكهة اسم جنس يعني عام يشمل المفرد والمثنى والجمع أما فواكه فهي جمع واسم الجنس يكون أعمّ من الجمع. للحبة الواحدة يقال عنها فاكهة والحبتين يقال فاكهة لكن لا يقال فواكه، لكن فواكه يقال عنها فواكه وفاكهة ، فاكهة تشمل فواكه لكن فواكه لا تشمل فاكهة من حيث اللفظ لأن هذا يدل على جمع والفاكهة تدل على الجمع أيضاً وتدل على المفرد والمثنى . ليس هذا فقط لو كان عندنا أنواع من الفواكه كالرمان والبرتقال وغيرها نسميها فواكه ونسميها فاكهة أيضاً. لو كان عندنا فقط نوع واحد من الفاكهة مثل الرمان أو التفاح نسميه فاكهة ولا نسميه فواكه إذن فاكهة أعمّ لأنها للمفرد والمثنى والجمع والمتعدد وغير المتعدد المتنوع وغير المتنوع. الفواكه للجمع والمتنوع فقط إذن أيها الأعم؟ فاكهة أعمّ. لذلك تستعمل الفاكهة في القرآن لما هو أوسع من الفواكه، مثال:
*وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ *١٠* فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ *١١* الرحمن* آية أخرى *وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ *١٨* فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *١٩* المؤمنون* عندنا أمران: الأرض *وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ *١٠* فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ *١١* الرحمن* وعندنا *لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ* أيها الأكثر الفواكه في الأرض كلها في عموم الأرض أو فقط في البساتين ؟ في عموم الأرض لأن البساتين هي في الأرض ومحدودة لذلك لما قال *وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ* قال *فيها فاكهة * ولما قال *فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ* قال *لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ* ، أيها الأكثر؟ الفاكهة أكثر.

إذن الفاكهة اسم جنس والفواكه جمع واسم الجنس هنا أعمّ من الجمع. حتى في الجمع لما يذكر فاكهة معناها أكثر وأشكل وأعم من فاكهة حتى في الجنة مثل في الصافات قال *فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ *٤٢* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *٤٣ * وفي الواقعة *وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *١٠* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ *١١* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *١٢* ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ *١٣* وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ *١٤* عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ *١٥* مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ *١٦* يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ *١٧* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ *١٨* لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ *١٩* وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ *٢٠ * مع السابقون قال *وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ* كثير ومن دونهم قال *فواكه* هذا متعلق بالدرجة أيضاً.

آية *٤١* :

انظر آية *٨* .؟

آية *٤٣* :

* ما الفرق بين حميم ويحموم؟

د. فاضل السامرائي

الحميم هو الماء الحار *وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ *١٥* محمد* من حمّ والحمّى. والحميم يأتي من الشيء وضده حتى أنه يستعمل للماء البارد أيضاً *مشترك لفظي* . اليحموم هو الدخان الأسود الشديد السواد *وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ *٤٣* الواقعة *.

آية *٤٧* :

* ما الفرق بين *مِتم* بكسر الميم و *مُتم* بضم الميم؟

د. حسام النعيمي

أولاً الموت *مات* بالفعل الماضي منسوب إلى المتكلم أو المتكلمين ورد في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم. *مِتُّ* للمتكلم أو المتكلمة بكسر الميم في سورة مريم *قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا *٢٣ * و *وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا *٦٦ * ، الأنبياء *أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ *٣٤ * ، *مِتّم* في سورة المؤمنون *أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ *٣٥ * ، آل عمران *وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ *١٥٧* وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى الله تُحْشَرُونَ *١٥٨ * ، *مِتنا* في سورة المؤمنون *قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ *٨٢ * ، الصافات *أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ *١٦ * ، *أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ *٥٣ * ، ق *أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ *٣ * ، الواقعة *وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ *٤٧ * . نافع، يعني أهل المدينة ، والمغرب العربي، حمزة والكسائي حيثما وردت بكسر الميم في الأحد عشر موضعاً الميم مكسورة عندهم. إبن كثير *مكة * ، إبن عامر *بلاد الشام* وأبو عمرو *البصرة * وشعبة عن عاصم *قبائل من الكوفة * مُتم بضم الميم حيث وردت في الأحد عشر موضعاً. حفص عن عاصم لوحده كسر الميم في تسعة مواضع وضمّ في موضعين.

هذا الذي نقوله دائماً أن الراوي هو نـاقل لما يسمع ممن سمع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يتصرف، معناه شعبة عن عاصم في الأحد عشر موضعاً ضم الميم، عاصم أقرأ شعبة بقراءة وأقرأحفص بقراءة وقلنا قبائل كثيرة كانت متجمعة في الكوفة للفتح الإسلامي وهؤلاء القراء اخذوا منهم، حفص عن عاصم بكسر الميم إلا في آل عمران في الموضعين قال مُتم، لِمَ؟ لا يمكن أن نقول لِمَ سوى بقولنا أن القبائل قرأت هذا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، لكن ما المعنى الذي يؤديه الكسر والضم؟

حفص عن عاصم ضمّ الميم في آيتي آل عمران لقراءة قبائل في الكوفة ، في تسعة مواضع يكسر وفي موضعين تضم، قبائل أخرى حيثما وردت تُضمّ *شعبة عن عاصم* لم يقرأ إلا بالضمّ، قبائل أخرى بل مدن لم تقرأ إلا بالكسر وكلها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، هذه لهجاتها، هي هكذا تنطق.

* مداخلة مع د. فاضل السامرائي :

إضافة لما ذكره الدكتور عن آيات سورة الواقعة التي ربنا تحدث فيها *أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ *٥٨* أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ *٥٩* نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ *٦٠ * بمعنى أن هذا الحيوان المنوي نحن قادرون على أن نميته وهذا تحدي وكذلك بالنسبة للزرع *أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ *٦٣* أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ *٦٤* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ *٦٥ * أنه تحدي كذلك ولما ذكر تعالى *أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ *٦٨* أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ *٦٩* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ *٧٠ * هذا تحدي أيضاً لأن الماء المالح غير صالح للشرب أما النار فتغير الأسلوب وقال *أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ *٧١* أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ *٧٢* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ *٧٣ * ربنا لا يريد أن يطفئ هذه النار حتى تبقى تذكرة للناس بالعذاب إلى يوم القيامة .

آية *٥٠* :

*فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ *٣٨* الشعراء*قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ *٤٩* لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ *٥٠* الواقعة * ما الفرق بين استخدام اللام وإلى؟

د. فاضل السامرائي

اللام قد تكون للتعليل، من معانيها التعليل مثل قولنا جئت للإستفادة هذه لام التعليل وقد تأتي للإنتهاء. أما *إلى* معناها الأساسي الإنتهاء أما اللام فقد تأتي للإنتهاء وضربنا مثلاً في حلقة سابقة *كل يجري لأجل مسمى* و *كل يجري إلى أجل مسمى* . تقول أنا أعددتك لهذا اليوم، كنت هيأتك لهذا اليوم، *فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ *٣٨* الشعراء* جمعناهم لهذا اليوم لغرض هذا اليوم وما فيه حتى نبين حقيقة موسى - عليه السلام - ، أعددناهم لهذا ليوم أما تلك الجمع بمعنى الانتهاء إلى يوم القيامة وقسم يقول بمعنى السَوْق *السَوْق إلى ميقات يوم معلوم*لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ *٥٠* الواقعة * أي مسوقون إلى ميقات يوم معلوم، يخرجون من الأجداث سراعاً يتبعون الداعي لا عوج له ثم يأتون إلى مكان محدد يجتمعون فيه، منتهى الغاية . اللام لا تدل على هذا الانتهاء ولها دلالات أخرى:

واللام للمِلك وشِبهه وفي تعدية أيضاً وفي تعليل

جُمِع السحرة لهذا الغرض وليس المقصود مجرد الجمع وإنما لغرض محدد واضح وكأنها لام العلة مثل قولنا أعددتك لهذا اليوم. هنالك معاني تذكر في كتب النحو لمعاني أحرف الجر تتميز في الاستعمال غالباً وأحياناً يكون فيها اجتهادات لأنها تحتمل أكثر من دلالة وحتى النحاة قد يختلفون في الدلالة لأن الجملة قد تحتمل أحياناً أكثر من دلالة ظاهرة أو قطعية .

آية *٥١* :

* مداخلة مع د. أحمد الكبيسي:

هناك *ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ {٥١} * في سورة الواقعة ثم رب العالمين يقول *وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ {٩٢} * تقدمت الضالون هناك في *ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ* والفرق واضح تماماً وهو أن الله تعالى يقولها حكاية يخاطبهم وهم في الدنيا فالضال قد يهتدي.

آية *٦٤* :

* هل كلمة الزراع جمع زارع؟ و في سورة الواقعة قال تعالى *أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ *٦٤ * ولم يستعمل الزُرّاع لماذا؟

د. فاضل السامرائي

الزُرّاع جمع زارع مثل كُتّاب وكاتب وواعظ وعّاظ. وعندنا زارعون جمع وأحياناً الكلمة يكون لها أكثر من جمع مثل كلمة ساجد تُجمع على سُجّد *تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا *٢٩* الفتح* وسجود *أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *١٢٥* البقرة * وساجدين *وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ *٢١٩* الشعراء* يكون هناك أكثر من جمع للكلمة . وعندنا ميّت تُجمع على ميّتون *أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ *٥٨* الصافات* وموتى *إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى *٣٩* فصلت* وأموات *وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء *١٥٤* البقرة * كلها جمع ثم تختلف بين القِلّة والكثرة ودلالات أخرى.

فى سورة الواقعة لما يذكر ضمير التعظيم يذكر جمع المذكر السالم.

آية *٦٥* :

* ما دلالة اللام في قوله *لجعلناه حطاماً* في سورة الواقعة وحذفها في *جعلناه أجاجاً* وفي النار *جعلناها تذكرة * ؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى في سورة الواقعة *أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ {٦٣} أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ {٦٤} لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ {٦٥} * والآية تتحدث عن الزرع أما الآية الثانية *أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ {٦٨} أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ {٦٩} لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ {٧٠} * فهي تتحدث عن الماء والآيتان فيهما تهديد الأولى أنه تعالى لو شاء يجعل الزرع حطاماً فلا يمكن أن يكون طعاماً أو يستفاد منه وهذه عقوبة أشد من جعل الماء أجاج لأن الماء الأجاج يمكن أن يُحوّل إلى ماء عذب والتهديد لم يأت في الآية بغور الماء كلياً كما في تهديد جعل الزرع حطاماً فكانت العقوبة في الزرع أشد من العقوبة في الماء فجاء باللام لتأكيد التهديد في آية الزرع وحذفها من آية التهديد بالماء وهذه اللام تُسمى لام المؤكدة . أما في النار فلم يذكر تحذيراً أو تهديداً وإنما ذكر حالتها فقط *أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ {٧١} أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ {٧٢} نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ {٧٣} * لم يقل لو نشاء لذهبنا بها لأن الناس يمكن أن يعيشوا بلا نار لكن لا يمكنهم أن يعيشوا بلا طعام أو ماء.

* في سورة طه *وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا *٩٧ * الفعل الوحيد الذي ورد بهذه الصيغة وهي حذف أحد حرفي التشديد مع أن المقام مقام مبالغة في العكوف وليس مقام تقليل إذا اعتمدنا أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى فما العِلة من ذلك وكذلك في سورة الواقعة *فظلتم تفكهون* ؟

د. فاضل السامرائي

العرب وقريش وغيرها قد تخفف من الفعل المضعّف إذا صادفه تسكين. أصل الفعل ظلِلْت مضعّف. فعندهم هذا وقسم من العرب عندهم لغة قالوا هم بنو سُليم يحذفون دائماً ليس فقط في الفعل بل ما كان شبيهاً بالمضاعف إذا سُكّن آخره فلا يقولون أحسست وإنما أحست ولا يقولون هممت وإنما همت، صددت - صدت. هذه لغة من لغتهم فهذه لغة . يبقى السؤال لماذا استعمل هذه اللغة هنا مع

العلم أنه لم يحذف في المضعف *إن ضللت، صددت* فلماذا استعملها هنا؟ استعملها في القرآن مرتين: هنا وفي سورة الواقعة *فظلتم تفكهون* . هنالك ظاهرة عامة في القرآن الكريم أن القرآن يحذف من الفعل إذا كان زمنه أقل مثل *تتوفاهم وتوفاهم ،استطاعوا، اسطاعوا، تتنزل، تنزل* مراعاة بين قصر الفعل والزمن.

هنا *وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا* يتكلم عن السامري الذي صنع العجل، كم ظلّ عاكفاً عليه؟ على مدة ذهاب موسى - عليه السلام - وعودته وليس كالذي يعبد الأصنام طول عمره لكن بمقدار ما ذهب موسى - عليه السلام - وعاد وقال له *لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا* . إذن هذا البقاء قليل فحذف من الفعل لأن هذه العبادة لا تشبه عبادة الآخرين الذين يقضون أعمارهم في عبادة الأصنام لكن هذه مدة قصيرة بمقدار ما ناجى موسى - عليه السلام - ربه ثم عاد فحذف من الفعل إشارة إلى قصر الزمن. حتى في سورة الواقعة *لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ *٦٥ * بداية الآيات *أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ *٦٣* أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ *٦٤* لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ *٦٥ * تفكهون، كم يتكلم؟ قليل فحذف من الفعل.

وعلى الأكثر أن اللام الوسطى المكسورة هي التي تُحذف، أصل الفعل ظَلِلْت لكن ليس فيها قاعدة .

* بالنسبة للشرط وجواب الشرط أحياناً نسمع الشرط فيه أداة *لو* وجواب الشرط فيها *ما* للنفي أو *اللام* للتأكيد مثل *وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ *١٤* فاطر* وأحياناً الجواب يكون *لما* هذه لم ترد في القرآن فأرجو أن تبينوا هذه الأداة *لما* في الحكم النحوي؟

د. فاضل السامرائي

في اللغة العربية اللام تأتي حكماً في الغالب مع المُثبَت *لو كان كذا لكان* يعني مع غير المنفي، إذا كان الجواب منفياً *لو زارني لأكرمته*وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ *١٤* لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا *١٥* الحجر* مع المثبت يمكن أن نأتي باللام للتوكيد *لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا *٦٥* الواقعة *لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا *٧٠* الواقعة *. أما المنفي إما أن يكون بـ *ما* أو *لم* مثل لو فعل كذا ما أعطيته، لو فعل كذا لم أعطه، إذا كان الجواب بـ *ما* فالأكثر عدم اقترانه باللام مثل لو زارني ما أكرمته، أو ما أكرمه ولا نقول لما أكرمته إلا ما ورد قليلاً. إذا كان الجواب *لم* لا تقترن به اللام مثل لو لم يخف الله لم يعصه، إذن اقتران اللام هو مع المثبت إذا كان الجواب مثبتاً يمكن أن تقترن باللام وممكن الا تقترن حسب التوكيد، إذا كان الجواب منفياً بـ *ما* فالأكثر ألا يقترن الجواب باللام إلا ما ورد قليلاً وإذا كان الجواب بـ *لم* لم تقترن به اللام قولاً واحداً.

آية *٦٦ - ٦٧* :

* ما هو تفسير الآيات *إِنَّا لَمُغْرَمُونَ *٦٦* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ *٦٧* الواقعة *؟ وما دلالة استخدام لفظ الجمع *إنا ونحن* ؟

د. فاضل السامرائي

الآية الكريمة *لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ *٦٥* إِنَّا لَمُغْرَمُونَ *٦٦* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ *٦٧* الواقعة * المُغرَم معناه المدين أثقلته الديون، نحن نستعمل المغرم بمعنى الذي وقع في الغرام، المغرم بمعنى الغرام معناه يتقاضاه كما يتقاضى الغريم دينه. فإذن المُغرَم هو المدين والمدين يتقاضاه الدائن. المحروم مقتصر على نفسه ليس عنده شيء لكن ليس بالضرورة

مدين يتقاضاه أحد إذن المغرم مدين يتقاضاه الدائن أما المحروم فليس بالضرورة . إذن المُغرَم هو محروم وزيادة . أيها الأولى بالتوكيد بالخسارة ؟ المُغرم أولى بالتوكيد لذا جاءت الآية *إِنَّا لَمُغْرَمُونَ* المغرم والمحروم ليسا بدرجة واحدة المُغرم مطلوب يتقاضاه الدائن يطلبه، إذن المغرم هو محروم وزيادة فهو أولى بالتأكيد من حيث الخسارة أما المحروم فهو محروم فقط وهذه قاعدة رياضية .

آية *٧٣* :

*نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ *٧٣* الواقعة * ما اللمسة البيانية في هذه الآية ؟ وما دلالة المقوين؟

د. فاضل السامرائي

يتكلم عن النار والمقوين المسافرين الذي يذهبون في القواء، القواء هو القفر. يذهب في القفر يعني مسافر وقسم قالوا المحتاجين قالوا القواء قد يكون بمعنى الاحتياج، إذا كان بهذا المعنى ستكون من المشترك اللفظي المفردات أحياناً تشترك في أكثر من معنى، قسم قال القواء هو الاحتياج والمقوين يعني المحتاجين وقسم قالوا المسافرين الذي ذهبوا في القواء يعني القفر يحتاجوها في القفر إما للإستدفاء أو الطعام، وتذكرة تذكرهم بالآخرة فهي تذكرة من ناحية ومتاع من ناحية الأخرى، متاع للانتفاع بها وتذكر بالنار لأنه لم لم يعلموا النار كيف يذكرهم بالنار؟ فلا بد أن يعرفوها حتى تحذرهم ويخوفهم فجعلها ربنا تذكرة ومتاع للمقوين.

آية *٧٩* :

* ما تفسير كلمة المطهرون في الآية *لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ *٧٩* الواقعة *؟

د. فاضل السامرائي

المطهَّرون هم الملائكة *والمُطهّر اسم مفعول وهي تعني مُطهّر من قِبَل الله تعالى* لأن القرآن الكريم لم يستعمل المطهرين للبشر مطلقاً وإنما يستعمل متطهرين، مطّهِرين لا يستعلمها للبشر وإنما يستعملها لأزواج الجنة *وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ *٢٥* البقرة *فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ *١٣* مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ *١٤* عبس* فإذن المطهَّرون لم تأت في القرآن للبشر إنما أتت هنا وأتت في أزواج الجنة . قالوا ربنا رد على الكفار الذين قالوا تنزلت به الشياطين قال تعالى *وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ *٢١٠* الشعراء* وقال *إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ *٧٧* فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ *٧٨* لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ *٧٩ * مكنون يعني محفوظ *لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* لا تستطيع الشياطين أن تمسه. هذا أمر.

وثم إن من حيث اللغة *لا* هنا نافية وليست ناهية في هذه الجملة لا يمكن أن تكون ناهية في النحو في هذه الجملة بدليل أن الفعل مرفوع *لا يمسُّهُ* ولو كانت ناهية تجزم إما يقول لا يمسسه وإما يقول لا يمسَّه بالفتح *في حالة التقاء ساكنين* ، لا يمكن في النحو أن تكون لا ناهية هنا في هذا الموطن وإنما نافية قطعاً من الناحية النحوية أما إذا كان هناك نص عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهذا أمر آخر. ليس نهياً وإنما نفياً، نقول انصرف النفي إلى النهي وعندنا مواطن أن ينصرف النفي إلى نهي بدليل وله ضوابط لكن من دون صارف هذه *لا* نافية والمطهرون في القرآن لم تستعمل للبشر وإنما استعملت للملائكة أو الأزواج في الجنة . يستعمل للبشر المتطهرين والمطّهِرين.

وهذه الآية وأنا لست عالماً بالحديث لا تنص شرعياً على عدم جواز مس المصحف إلا بوضوء إلا إذا كان في الأحاديث ما ينصّ على ذلك هناك حديث عن عدم جواز مس المصحف للجُنُب. وأنا أعتذر من الناحية الفقهية الشرعية لكني أتكلم من الناحية النحوية . إذا كان هناك نصٌّ يحكم فهو يحكم بدلالته لكن ليس بدلالة هذه الآية .

آية *٨٣* :

* الوفاة والموت، هل لحظة الوفاة تعتبر هي اللحظة التي لا تقبل فيها التوبة ؟ *فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ *٨٣* الواقعة * أي في حالة الغرغرة ؟

د. فاضل السامرائي

هذا سؤال فقهي لكن نقول أن الوفاة حالة غير إختيارية أي أنه ليس عالماً بما يفعل لأنهم يقولون الوفاة هي النوم فإذا لم يكن عالماً ما يفعل أو مختاراً فالتوبة لا تقع.

آية *٨٤* :

* ما هو تفسير الآية *وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ *٨٤* الواقعة * فهل يمكن أن يبصر الإنسان الملك الذي يقبض روحه؟

د. فاضل السامرائي

هذه فيها أحاديث والقرآن يشير إلى هذا *إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ *٣٠* فصلت* هذا قيل عند النزع وفي الحديث عند النزع أن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة من هذا الجسد الذي تعمرينه إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فيها أكثر من حديث في هذا وكما فيها تبشير لهؤلاء فيها إنذار للآخرين *وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ *٩٣* الأنعام* هذا عند النزع، سكرات الموت *وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ *٩٣* الأنعام* هذه في السكرات. إذن هناك أحاديث أنه عند النزع يبشر المؤمن ويهان الكافر ويضرب *وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ *٥٠* الأنفال* وقد سمعنا من الناس ذكر لي عن نفسه أكثر من واحد أنه حصل له مثل هذا ورأى ملك الموت، هذه أخبار ولكنها من شخص ثقة عندي، هي أحاديث تنقل لكن في الحديث موجود هذا الشيء. نفهم من قوله تعالى *وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ *٨٤* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ *٨٥* الواقعة * أنتم تنظرون إلى الميت حين النزع لكن لا تبصرون، نحن لا نبصر لكن الميت هو الذي يُبصر، هناك فرق بين الإبصار والنظر الإبصار هو وقوع الرؤية أما النظر فليس بالضرورة ، حدوث الرؤية لما نقول أبصر فهو إدراك الشيء، أقول نظرت إلى الكأس قد تحصل الرؤية وقد لا تحصل، أنا أنظر الهلال ليس بالضرورة أني أراه لكن أبصرت الهلال فقد وقعت الرؤية .

* تناسب فواتح سورة الواقعة مع خواتيمها*

بعد أن ذكر الواقعة ذكر إنقسام الخلق إلى أزواج ثلاثة : أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون *فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ *٨* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ *٩* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *١٠ * ، ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، هي ثلاثة أصناف *المقربون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال* وفي آخر السورة *فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ

الْمُقَرَّبِينَ *٨٨* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ *٨٩* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ *٩٠* فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ *٩١* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ *٩٢* فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ *٩٣* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ *٩٤ * لم يصرّح في الختام بأصحاب الشمال لأنه وضح لنا من هم أصحاب الشمال بقوله *المكذبين الضالين* . المقربين، أصحاب اليمين، أصحاب الشمال، المقربين أصحاب اليمين المكذبين الضالين، هذا ترابط قوي.

* تناسب خواتيم الواقعة مع فواتح الحديد*

الواقعة ختمت *فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ *٩٦ * وفي الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * . الخطاب في الواقعة كان موجهاً إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - سبَّح لله فسبح أنت معهم ونحن أيضاً ينبغي أن نسبح مع المسبحين.

سورة الحديد

* تناسب خواتيم الواقعة مع فواتح الحديد*

الواقعة ختمت *فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ *٩٦ * وفي الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * . الخطاب في الواقعة كان موجهاً إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - سبَّح لله فسبح أنت معهم ونحن أيضاً ينبغي أن نسبح مع المسبحين.

* هدف السورة : التوازن بين المادية والروحانية *

السورة مدنية وهي تدل في آياتها على أنه علينا التوازن بين المادية والروحانية وتحدثت السورة عن نوعين من الناس: الماديين الذي أخذتهم الحياة وخاطبهم الله تعالى: *أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* آية ١٦، وتكلمت أن الذين عاشوا في روحانية مطلقة وخاطبهم الله تعالى: *ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا

حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* آية ٢٧، والنموذجين لم يستطيعوا أن يكملوا حمل الرسالة والمنهج. وجاءت الآية بعد خطاب الماديين *اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* آية ١٧ أن الله الذي يحيي الأرض بعد موتها فالله تعالى القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي القلوب في الصدور.

فالسورة تقول مخاطبة أمة محمد: أنتم لا ماديين كبني إسرائيل ولا متفرغين للروحانية كالنصارى إنما أنتم متوازنين بين الإثنين.

وفي السورة آية محورية هي من أهم آيات السورة *لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ* آية ٢٥ *لقد أرسلنا رسلنا بالبينات* : تدل على الروحانية ، و *أنزلنا الحديد* : تدل على الماديّة . وعليها سميّت السورة : *الحديد* وفي قوله *وليعلم الله من ينصره* إشارة إلى استعمال الحديد في الصناعات وعدة الحروب والغواصات والمدافع والسيوف والرماح. فيا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - يا أمة الحديد وأمة الإيمان وازنوا لأن الكون كله متوازن ولذا بدأت السورة بعرض كل المتضادات في الكون وكل شيء متوازن بأمر الله تعالى فهل يعقل أن تكون أمة سورة الحديد ليس لديها تكنولوجيا؟ فعلينا أن نهتم بالصناعات التي فيها قوة الإنسان في السلم وفي الحرب وعدّته في البنيان والعمران.

* لمسات بيانية في سورة الحديد للأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي*

* نظرة عامة :

تبدأ سورة الحديد بقوله تعالى *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* هل لها علاقة بما قبلها؟ هي قبلها سورة الواقعة تنتهي بقوله تعالى *فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ *٩٦ * وقال بعدها *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* الحشر* يعني لقد سبح لله فسبّح أنت، توافق مع ما في السماوات والأرض، هؤلاء كلهم سبحوا الله سبحانه وتعالى فسبّح أنت باسم ربك العظيم. لا شك أن هذه مناسبة بيانية لطيفة .

علاقتها بما بعدها؟ بعض الذين كتبوا في القرآن قالوا: القرآن في إتصال بعضه ببعض وقالوا كالسورة الواحدة ثم قالوا بل كالآية الواحدة بل قالوا كالكلمة الواحدة في كونه متصلاً بعضه ببعض. وقال الرازي "هو كالكلمة الواحدة في توافقه وإتصال بعضه ببعض" . فعلاقة السورة بما بعدها: خاتمة السورة هي *لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢٩ * وتأتي بعدها سورة المجادلة *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ *١ * نسأل: جبار السماوات والأرض ملك الملوك يسمع لشكوى امرأة لم يجد لها الرسول - صلى الله عليه وسلم - مخرجاً أليس هذا من الفضل العظيم؟ جبار السماوات والأرض ملك الملوك يسمع لخولة بنت ثعلبة تجادل في زوجها أوس ابن الصامت فإذن أولاً من أعظم الفضل أن يسمع الله سبحانه وتعالى لهذه المرأة ويذكر لها مخرجاً والرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يذكر لها مخرجاً وإنما قال "لا أراك إلا قد حرُمتِ عليه" ، هذا أمر. والأمر الآخر الآية الأولى في سورة المجادلة *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* قال تعالى *يسمع* ولم يقل يعلم لأن العلم قد تكون بعيداً عنه وتعلم أما السمع فيدل على القُرب.

في أوائل سورة الحديد قال تعالى *هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٤ * هو معكم، إذن يسمع تحاوركما، الذي معك يسمع التحاور إذن هناك ارتباط. في آية المجادلة قال تعالى *أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* أليس هذا مرتبطاً بقوله تعالى في سورة الحديد *يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* ؟ إذن الارتباط واضح ظاهر سواء كان في خاتمة السورة السابقة أو في بداية السورة اللاحقة . إذن هذا الترتيب هو ترتيب توقيفي وهذا الذي عليه الجمهور. والعرب كانت تفهم هذا الكلام وتفهم أكثر مما نفهم لكن فقط الناحية العلمية والمكتشفات العلمية هذا أمر آخر. لكن من حيث البلاغة هم يفهمون أكثر مما نفهم لذلك عندما تحداهم بسورة قصيرة كالكوثر أو العصر أو الصمد *فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ *٢٣* البقرة * لم يفعلوا، سور قصيرة ليس فيها تشريع ولا قصص ولا تاريخ لكنهم سكتوا وعجزوا معناه أنهم كافرهم ومسلمهم يدركون من أمور البلاغة ما لا ندركه نحن.

* آية *١* :

* سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ *

سبّح ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

التسبيح هو التنزيه عما لا يليق، أصل التسبيح هو التنزيه *سبّح لله* أي نزّهه هؤلاء كلهم بما نفقه وبما لا نفقه من تسبيحهم *وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا *٤٤* الإسراء* الطير تسبّح والأشجار تسبّح وكل شيء يسبح *وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ *١٥* الرعد* لا نفقه تسبيحها. التسبيح هو التنزيه عن كل ما لا يليق، عن كل نقص، أن تقول لله ولد أو تشبهه بخلقه أو أي شيء لا يليق بذاته. التسبيح ورد في صور شتّى : ورد التسبيح بالفعل الماضي *سبّح* وورد بالفعل المضارع *يسبح* وورد بفعل الأمر *فسبّح*سبّح اسم ربك* وورد باسم المصدر *سبحان الذي أسرى بعبده* كل هذا ورد فيه، لماذا؟ سبّح للزمن الماضي، يسبح مضارع للحال والاستقبال *المضارع للاستقبال كما في قوله تعالى *إن الله يفصل بينهم* هذا في يوم القيامة * حتى أن بعض النحاة قالوا هو للاستقبال أولاً ثم للحال. *سبِّح* الأمر وهو يدل على أن تبدأ به وتستمر، سبحان اسم مصدر. اسم المصدر قريب من المصدر، سبحان معناه علمٌ على التنزيه.نلاحظ أن الفعل مرتبط بزمن وبفاعل حتى يكون فعلاً، المصدر هو الحدث المجرّد الذي ليس له زمن ولا فاعل. إذن صار التنزيه إستغراق الزمن الماضي *سبح* والحال والمستقبل *يسبح* والأمر بالتسبيح ومداومته *سبّح* وسبحان التسبيح وإن لم يكن هناك من لم يسبح في السماوات والأرض قبل الزمان وبعد الزمان إن كان أحد أو لم يكن فهو يستحق التنزيه سبحانه سواء كان هناك من يسبح بفاعل أو بدون فاعل فاستغرق جميع الأزمنة وقبل الأزمنة وبعد الأزمنة واستغرق الخلق وما قبل الخلق وما بعد الخلق.

ليس هذا فقط إنما لاحظ كيف ورد التسبيح؟ ورد التسبيح *سبِّح اسم ربك الأعلى * ذكر الاسم، و *سبّحوه بكرة وأصيلا* لم يذكر الاسم وذكر المفعول به مباشرة ، *سبّحه*سبّح اسم ربك الأعلى * متعدي وسبّح باسمه متعدي بالباء، متعدي بنفسه والتعدية بالاسم وبالحمد *فسبح بحمد ربك* ، *سبّح* هو في الأصل فعل متعدي. الفعل اللازم هو الذي يكتفي بفاعله ولا يأخذ مفعول به

مثل ذهب ومشى ونام، الفعل المتعدي يتعدى إلى مفعول به مثل أعطى ، وأحياناً يستعمل المتعدي كاللازم بحسب الحاجة مثلاً أحياناً يكون متعدياً إلى مفعوليم أو يذكر مفعولاً واحداً مثلاً *وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى *٥* الضحى * ماذا يعطيك؟ أطلق العطاء ولم يقيّده بأمر معيّن. وقالوا يستعمل استعمال اللازم كما في قوله تعالى *حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ *٢٩* التوبة * وأحياناً لا يذكر المفعول به أصلاً *إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ *٦٧* يونس*يفقهون* فعل سمع متعدي *إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *٥٢* النمل* علم تأخذ مفعولين ما ذكرها لأنه أراد الفعل بالذات ولم يُرِد المتعلق. قد نستعمل المتعدي كاللازم نريد الفعل وليس مرتبطاً بالمفعول به كما تقول مثلاً: فلان يعطي ويمنع، ماذا يعطي؟ وماذا يمنع؟ *قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى *٤٦* طه* هو يسمع ويرى ولا يقيّد بشيء معين.

* لم لم يستخدم اسم المصدر ليخرجه من دائرة الزمان ودائرة الفعل؟

هذا فيه زمان وفيه فاعل *أسمع وأرى * الفاعل موجود والزمن موجود.

سبّح يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

سبّحه أي نزّهه، سبّح لله للتعليل أي الإخلاص تسبّحه لأجله *قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *١٦٢* الأنعام* يسموها لام التعليل لبيان العِلّة وهي تدل على الإخلاص. فقوله *سبّح لله* أي أخلص التسبيح له فمن صلّى ولم يصليّ له فلا تقبل صلاته لأنه صلّى رياء ولم يصلي لله، هو قام بالفعل لكن لم يصلي لله لأنه لم يُخلِص، لو سبّح أمام الناس لكن لم يكن التسبيح لله فهو لم يسبح لله، هذا هو الإخلاص معقد النية التي تتحول إلى عبادة ألم يقل تعالى *فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ *٤* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ *٥* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ *٦* الماعون* هم يصلّون ولكنهم يراءون، *كالذي ينفق ماله رئاء الناس* لو أنفق لله لقُبِل، لو سبّح لله لقُبِل. إذن هناك فرق *سبّح* قام بالفعل لكن *سبّح لله* قام بالفعل وأخلص التسبيح له *قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لو نسك لغير الله ما يُقبل.

إذا تعدى الفعل بنفسه *سبّحه أي نزّهه* أي قام بالفعل، *سبّح لله* صلّى وصلّى له، زكّى وزكّى له، نسك ونسك له، لأجله إذن *سبح لله* أي سبّحه بإخلاص.

* يقول تعالى *سبح لله ما في السماوات والأرض* ومرة يقول *سبح لله ما في السماوات وما في الأرض* فهل هناك فارق بينهما؟

كل الآيات بلا استثناء إذا كرر *ما* يعقب الآية بالكلام على أهل الأرض في كل القرآن في آيات التسبيح كلها، إذا قال *ما في السماوات وما في الأرض* يعقب الكلام لأهل الأرض *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *٢* الصف* لأهل الأرض، في سورة الحشر *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ *٢ * لأهل الأرض. وإذا لم يكرر *ما* لا يذكر أهل الأرض لا يعقبها وإنما يعقبها بشيء عن نفسه أو شيء آخر *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٢* الحديد* لم يتكلم على أهل الأرض. في جميع القرآن حيث كرر *ما* يعقب الآية بالكلام على أهل الأرض في جميع القرآن ولذلك لاحظ في سورة الحشر بدأ بتكرار *ما* وانتهت السورة بقوله تعالى *هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *٢٤ * ما كرر *ما* ، سورة الحشر أولها

قال *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* كرر *ما* وفي نهاية السورة *هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* لم يكرر *ما* لأنه لم يأت بعدها كلام على أهل الأرض وانتهت السورة .

لذلك نقول القرآن تعبير فني مقصود كل كلمة ، كل تعبير، كل ذكر، كل حذف قُصِد قصداً ولم يأت هكذا.

* ما الفرق بين *ما* و *من* في الاستخدام اللغوي؟

في اللغة تستعمل *ما* لذوات غير العاقل ولصفات العقلاء *وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ *٢٩* طه* ماذا في يمينه؟ عصاه، *تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا* لذات غير العاقل ولصفات العقلاء. تقول من هذا؟ هذا فلان، تسأل ما هو؟ تسأل عن صفته فيقال مثلاً هو تاجر، *من هو؟* تسأل عن ذاته. *ما* هي تستعمل لأمرين: لذات غير العاقل ولصفات العقلاء *فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء *٣* النساء* عاقل وربنا سبحانه وتعالى يستخدمها لنفسه كما جاء في سورة الشمس *وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *٧ * يتكلم عن نفسه سبحانه. *ما* تقع على صفات أولي العلم جميعاً حتى قسم من النُحاة أدق لا يقولون العقل لأن الله تعالى لا يوصف بالعقل ولا يصق نفسه أنه العاقل وإنما العالِم، فيقول النحاة لذوي العلم وذوات غير العاقل. في سورة الليل قال تعالى *وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى *٣ * من الخالق؟ الله سبحانه وتعالى ، في سورة الكافرون *وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *٣ * ما أعبد هو الله تعالى ، *وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ *٤ * الأصنام غير عاقلة و *ما* تستعمل لذوات غير العاقل وتستعمل لصفات العقلاء.

من* إذا إنفردت تكون لذوات العقلاء تحديداً، قد تستعمل في مواطن تخرج عن هذا الأمر مثلاً أنت تُنزلاً غير العاقل منزلة العاقل، تتكلم مع حصانك يقولون لك: من تُكلِّم؟ تقول: أكلِّم من يفهمني، من يحفظني، هذا تجوّز. في الأصل أن *من* لذات غير العاقل وأحياناً يشترط العاقل مع غير العاقل فتطلق عليهم *من* فيصير تفصيل *وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٤٥* النور* من يمشي على بطنه غير العاقل، من يمشي على رجلين الإنسان، اجتمعت في عموم فصّل بـ *من* لها مواطن. أما إذا انفردت فلا تكون إلا للعاقل *أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ *١٤* الملك* لذي العِلم.

سبّح لله بصيغة الماضي وفي بعض السور *يسبح* بصيغة المضارع فهل هذا مقصود بذاته؟

نلاحظ أنه كل سورة تبدأ بـ *سبّح* بالفعل الماضي لا بد أن يجري فيها ذكر للقتال في كل القرآن أي سورة تبدأ بـ *سبّح* فيها ذكر للقتال والمبدوءة بـ *يسبح* ليس فيها ذكر للقتال أبداً. سورة الصف *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *٤ * كل التي تبدأ بـ *سبّح* لا بد أن يجري فيها ذكر القتال. هذه الآية في سورة الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠ * ليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *سبح* إلا ويجري فيها ذكر للقتال وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *يسبح* إلا لم يذكر فيها القتال. هذا توجيه للناس في الحاضر والمستقبل أن يتركوا القتال، أن لا يقاتلوا، الذي جرى جرى في تاريخ البشرية والله تعالى حكيم فعل ما فعل ودعا الناس يفعلون ما يشاؤون، هو التوجيه للخلق، للعقلاء، للناس، للمسلمين أنه في الحال والاستقبال عليهم أن يتركوا القتال ويعيشوا حياتهم، ينصرفوا إلى التعاون وما هو أنفع وما هو أجدى وما هو خير. هو توجيه لما يقول *يسبح* المضارع يدل على الحال

والاستقبال لم يذكر القتال وكأنما هو توجيه - والله أعلم - للخلق في حاضرهم ومستقبلهم أن يتركوا القتال، أن لا يتقاتلوا فيما بينهم، أن يتفاهموا، أن يتحاوروا، أن يتحادثوا، أن تكون صدورهم رحبة ، هذا أنفع لهم من القتال، الماضي ماضي ذهب لكن *يسبح* كأنه توجيه لعباده.

الرابط بين القتال والتسبيح: التنزيه عما لا يليق والقتال لا يليق كما قالت الملائكة *قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *٣٠* البقرة *.

فى إجابة للدكتورحسام النعيمي على نفس السؤال:

طبعاً الفعل الماضي لا يراد به المضي دائماً يعني مضى وانقضى، قد يراد به المواصلة والاستمرار. عندما تُسأل ما شأن فلان؟ تقول: سكن في حارتنا أو محلتنا. سكن فعل ماض يعني هو الآن ليس ساكناً؟ كلا بل تعني والآن ما زال ساكناً. فلما يأتي *سبح لله* يعني هذه الموجودات سبّحت لله سبحانه وتعالى نزهته وقدسته لكنها هي ماضية على ذلك. عندما يكون الحديث حديث يحتاج إلى ذكر للحاضر والمستقبل *للاستمرار للحضور* يعني فيه كلام عن الحضور يستعمل المضارع *يسبح لله* . لاحظ في سورة الجمعة قال *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *١ * لكن انظر كيف قال *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢ * الكلام على الرسالة والرسالة حاضرة ومستقبلة . قال *يتلو* ما قال تلا فيسبح تنسجم مع يتلو ويعلّم ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب. لما كان الكلام كلاماً على حاضر ومستقبل استعمل الفعل يسبح ولما كان الكلام مطلقاً استعمل الفعل الثابت سبّح. فيها كلام كثير لكن لا تريد أن نطيل الإجابة .

* تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله *سبح لله ما في السماوات والأرض* :

التقديم حسب الاهتمام في البلاغة ، هل الكلام على الفاعل الآن أو على مستحق التسبيح؟ الكلام على الله وليس على الفاعل لكن يتقدم المفعول على الفاعل لأغراض بلاغية .

* لماذا قدم السماوات على الأرض؟

أولاً من الذين كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ أهل السماء لأن أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، قبل أن خلق آدم فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، بمن هو أدوم تسبيحاً *يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ *٢٠* الأنبياء*فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ *٣٨* فصلت* فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم تسبيحاً، أدوم في هذه العبادة .

* أول آية في سورة الحديد من الناحية البيانية :

ذكرنا أن فيها تقديم وتأخير وفعل ماضي ومضارع لكن الآية *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * العزيز في اللغة هو الغالب الممتنع والحكيم لها دلالتان إما أن تكون من الحُكم أو من الحِكمة . أصلاً الحكيم لها أكثر من دلالة لكن هنا فيها دلالتين. الحكيم قد تكون اسم مفعول بمعنى محكم *فعيل بمعنى مفعول مثل قتيل بمعنى مقتول* وحكيم بمعنى مُحكم قال تعالى *ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ *٥٨* آل عمران* وفي سورة هود قال تعالى *الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ *١ * يعني مُحكم. هنا في هذه الآية حكيم لها دلالتان: حكيم من الحُكم وحكيم من الحِكمة ونجمع المعنيين للتوسع في المعنى لأنه أحياناً في اللغة الكلمة

الواحدة يراد كل معانيها التي تحتملها في آن واحد وهذا يسمى التوسع في المعنى في جملة واحدة تحتمل كل دلالاتها اللغوية ويريد هذا الشيء وليس لها معنى محدداً لأن أحياناً المعنى احتمالي.
الجملة العربية نوعان ذات جلالة قطعية وذات دلالة احتمالية حتى لو وضعتها في سياقها. دلالة قطعية أي دلالة واحدة *وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا *٢٧٥* البقرة * دلالة واحدة وتأتي بدلالة احتمالية تحتمل أكثر من معنى، تقول: اشتريت قدحَ ماءٍ، ماذا اشتريت؟ ماء أو قدح؟ إذا قلتها بالإضافة فيها إحتمالان إحتمال أنك اشتريت الماء ومحتمل اشتريت القدح، فلو قلتها بالنصب: إشتريت قدحاً ماءً تعني أنك اشتريت الماء فقط ولم تشتر القدح، إشتريت الماء ولا يمكن أن تكون اشتريت القدح. هنا الحكيم يحتمل المعنيان والمعنيان مرادان.

تكلمنا في الحلقة الماضية على مفتتح سورة الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* وذكرنا بعض الأمور التي تتعلق بالتقديم والتأخير وذكر *ما* وعدم ذكرها وتوقفنا في نهاية الحلقة عند *وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* وقلنا أن معنى العزيز هو الغالب الممتنع والحكيم فيها إحتمالان فعيل من الحِكمة أو من الحُكم. الحكمة هي وضع الشيء في محله قولاً وعملاً ويقولون *توفيق العلم بالعمل* . بالنسبة للناس إذا يتكلم واحد في غير مكانه وفي غير مقام فهو ليس بحكيم وإنما ينبغي أن يختار الوقت المناسب مع الأشخاص المناسبين ويتكلم بما هو في مستواهم ولا ينبغي أن يقول شيئاً ويفعل ضده فهذا ليس بحكيم. إذن الحكمة وضع الشيء في محله قولاً وعملاً. والله تعالى ذو الحكمة البالغة . الحكيم فيها اعتباران: قد تكون من باب الحكمة *الحكيم* وقد تكون من باب الحُكم *حكيم* والآية تجمعهما معاً وهذا يسمى باب التوسع في المعنى. أحياناً يؤتى بكلمة واحدة أو تعبير واحد يجمع عدة معاني كلها مرادة داخل سياق واحد. إذا أردت أن تعيّن لا بد أن تأتي أما بتعبير ذي دلالة واحدة قطعية أو تأتي بأمور أخرى حتى تصل إلى هدفك. مثال قوله تعالى:
*وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا *١٦٠* النساء* ما المقصود؟ كثيراً من الناس؟ كثيراً من الصدّ؟ كثيراً من الوقت؟ يحتمل ولا يوجد قرينة سياقية تحدد أحدها وإنما أرادها الله سبحانه وتعالى جميعاً يصدون كثيراً من الناس وكثير من الصدّ، هذا يسمى التوسع في المعنى. *بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا *١٥* الفتح* هل قليلاً من الفهم؟ قليلاً منهم؟ يحتمل وهي مرادة . *

فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ *٨٢* التوبة * هل هو القليل من الضحك؟ أو من الوقت؟ المعنى: فليضحكوا ضحكاً قليلاً وقتاً قليلاً وليبكوا بكاءً كثيراً زمناً كثيراً ولو أراد تعالى أن يحدد يأتي بما يحدد كما قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا *٤١* الأحزاب* المراد هنا الذكر. هناك تعبيرات يسموها احتمالية ويراد بها أن تجمع لها المعاني من باب التوسع في المعنى. مثلاً في الأحكام الشرعية : *وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ *٢٨٢* البقرة * و *لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ *٢٣٣* البقرة * هذا حكم شرعي. *وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ*لا* ناهية وليست نافية بدليل الراء في *يضارَّ* مفتوحة . هل هي لا يضارَر؟ أي لا يضره أحد أو لا يضارِر، هو لا يضر أحداً؟ محتمل أن الكاتب والشهيد يضغط عليه ويضر عليه ويهدد فيغير من شهادته يحتمل هذا المعنى أو أن الشهيد لا يريد أن يشهد لأسباب في نفسه، يغير في الشهادة . لا يضارَر أو لا يضارِر؟ لو أراد أن يقيّد كان يقول ولا يضارَر فيكون قطعاً هو المقصود *نائب فاعل* لو أراد أن الكاتب هو الذي يُضر يقول لا يضارِر. مع أن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن *ومن يرتدد* في مكان وقال *ومن يرتد* في مكان آخر *من يشاقق* و *من يشاق* بدل أن يقول ولا يضارِر أو ولا يضارَر جاء بتعبير يجمعهما معاً يريد كلاهما. إذن لو فك يجعل هناك عطف لكنه أوجز تعبيراً ويجمع المعاني ويسمى التوسع في المعنى.

*لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ *٢٣٣* البقرة * لا يوقع عليها ضرر يحبث الأب يضرها إذا كانت مطلقة ؟ أو هي لا تضر زوجها بحيث تمنع إبنها؟ ما المقصود؟ المعنيان مرادان وكلاهما منهي. عندنا باب اسمه التوسع في المعنى في علم المعنى، عندنا دلالة قطعية وعندنا دلالة احتمالية وهذه الاحتمالية تحتمل معاني قد تراد كلها أو بعضها فإذا أريد بعضها أو كلها يسموه التوسع في المعنى.

الحكيم من الحِكمة ومن الحُكم، هذا الجمع *العزيز الحكيم* أجمل جمع: العزيز قد يكون حكيماً وقد لا يكون حكيماً، وقد يكون حاكماً وقد لا يكون حاكماً، الحاكم هو منتهى العزة منتهى العزة أن يكون حاكماً فإذن الآن صار كمال العزة بالحكم أعزّ شيء. نأتي إلى الحكمة إذا كان العزيز متهوراً تكون عزّته صفة ذم فإذن ينبغي أن يتمم بالحكمة . فإذن ربُّنا تعالى هو العزيز الحكيم والحاكم الحكيم، كمّل في العزة بالحُكم فكان أعلى شيء لأن منتهى العزة أن يكون حاكماً وأكمل الكمال عندما كان عزيزاً فهو حكيم وعندما كان حكيماً فهو حكيم إذن اجتمعت العزة والحكم والحكمة . لو كان عزيزاً غير حكيم تكون صفة ذم ولو كان حاكماً غير حكيم تكون صفة ذم. إذن الإثنين مرادان وقدّم العزيز على الحكيم لأنه عزّ فحكم، ليس عندنا في القرآن الكريم حكيم عزيز.

ما الحكمة من تقديم العزة ؟ العزة قد لا يكون صاحبها حكمياً، هو تدرج، فبدأ بما هو أقل ثم انتقل للأعلى، يكون عزيزاً ثم يكون حاكماً، كيف يكون حاكماً؟ كيف وصل إلى الحكم؟ إذا لم يكن هناك جماعة تعزه فتوصله إلى الجكم؟ لا بد أن هناك جماعة أوصلوه فلا بد أن يكون عزيزاً عند هؤلاء حتى أوصلوه، إذن عزّ فحكم.

الأمر الآخر، قال *العزيز الحكيم* بالتعريف ولم يقل هو عزيز حكيم بالتنكير لأنه أراد أن يقصر العزة في الحقيقية وحده لا عزّة لغيره على سبيل الحقيقة والحكيم هو الحاكم في الحقيقة ولا حاكم سواه على وجه الحقيقة . أإن الله تعالى هو الذي يعز ويذل ويؤتي الحكم وينزعه *قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٢٦* آل عمران* إذن هو صاحب العزة ، الحكمة *يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء *٢٦٩* البقرة *، الحكم *وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ *٤١* الرعد* هذا التعريف القصر على أنه في الحقيقة كل عزة سوى عزته هي منه سبحانه سواء أعز أو أذلّ. وقد استخدم
كلمة *عزيز* نكرة في القرآن وهذا بحسب السياق الذي تأتي فيه وهذا يحدد التنكير والتعريف.

آية *٢* :

*لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٢ *

ذكر أولاً أنه سبح له ما في السماوات والأرض ثم ذكر أن له ملك السماوات والأرض وهذا يقتضي أنه ملِك ما فيهما لأن الملك هو الحُكم *وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ
مِصْرَ *٥١* الزخرف* إذن لما قال *له الملك* إذن هو الملِك لأن المُلك لا يكون إلا على رعيّة ، إذن هو الملِك، هو ملِك ما فيهما. أفاد تقديم الجار والمجرور *له* على أنه لا مُلك لأحد سواه على الحقيقة .

في خارج القرآن يمكن أن يقال: *ملك السماوات والأرض له* لو قدمنا الخبر وكان المبتدأ معرفاً لأن أحياناً التقديم يصير واجباً إذا كان نكرة ، تقول: في الدار رجل، *لا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تُفِد* . لكن إذا كان المبتدأ معرفة فتقديم الخبر يقولون للإهتمام وأبرزها القصر. محمد قائم، قائم محمد، محمد في الدار، في الدار محمد، "محمد في الدار" هذه مبتدأ وخبر، "في الدار محمد" مبتدأ

وخبر لكن قدمنا الخبر كأن الشخص يقول له لا ليس في الدار فتقول له لا في الدار، *محمد في الدار* إذا كان المخاطب خالي الذهن وسألته أين محمد؟ يقول: محمد في الدار ولا يقول في الدار محمد، الأصل عدم التقديم، الأصل حفظ المراتب وعدم التقديم: الفعل، الفاعل، المفعول به ثم القيود، هذا هو الأصل هذا لا يُسأل القائل لم قال هكذا؟ إذا قال أحدهم: أكرم محمدٌ خالداً لا نسأله لم قلت هذا؟. ولكن إذا قال محمد أكرم خالداً نقول لماذا قدّمت محمد؟ لأنه خالف الترتيب. "في الدار محمد" يجب أن يكون هناك أمر أن المخاطب يعتقد أن محمداً ليس في الدار، تقول له أنت هو في الدار، هو يرى أنه في الدكان، في المحل. من أهم أغراضه القصر وله أغراض أخرى كالاهتمام. في قوله تعالى *له ملك السماوات والأرض* هذا حصراً، لو قلنا *ملك السماوات والأرض له* هذا إخبار لكن لا ينفي أن يكون كما تقول فلان يملك وفلان لا يملك، لا يمنع أن يكون لأحد آخر ملك، هناك مالكين آخرين في هذا الملك، ليس هو الملك الوحيد وقد يكون هناك مالكون آخرون تحت هذا الملك، لكن له الملك حصراً لا ملك إلا هو حصراً ليس لغيره ولو قيل *ملك السماوات والأرض له* يكون إخباراً وليس من باب الحصر.

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ما دلالة ورود هذه الآية بعد الآية الأولى؟ وهل هناك علاقة رابطة بينهما؟

ينزه الله تعالى ، الشخص قد يُحمد في ذاته لم يكن مالكاً أو ملكاً فإن حكم فقد يتغير. شخص تعرفه في ذاته جيد ليس ملكاً فإذا صار ملكاً فقد يتغير أو ليس مالكاً فإن ملك على آخرين قد يتغير. إذن ربنا تعالى ذكر أنه منزّه في جميع أحواله: منزه في ذاته *سبح لله* قبل أن يكون هناك ملك وقبل أن يكون هناك أحد، ومنزّه في صفاته، منزه في عزته، منزه في حكمته، منزه في حكمه، منزّه في ملكه، منزّه في إحيائه وإماتته، لا يحيي ويميت عن عبث وإنما لحكمة ، فهو منزه في كل ذلك، لا يفعل ذلك إلا عن حكمة . هذا يدل على خضوع أهل السماوات والأرض له خضوع قهر وخضوع عبادة . قهر يعني غالب، قوة . *الذي له ملك السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم* هذا متمكن ورب العالمين وصف تعالى نفسه بالقهار *الواحد القهار* والقهر هو التمكن، هذا خضوع قهر. كثير من الرؤوساء في الدول يُخضِعون رعيتهم خضوع قهر. ربنا له خضوع، خضوع قهر باعتبار أنه هو المتمكن العزيز الحبار والمحيي والمميت هذا خضوع قهر لأنه متمكن. وخضوع عبادة *سبح لله* إذن هو يستحق التنزيه في كل هذه لأنه عندما تعز واحداً تخضع له خضوع عبادة ؟ الرؤوساء هل تخضع لهم رعيتهم خضوع قهر أو خضوع عبادة ؟ خضوع قهر. رب العالمين سبحانه وتعالى عباده يخضعون له في ملكه خضوعان: قهر وعبادة . العبادة *سبح لله* وقهر *العزيز الحكيم* ، *يحيي ويميت* هذا قهر، سبحان من قهر عباده بالموت. إذن هذه الآية جمعت تنزيه خضوع العبادة *سبح لله* وخضوع القهر بما ذكر من الصفات فهو منزّه في ذاته وصفاته سبحانه.

* ورد في بعض آي القرآن الكريم *السماوات والأرض وما بينهما* أما في هذه السورة فلم يرد *ما بينهما* فهل لهذا دلالة ؟

كل موطن في القرآن الكريم يذكر *وما بينهما* يأتي تعقيب على من يذكر صفات الله تعالى بغير ما يستحق، تعقيب على قول النصارى *لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ* وعلى قول اليهود *وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ *١٨* المائدة *. بعد أن قال تعالى *لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ

فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا *١٧* المائدة * يقول بعدها *وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١٧* المائدة * لِمَ يتخذ الولد وهو الغني؟ له ملك السماوات والأرض وما بينهما لا يحتاج الولد. اليهود يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه تأتي بعدها *وما بينهما* لماذا رقّيتم أنفسكم؟ هو تعالى لا يحتاج هذا حتى يتخذكم أبناء، لِمَ يتخذكم أبناء وهو الغني؟

لاحظنا أنه في كل موطن يقول *وما بينهما* تأتي تعقيب في الله على ما لا يليق.

موطن آخر بياني *له ملك السماوات والأرض وما بينهما* فيها ذكر ثلاثة أشياء: السماوات، الأرض، ما بينهما، أبداً في كل موطن في القرآن الكريم يذكر فيها *وما بينهما* يذكر ثلاث ملل: اليهود والنصارى والمسلمين. في كل موطن يذكر *وما بينهما* يذكر في السياق ثلاث ملل اليهود والنصارى والمسلمين: في المائدة ذكر الكلام على بني إسرائيل *وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ *١٢* ، نصارى *وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ *١٤* المائدة * ، أهل الكتاب *يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١٩* المائدة * ، ثلاث ملل. في الزخرف ذكر موسى وفرعون *وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ *٤٦ * وذكر عيسى *وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ *٥٧ * ثم قال *قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ *٨١ * في كل القرآن إذا قال *وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *٨٥ * يذكر ثلاث ملل. وإذا لم يذكرها لا يذكر.

في آية سورة الحديد لم يقل *وما بينهما* لأن ما بينهما تعقيب على ذكر ما لا يليق بجلال الله والآية فيها تنزيه لله تعالى . والأمر الآخر ذكر ثلاث ملل وليس في الآية ذكر لها.

يحيي ويميت هو المنزّه في كل ما يفعل، في إحيائه وفي إماتته، في كل شيء وهذا يدل على التوحيد *وهو العزيز الحكيم* لا حكيم سواه ولا عزيز سواه هو الحاكم في كل شيء.

سبح بالفعل الماضي، *العزيز الحكيم* ، *يحيي ويميت* بالفعل المضارع؟ وفي القرآن قال أحيا وأمات، وقدم الموت على الحياة ؟

هذه لأن الموت والحياة مستمر. في مواطن أخرى قال *أمات وأحيا* قدم الموت. الأصل للأحياء والأموات أنه كان حيّاً فأماته الموت يسبق الحياة . وقد تذكر في صفات الله تعالى *وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا *٤٤* النجم* وقد يتكلم عن أموات سابقة أماتهم ثم أحياهم فيذكر الموت أولاً *وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى *٥٠* النجم* .

الفعل المضارع له أكثر من دلالة : هو يدل على الحال والاستقبال ويدل على الإستمرار أحياناً ويدل على الحقيقة غير مقترنة بزمن، تقول مثلاً: يذوب السكر في الماء، هذه تسمى الحقيقة من حيث هي لا تقول متى ؟ لو أردنا أن نتكلم عن الفعل المضارع نفرد له حلقة كاملة .

* في قوله تعالى *وهو على كل شيء قدير* فيها تقديم وتأخير:

هو قدير على كل شيء أراد أن كل شيء حصراً، العموم. وهنا قال *قدير* ولم يقل قادر مع أنه استخدم قادر في مواطن أخرى في القرآن لأن قدير من صيغ المبالغة على وزن فعيل، إذا عمم القدرة *وهو على كل شيء قدير* أو أطلقها *وهو العليم القدير* قادر على كل شيء هذه يستعمل صيغ المبالغة *على كل شيء* فيها كثرة . إذا عمّم أو أطلق يستعمل المبالغة ، إذا عممها أي إذا

قال *على كل شيء* يستخدم *قدير* وإذا قيّدها بشيء يقول *قادر*وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ *٣٧* الأنعام* قُيِّدت بإنزال آية ، *قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ *٦٥* الأنعام* قيدت بالعذاب، إذا قيّدها يقول قادر لأن قادر اسم فاعل وليس مبالغة ، *أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ *٨١* يس* قادر اسم فاعل من فعل قدر، قدير صيغة مبالغة . قدر هي مشترك لفظي *فقدر عليه رزقه* مشترك لفظي أي لها أكثر من معنى , يقولون مشترَك لفظي وأنا أرجح مشترِك لأنه اسم فاعل لأن الفعل غير متعدي فلما تقول مشترَك يحتاج مشترك لكذا تقديراً والمشترِك هو الأصل. فحيث أطلق القدرة أو عممها أطلق الصفة *وهو على شيء قدير* ومتى قيّدها قال *قادر* ليس فيها مبالغة وليس فيها كثرة ، قدير فيها كثرة . فإذن حيث أطلقها يأتي بصيغ المبالغة وحيث عمّمها بكل شيء يأتي بصيغة مبالغة وحيث قيّدها يأتي باسم الفاعل، هذا الفارق الدلالي بين اسم الفاعل وبين صيغ المبالغة التي تدل على التكثير.

آية *٣* :

*هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *٣ *

* نظرة عامة على الآية :

قال تعالى *هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* الأول الذي ليس لوجوده بداية وهو قبل كل شيء، الآخر الذي ليس لوجوده نهاية ، ليس لوجوده بداية وليس لوجوده نهاية ، ليس بعده شيء لأنه آخر *هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ *٨٨* القصص* هذا من حيث الدلالة .
الظاهر لها دلالتان في اللغة وهما مقصودان في الآية : الأول: الظاهر هو الذي ظهر للعقول بالدلائل، تجلّى للعقول بالدلائل التي أقامها على وجوده فهو ظاهر *أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ *١٠* إبراهيم* إذن هو ظاهر ظهر بآياته ومعجزاته الدالة في الكون. إذن الظاهر الذي ظهر للعقول وتجلّى كما قال أحدهم: لو كُشِف الحجاب ما ازددت يقيناً. والظاهر يأتي بمعنى الغالب في اللغة أي العالي على كل شيء من الظهور أي الغَلَبة *فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ *١٤* الصف* ظاهرين أي غالبين. إذن الظاهر لها دلالتان: الذي ظهر للعقول وتجلى للعقول بآياته والظاهر هو الغالب القهّار. الباطن أيضاً لها دلالتان، الأولى: غير المدرك بالحواس المحتجب عن الأبصار كما قال تعالى *لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ *١٠٣* الأنعام*، والباطن أيضاً الذي يعلم كل شيء وويعلم بواطن الأمور وخفاياها، ما ظهر وما بطن من الأمور. إذن الظاهر لها دلالتان والباطن لها دلالتان هذا من حيث اللغة . الكلمة أحياناً يكون لها أكثر من دلالة تُراد ويحتملها السياق. هو إذن الذي تجلى وهو الغالب القهار وهو المحتجب عن الأبصار الذي لا تدركه الأبصار وهو الذي يعلم خفايا الأمور وبواطنها.

* تعريف الصفات:

ما قال تعالى : هو أول آخر ظاهر باطن وإنما قال *هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ* بالتعريف لأن التعريف هو للقصر أي أنه لا يشاركه في هذه الصفات أحد يعني ليس معه أول ولو قال هو أول يحتمل أن يشاركه أحد أما الأول فهي حصر، تحديداً والآخر تحديداً والظاهر إذن لا يشاركه في هذه الصفات أحد ولا شيء. الأمر الآخر أنه لم يقيّد هذه الصفات بشيء لا بإضافة ولا وصف فلم يقل مثلاً هو أول الحكماء، أول الأغنياء، الأول في كذا وبعد ذلك تتقيد الأولية بما أضاف أو بما يليها. هذه مطلقة لم يقيدها بشيء إذن هو الأول على الإطلاق ليس بموجب شيء معين ولا مقيد بأمر

معين، هو الأول. الأول بالنسبة لمن؟ ومتى ؟ لكل شيء فهو سبحانه قبل الزمن وكلمة الأول تخرج من نطاق الزمن ولو أراد أن يقيدها لقيدها فأنت يمكن أن تقول: هو الأول في الفصل مثلاً، هو الأول في السباق. لو قلت هذا الطالب هو الأول هذه يحددها أنت ما يريد فقد تكون القرينة مقولة وقد تكون مفهومة من السياق والمقام هو الذي يحدد وليس من الضروري أن تنطق كل القرائن. هنا في هذه الآية ليس من قرينة تحدد فهو الأول والآخر والظاهر والباطن على الإطلاق وعلى القصر والتعريف هنا يفيد القصر وعدم التقييد يفيد الإطلاق.

* فائدة العطف في *هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ* :

ما قال تعالى هو الأول الآخر كما قال في موضع آخر *هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ *٢٣* الحشر* لأن العطف يأتي في الصفات فيما تباعَد من الصفات لأنه يصير أمراً مستغرباً، أما في الصفات القريبة فلا يؤتى بالعطف. أحياناً تأتي الواو للإهتمام وللتباعد ما بين الصفات. إذا كانت الصفات متباعدة يؤتى بالواو يعني ليست متقاربة من حيث أحداثها، مثلاً أنت تقول تتكلم مع شخص عن فلان وهو يعرفه لكن لا يعلم مثلاً أنه شاعر فتقول له: هو شاعر، فيقول : هو شاعر؟ فتقول وطبيب، الشعر والطب متباعد فيقول وطبيب؟ يستغرب من إجتماع هذه الصفات المتباعدة التي لا يعلمها هو في شخص، لذا تأتي الواو فإذا تباعدت الصفات فيحسن الإتيان بالواو. *هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ* الأول والآخر والظاهر والباطن صفات متباعدة ليست مثل العزيز الحكيم المتقاربة العزة والحكم متقاربة لكن الأول والآخر منتهى التباعد والظاهر والباطن منتهى التباعد.

هذه الآية دلّت على إبطال الشرك: هو الأول إذن ليس معه شريك إذن دلت على إبطال الشرك لأنه الأول إذن ليس معه شريك وأنه الغني المطلق، هو الأول إذن كل ما نراه من الأمور هو الذي أوجدها لأنه هو الأول لأنه هو الغني المطلق لا يحتاج إلى شيء لأنه قبل كل شيء الخالق القادر. ثم دل قوله *وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* على العلم المطلق فهو الإله الحق في العلم والغنى والقدرة والوجود وعدم الشرك. *وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* أي محيط علمه بكل شيء في الكون.

* ما دلالة استخدام صيغة عليم ولم يقل عالم أو علام؟

عليم صيغة مبالغة على وزن فعيل، علاّم أيضاً صيغة مبالغة على وزن فعّال، عالم اسم فاعل. مبالغة تعني كثرة في الأشياء، هو القرآن له تخصيصات في الاستعمال أحياناً يخصص بعض المفردات بمعنىً معين واستعمال معين ودلالة معينة بما يدل على القصد في الاستعمال. سابقاً فيما قبل، العرب لغوياً يقولون الريح والرياح ويستعملون الريح للشر والرياح للخير، والقاعدين في القرآن القاعدين عن الجهاد مع أن القعود هو ضد القيام لكن القرآن خصصها هكذا. ليس كلام العرب التخصيص ولكن القرآن يخصص في الاستعمال. إنما هو يخصصها بمعنى من المعاني وهذا يدل على التحديد والإرادة في التخصيص. لما يخصص كلمة بمعنى معين مثلاً الصلاة خصصها بمعنى واحد وهو العبادة ، الصوم والصيام، الصيام خصصها للعبادة في القرآن والصوم خصصها الصمت ولا تجد في القرآن كلمة صوم للعبادة وإنما كلمة صيام *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ *١٨٣* البقرة * بينما الصوم خصصها للصمت *إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا *٢٦* مريم* الصوم عن الكلام. القرآن أحياناً يخصص المفردة بمعنى من معانيها. اللمسة البيانية في هذا التخصيص يدل على القصد في التعبير أنه ليس كلاماً ملقى هكذا لكنه مقصود.

كلمة عالِم في القرآن لم ترد إلا في عالم الغيب مفرداً أو الغيب والشهادة ، إما الغيب وإما الغيب والشهادة في القرآن كله لم ترد كلمة عالِم في ١٤ موضعاً لم ترد بمعنى آخر. مقترنة بالغيب *عَالِمُ

الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *٢٦* الجن* أو بالغيب والشهادة *عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ *٧٣* الأنعام* أو لم تقترن *عالِم* اسم فاعل لا يدل على الكثير عادة فاستعملها بالمفرد الذي لا يدل على التكثير. *عليم* خصصها للغيوب *وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ *٧٨* التوبة * لا تجد كلمة علام في القرآن في غير علام الغيوب ولم ترد إلا مع الغيوب جمع الغيب مجموعة ، العلاّم كثرة والغيوب كثرة مثل سمّاع وسميع في القرآن: سمّاع استعملها في الذمّ *سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ *٤١* المائدة *وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ *٤٧* التوبة * وسميع استعملها تعالى لنفسه *وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* واستعملها في الثناء على الإنسان *إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا *٢* الإنسان* وسماع لم يستعملها إلا في الذم. إذن القرآن يخصص في الاستعمال. عليم مطلقة ويستعملها في كل المعلومات على سبيل الإطلاق *بكل شيء عليم* يستعملها إما للإطلاق على الكثير أو يطلقها بدون تقييد *واسع عليم* أو يستعملها مع الجمع أو فعل الجمع. مثلاً لما يقول *وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *٧٩* يونس* هذه مطلقة *كل* تدل على العموم، *بكل شيء عليم* هذا إطلاق، أو على العموم. قلنا إذن يستعملها مطلقة *إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ*وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ*إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* ، أو عامة *بكل شيء عليم* أو مع الجمع أو مع فعل الجمع.

مع الجمع *وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ* جمع، *فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ* جمع، *وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ* جمع، *إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* جمع. إما أن تستعمل عامة مع لكل الخلق، كل شيء أو مطلقة *واسع عليم*سميع عليم* ليست مقيدة بشيء أو بالجمع *المتقين، المفسدين، الظالمين، بذات الصدور* أو بفعل الجمع *وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ *٢١٥* البقرة * لم يقل وما تفعل من خير، *وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *١٩* يوسف*وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ *٢٨* النور* للجمع أو فعل الجمع. إذن كلمة عليم لم تحدد بشيء معين إما للعموم أو كونها مطلقة من كل شيء أو مع الجمع أو مع فعل الجمع لم يأت مع متعلق مفرد مطلقاً في القرآن لا تجد عليم بفلان أو بفعل فلان. علاّم محددة ، عالِم محددة ، عليم هذه استعمالاتها. إذا أراد أحدهم أن يدرس هذه الاستعمالات تدرس في باب تخصيص الألفاظ القرآنية ، هذه ظاهرة في القرآن وقد نأخذ عليها عدة حلقات لاحقاً.

* ارتباط الآية بما بعدها:

هذه الآية مرتبطة بما بعدها: الأول مرتبط بقوله *هو الذي خلق السماوات والأرض* الذي خلق السماوات والأرض هو الأول، الآخر مرتبط بقوله *وإلى الله ترجع الأمور* ، الظاهر قلنا لها معنيان إذا كان بمعنى الغالب يقول بعدها *له ملك السماوات والأرض* فالذي له الملك غالب، وإذا كان بمعنى المتجلي للعباد *الذي خلق السماوات والأرض* لأن السماوات والأرض آيات دالة على وجوده، الباطن إذا كانت بمعنى المحتجب يرتبط بقوله *وهو معكم أينما كنتم* وإذا كان بمعنى الذي يعلم بواطن الأمور وخفاياها فيرتبط بقوله *وهو عليم بذات الصدور*وهو بكل شيء عليم* . إذن الآية مرتبطة ارتباطاً بما قبلها وهذه سمة في القرآن الكريم كل كلماته مرتبطة وسبق أن قلنا أن الرازي يقول أن سور القرآن كلها كالآية الواحدة بل كالكلمة الواحدة في ترابطها.

آية *٤* :

*هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٤*

* نظرة عامة على الآية :

قوله تعالى *الذي خلق السماوات والأرض* يدل على أنه المالِك لهما هو خلقهما إذن هو المالِك إضافة إلى أنه الأول هو الخالق إذن هو المالك. دل قوله في قوله *له ملك السماوات والأرض* قبلها وبعدها على أنه هو المالك إذن هو المالك وقبلها وبعدها هو الملِك لأن المُلك من الحكم هو ملك مالك إذن هو مالك الملك كما قال تعالى في آية أخرى *قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ *٢٦* آل عمران* . المُلك من الحُكم *أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ *٥١* الزخرف* صاحبه ملِك، المِلك بكسر الميم من التملّك البيع والشراء صاحبه مالك. المُلك بضم الميم صاحبه ملِك والمِلك بكسر الميم صاحبه مالِك. *له ملك السماوات والأرض* إذن هو الملِك. كل من الملِك والمالك له تصرف يختلف عن الآخر. لما قال له مُلك يعني هو ملِك، فرعون ملِك مصر لكنه ليس مالكاً لها، هو يحكم ولا يملك أما الله سبحانه وتعالى ذكر أكرين: له ملك إذن هو ملِك وقال خلق السماوات والأرض إذن هو مالك إذن هو مالك الملك السماوات والأرض هو خلقخما فهي ملكه وهو الملِك المالِك كما قال في آية أخرى *مالك الملك* . المُلك هو مِلكه كما يملك المالك أي شيء ولذلك في سورة الفاتحة نزلت الآية مرتين *مالِك يوم الدين* ونزلت *ملِك يوم الدين* قراءتين متواترتين وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بهما حتى يجمع معنى مالك الملك ينبغي أن تنزل مرتين: مالِك تدل على معنى وملِك تدل على معنى وهو مالك وملك فأنزلها ربنا تعالى مرتين مرة مالك ومرة ملك. إذن الذي خلق السماوات والأرض هو يملكهما وقال قبلها وبعدها *له ما في السماوات والأرض* إذن هو الملِك إذن هو مالك المُلك. لما كان كل من الملِك والمالِك كلاهما ينبغي أن لا يندّ عنه في ملكه شيء. المالك ينبغي أن يعلم كل شيء عما يملكه.

المالك ينبغي أن يعلم ماذا يملك والملك ينبغي أن يعلم ماذا يملك، إذن كلاهما المالك والملك ينبغي أن يعلما عن ملكه أو عن ما يملك إذا كان مالكاً ولما كان ربنا سبحانه وتعالى مالك الملك إذن ينبغي أن يعلم كل شيء في مِلكه فقال *هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* لأنه لا يصح لملك أو مالك أن لا يعلم شيئاً فيما يملك ولذلك لا يندّ عنه في ملكوته شيء لا المسكن ولا الساكن في الأرض ولا في السماء كلها. وليس ذلك فقط، ليس يعلم فقط وإنما أول مرة ذكر العلم المطلق *يعلم ما يلج* ليس ذلك فقط وإنما هو يُبصر ما فيهما *بما تعملون بصير* ليس العلم فقط لأن العلم قد يأتي عن طريق الإخبار. الفرق بين العليم والبصير أن العليم قد يأتي عن طريق الخبر وليس بالضرورة أن يرى فالملِك قد تأتيه الأخبار دون أن يبصر. هذه مرحلة أخرى ليس فقط يعلم وإنما هو يُبصر أيضاً *والله بما تعملون بصير* وأيضاً له مرتبة فوق الإبصار وهي المعيّة والمصاحبة *وهو معكم* لأن البصير قد يبصر عن بعيد، معكم تفيد أنه معنا *وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ *١٦* ق*والله معكم أينما كنتم* فهذه مرحلة فوق الإبصار، وله مرتبة فوق ذلك في الآية وليس فقط المعية والمصاحبة وإنما هو يعلم ماذا نفعل والسبب ظاهراً وباطناً ويعلم عمل كل عامل لِمَ عمله؟ لأنه أحياناً أنت ترى الإنسان يعمل عملاً وأنت لا تعلم لِمَ فعل ذلك؟ الله تعالى ليس فقط يعلم العمل ولا يبصره ولا معه وإنما يعلم لِمَ فعله. *

بما تعملون بصير* بصير لها معنيان: البصر الرؤية هو سبحانه يرى لأنه قال *قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى *٤٦* طه* ولكن ليس كرؤيتنا لأنه كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك. تأتي البصر بمعنى الرؤية وتأتي بمعنى عِلم دواخل النفوس بصير بما يعمل العاملون. بصير ليست بمعنى واحد *قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ *٩٦* طه* هذا بصر وبصير بالشيء أي بدواخل الأمور.

هذه الآية ذكرت كل مراتب العلم:

عليم *يعلم ما يلج * إذن هو يعلم الداخل والخارج والصاعد والنازل، هذا العلم.

مصاحب لنا أينما كنا *وهو معكم أينما كنتم* .

مبصر لأعمالنا *والله بما تعملون بصير* .

ويعلم لِمَ فعلنا ذلك .

إذن إستوفى كل مراتب العلم وهذا يتناسب مع الآية السابقة *وهو بكل شيء عليم* وارتبطت بها ارتباطاً. في الآية السابقة قال تعالى *وهو بكل شيء عليم* وهذه الآية *والله بما تعملون بصير* لم يقل وهو بما تعملون بصير مع أنه استعمل *هو* في الآية لأنه تكرر الضمير *هو* فأراد أن يغير.

عرفنا ترتيب الآية وهيكلها لكن ننظر الآن كيف استعملها؟ لو لاحظنا قال *يعلم ما يلج في الأرض* لم يقل يعلم ما يولِج في الأرض *يلج بمعنى يدخل* أي يعلم ما يولجه هو، الله تعالى من قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل إنما قال *يلج* أي يدخل، من حيث العلم عادةً الشخص الفرد يعلم ما يفعله هو ولو قال يولج لكان طبيعياً أنه يعلم ما يفعله هو وما يولجه هو، هذه قدرة *يولج* وتلك علم *يلج* لكن لما قال *يلج* فهذا يدل على العلم، هو ما قال يعلم ما يولِج لأنه قطعاً هو يولِج فهو يعلم لكنه قال *يلج* هذا يدل على العلم. وقال *وما يخرج* وما قال وما يُخرِج وقال وما ينزل ما قال وما يُنزِل وقال وما يعرج ولم يقل وما يُعرِج وهذا يدل على العلم فقال ما يدل على العلم هذا أمر. والأمر الآخر قدّم تعالى ما يتعلق بالأرض على ما يتعلق بالسماء *يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا* لأن الكلام على أهل الأرض *وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ* إذن لما كان الكلام على أهل الأرض يتكلم عن مسكنهم لما قال *وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* يتكلم عن الأرض فيبدأ بأهل الأرض. مع أنه قال *خلق السماوات والأرض* قدّم السماوات هنا لأن خلق السماوات أسبق. لكن هنا يتكلم عن العلم فقدّم الأرض.

الأمر الآخر من الناحية الفنية ناسب بين صورتين فيما يتعلق بالأرض والسماء، صورة فنية : بالنسبة للأرض قال *يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا* وفي السماء قال *وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا* وفي الأرض قال *ما يلج* وفي السماء *وما ينزل* وكلاهما نزول إلى أسفل *ما يلج في الأرض* إنزال ودخول. هذه ما يلج في الأرض ينزل فيها وكثير مما ينزل من السماء هو يلج في الأرض من مطر وغيره. ثم قال *وما يخرج منها* و *وما يعرج فيها* وكلاهما إرتفاع وعلو. إذن من الناحية الفنية ناسب وليس فقط إختيار مفردات لكن يناسب بين الصور: ما يلج وما ينزل، وما يخرج وما يعرج وكما قلنا أن كثيراً مما ينزل قد يلج في الأرض وكثيراً مما يخرج يعرج إلى السماء: *وما يخرج منها* فيها احتمالين ما يخرج منها من الحشرات والنبات أو ما يخرج من محيطها. هذه الفكرة العامة عن الآية .

* ما دلالة استخدام بعض الأفعال المحددة : السماوات جمع والأرض مفرد؟

القرآن لم يذكر الأرض بالجمع مطلقاً، السماوات سبع ولم يجمع كلمة الأرض في القرآن أبداً وإنما قال *اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ *١٢* الطلاق* أما في الحديث فجمع الأرض على أرضين "طوّق من سبع أراضين" . *من السماء* لم يقل السماوات لأن السماوات ذكرها مع الخلق.

* قال تعالى في سورة الحديد *يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٤ * وقال في سورة سبأ *يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ *٢ * اختلف ختام الآيتين وفي آية سورة سبأ لم يذكر *وهو معكم أينما كنتم* فما هي اللمسة البيانية في الآيتين؟

? في الدراسات القرآنية السياق يوضح كثيراً من الإجابات عن الأسئلة . عندما نرى آيتين تختلفان في كلمة أو في ذِكر أو عدم ذِكر فالرجوع إلى السياق يوضح هذا الأمر كثيراً. لو لاحظنا هذه الآية في سورة الحديد *يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ* قال تعالى قبلها *وهو بكل شيء عليم* هذا يدل على علمه وإحاطته بكل شيء، *وهو معكم أينما كنتم* هذا مناسب للعلم ويترابط معه. وبعدها قال تعالى *وهو عليم بذات الصدور* فهذه الآية متناسبة مع السياق التي وردت فيه وهو العِلم قبلها وبعدها *وهو معكم أينما كنتم*والله بما تعلمون بصير* متناسب مع ما قبله *وهو بكل شيء عليم* ومتناسب مع ما بعده *وهو عليم بذات الصدور* . هذا الموقع غير موجود في سورة سبأ، هذا أمر.

الأمر الآخر قال تعالى *وهو معكم أينما كنتم* في سورة الحديد وهذا يدل على المراقبة ولذا جاء بعدها بما يدل على معرفته بعَمَلنا قال *والله بما تعملون بصير* . وفي سورة سبأ قال في ختام الآية *وهو الرحيم الغفور* وفي الحديد قال *والله بما تعملون بصير* هذا متناسب مع المراقبة *وهو معكم أينما كنتم* . إذن في سبأ ختمها *وهو الرحيم الغفور* فأراد تعالى أن يرحم الناس بالرحمة والمغفرة فرفع ذِكر المراقبة ، أليس من رحمته أن يرفع ذكر المراقبة ؟ عدم ذكر المراقبة أنسب مع الرحمة والمغفرة ، أن تراقب الإنسان في كل شيء هذا ليس من الرحمة إذن ختام الآية *وهو الرحيم الغفور* أراد الله تعالى أن يرحم الناس فرفع ذِكر المراقبة في آية سبأ بخلاف آية سورة الحديد التي فيها العِلم *وهو معكم أينما كنتم* ، هذا أمر.

? الأمر الآخر في آية سبأ ذكر الآخرة قبل الآية وبعدها، بدأت الآية في سورة سبأ *الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ *١ * الآخرة ليست وقت عمل ولا مراقبة وإنما وقت جزاء. الآية التي بعدها في الساعة *وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ *٣ * قبلها وبعدها الكلام في الساعة والساعة ليست لا وقت مراقبة ولا وقت عمل. آية الحديد *هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٤ * إذن آية الحديد في بداية خلق السماوات والأرض وهو زمان بداية الأعمال واستمرارها، وفي سورة سبأ زمان طيّ صفحة الأعمال، الآخرة هي طيّ صفحة الأعمال، فما قال *وهو معكم أينما كنتم* في آية سبأ لأنه ليس وقتها وانطوت صفحة الأعمال في الآخرة وانتهت فلذلك لم يذكرها بينما في سورة الحديد فهو زمان بداية الأعمال وزمان المراقبة *هو الذي خلق السماوات والأرض* فإذن السياق مختلف: في سبأ في الآخرة وهو في طيّ صفحة الأعمال وفي الحديد في بداية صفحة الأعمال ولذلك وضع المراقبة مع السياق الذي يقتضي وضعها فيه ورفعها من السياق الذي لا يقتضي سواء كان في الآخرة أو في وقوعها ما يتعلق بالآخرة .

? الأمر الآخر جو السورة أحياناً يظهر إختيار العبارات أو ذِكر أو عدم الذِكر: في سورة الحديد تردد فيها ذكر العلم والمراقبة *وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *٣ *وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ *٤ *وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *٦ *وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠ *مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ *٢٢ *وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ *٢٥ * كلها عِلم، جو السورة يتردد فيه العلم.

في سورة سبأ الذي شاع في جو السورة ذِكر الآخرة *وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ *١ *وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ *٣ *أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *٤ *أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ *٥ *وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ *٧ *بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ *٨ *إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ *٢١ *وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ *٢٣ *قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ *٢٦ *وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *٢٩ *قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ *٣٠ *وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ *٣١ *فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ *٣٧ *وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ *٣٨ *وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ *٤٠ *وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ *٥١ * إلى آخر السورة سورة سبأ شاع فيها ذِكر الآخرة ، وفتحت بذكر الآخرة وختمت بذكر الآخرة وهذا

لا يتناسب مع جو المراقبة . ذاك جو العِلم يتناسب مع *وهو معكم أينما كنتم* . إذن في كل الأمور: ما قبل الآية وما بعدها، ختام كل آية من الآيات يتناسب، السياق، بداية الأعمال وطيّ صفحة الأعمال، كل هذا يتناسب مع وضع كل تعبير في مكانه. ثم ختمها بقوله *والله بما تعملون بصير* قدّم العمل على البصر لأنه ورد بعدها *وهو معكم أينما كنتم* قدّم عملهم لأن الكلام عليهم أنفسهم *وهو معكم أينما كنتم* ما قال بصير بما تعملون.

* ما الحكمة من التكرار في القرآن؟

بحسب السياق الذي ترد فيه والغرض، هو كتاب هداية ، هذا تصريف للآيات *كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ *٥٨* الأعراف* يأتي بها بصور شتى حتى تتردد في النفس وحتى تثبت في الذهن وحتى تثبت في القلب يردد معاني هنا وهناك إضافة إلى الإعجاز في التعبير، إختيار العبارات كل واحدة مناسبة في مكانها. خذ الرسل لما أتوا إلى أقوامهم أمروهم بأمر واحد *فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ* فهذا المعنى وهو يتعلق بدواعي الإيمان يثبتها بصور شتى ، بأمور شتى وتصاريف شتى لأن القصد هو تثبيت العقيدة في النفس. تصريف الآيات هو ترتيبها وتغييرها من حالة إلى حالة حتى يثبتها في النفس فيأتي بمثال ويركز في كل مسألة على ما يريد أن يتحدث عنه. وقد يكون التكرار هو من أعذب الكلام في البلاغة حتى في الشعر وفي غير الشعر لما يقول الشاعر:

يا موقِد النار بالهندي والغار هيا اشتري حَزَناً يا موقِد النار

فيا قفر معنٍ ويا قفر معنٍ أحياناً التكرار يكون من أعذب الكلام في موطنه وله فوائد كثيرة .

ختمت الآية في سورة الحديد بـ *بما تعملون بصير* في آية الحديد يتناسب مع ذكر المراقبة *وهو معكم أينما كنتم* وفي آية سبأ السياق في الآخرة ذكر الرحمة *وهو الرحيم الغفور* فرفع ذِكر المراقبة لأنه أنسب مع الرحمة .

* يقول تعالى *بما تعملون بصير* وفي آية أخرى يقول *بصير بما تعملون* فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية ؟

التقديم والتأخير يأتي لسبب والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور. إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام على الله سبحانه وتعالى وصفاته يقدّم صفته. من باب تقديم العمل على البصر: *وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *١١٠* البقرة * بهذا العمل بصير، إذا كان السياق عن العمل يقدم العمل على البصر وإذا كان الكلام ليس في السياق عن العمل أو الكلام على الله تعالى وصفاته يقدم صفته. *

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢٦٥* البقرة * هذا إنفاق، *وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢٣٣* البقرة *وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إَلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٢٣٧* البقرة *وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١١١* هود*فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *١١٢* هود* الكلام على العمل فقدم العمل *أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *١١* سبأ* قدم العمل، *اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٤٠* فصلت* هذا في القرآن كله إذا كان الكلام ليس على العمل أو على الله تعالى *وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *٩٦* البقرة * ليس فيها عمل، *وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ *٧١* المائدة * لا يوجد عمل، *إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* الحجرات* يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى .

هذا في العلم والخبرة والعمل وليس فقط في العلم والبصر وهذا خط عام في القرآن. *إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *٢٧١* البقرة * هذا عمل فقدم العمل على الخبرة ، *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠* الحديد* الإنفاق عمل فقدم العمل، *وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *٢٣٤* البقرة * هذا عمل فقدم العمل. بصير وخبير تستعمل بحسب السياق. *وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ *٨٨* النمل* ليس في الآية عمل فقدم الخبرة لأن الكلام ليس على عمل الإنسان ولكن على صنع الله الذي أتقن كل شيء.

آية *٥* :

*لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ *٥ *

* نظرة عامة على الآية :

في الآية التي قبلها ذكر خلق السماوات والأرض *هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ* الصانع قد لا يكون ملكاً، خلق السماوات والأرض هو خلقها، هو صنعها. الخلق قد يكون ابتداء أي سوّاها وقد يكون صنعها *صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ *٨٨* النمل* الصناعة لا تقتضي أن يكون ملِكاً، صانع الشيء ليس بالضرورة أن يكون ملكاً حاكماً. الآية الأولى قال *هو الذي خلق السماوات والأرض* فعلها وسوّاها، الصانع قد لا يكون ملكاً. هذه الآية قال *لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ* يعني هو الملك وليس فقط الصانع، هو الصانع وهو الملك وقلنا أن المُلك هو من الحُكم والملِك من التملك. هذه الآية قال *له ملك السماوات والأرض* تدل على المُلك وقبلها يدل على الملكية *هو الذي خلق السماوات والأرض* . كلمة خلق يصح نسبتها للإنسان *فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ *١٤* المؤمنون* هذا ممكن لأن عيسى - عليه السلام - قال *أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ *٤٩* آل عمران* . هل بالضرورة أن يكون الخالق ملكاً؟ ليس بالضرورة أن يكون ملكاً فأناس كثيرون يصنعون أشياء لكنهم ليسوا ملوكاً. قبلها قال *خلق السماوات* هو صنعها *صنع الله الذي أتقن كل شيء* هذه واحدة . والآية بعدها هو ليس صانعاً فقط وإنما هو ملك أيضاً *له ملك السماوات والأرض* هو الذي خلق تحديداً وله الملك تحديداً فإذن هو الملك وهو الصانع الذي صنع وهو الملك فلا ملِك سواه لأنه قدّم *له ملك* ليس هناك ملك سواه وإن ملكه ممتد بعد انقضاء الدنيا *له ملك السماوات والأرض* .

وإلى الله ترجع الأمور*: المفسرون يذكرون فيها أمرين: الأمور كلها ترجع إليه وهو الذي يقطع في الأمور ويبتّ فيها والمعنى الآخر إثبات المعاد أي الآخرة *فإذن هو الذي يقطع ويبتّ فيها وليس هنالك ذاتٌ إلا الله حصراً وليس هناك جهة أخرى تقطع في الأمور وتبتّ فيها كل أمور السماوات والأرض ترجع إلى الله حصراً هو يقطع فيها. وإثبات المعاد الآخرة . وتقديم الجار والمجرور تفيد الحصر *وإلى الله* لله فقط سواء المقصود المعاد *ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ *١١* السجدة *إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ *٣٠* القيامة * إلى الله حصراً لا إلى جهة أخرى. لو قال: ترجع الأمور إلى الله ليس فيها حصر وقد يحتمل أن ترجع إلى شيء آخر. *له ملك السماوات والأرض* ملك السماوات والأرض له حصراً. التقديم والتأخير إذا كان التقديم على العامل *نقدم الفاعل على الفعل مثلاً صار مبتدأ، نقدم المفعول به على الفعل: أكرمت محمداً، محمداً أكرمت* ، نعبدك - إياك نعبد، نستعينك - إياك نستعين، أي حصراً. إياك نعبد أصلها نعبدك فلما قدم الكاف *إياك* صارت العبادة حصراً لله تعالى لذا لم يقل إيانا إهدِ وإنما قال اهدنا الصراط المستقيم لأنه لا يصح ولا يجوز لأنها تعني اهدنا ولا تهدي أحداً غيرنا، خُصّنا بالهداية ولا تهدي أحداً سوانا، اهدنا أي خُصّنا بالهداية مثلما قال الأعرابي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اللهم إرحمني ومحمداً ولا ترحم أحداً سوانا. فلا تقول: إياي ارزق لا تصح ولا تجوز وإنما قُل ارزقني لأن إياي ارزق تعني أنك تطلب الرزق فقط لنفسك. التقديم والتأخير لها دراسة مقصودة وفيها رسائل.

آية *٦* :

*يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *٦ *

هذه فيها أمرين: فيها دلالة على القدرة *يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل* ارتبطت بقوله *وهو على كل شيء قدير* في أوائل السورة . إذن هذه *يولج الليل في النهار* دالة على القدرة . يولج بمعنى يُدخل.

* ألا يدل يولج الليل في النهار على أنه يولج النهار في الليل أيضاً؟

يولج الليل في النهار لا تعني بالضرورة أنك تولج النهار في الليل وإنما جعل الإثنين ليشمل الليل والنهار. يولج أصلها من فعل ولج يلِج *يعلم ما يلج* الفعل في الأصل من دون زيادة : ولج يلِج ويلج بمعنى يدخل.

* الفرق بين يلج ويدخل:

يدخل أوسع وتستعمل في أشياء كثيرة *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *٢٩* وَادْخُلِي جَنَّتِي *٣٠* الفجر* كأنما الولوج في شيء يحتاج إلى ضيق والدخول أوسع.

* ارتباط الآية بما قبلها وبعدها:

هذه دلالة على القدرة *وهو عليم بذات الصدور* والآية فيها أمران: فيها القدرة وفيها العِلم. القدرة هي ما ارتبط بما قبلها *وهو على كل شيء قدير* والعِلم مرتبط أيضاً بما قبلها وما بعدها، قبلها قال *بكل شيء عليم*وهو عليم بذات الصدور* ذات الصدور أي مكنوناتها وخفاياها. المكنونات والخفايا التي تلزم الصدور ولا تريد أن تطلع عليها أحداً. *ذات* مؤنث ذو، ذو للمذكر أي صاحب وذات للمؤنث أي صاحبة ، نقول هو ذو مال أي صاحب مال، ذات الصدور أي الأشياء الخفية المختصة بالصدور، التي تملكها الصدور، المكنونات الخفية الملازمة لها.

آية *٧* :

*آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ *٧ *

أولاً نظرة عامة على الآية :

أولاً: *آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ* أمرهم بشيئين: الإيمان بالله والرسول والإنفاق. هذا الأمران يطبعان السورة إلى حد كبير الإيمان بالله والرسول وليس الإيمان على العموم، الإيمان بالله والرسول يشيع ذكرهما في السورة كلها لم يذكر أركان الإيمان الأخرى *آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ *٧ * ذكر قسماً من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله ورسوله، *وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ *٨ *وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء *١٩ *أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ *٢١ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ *٢٨ * صبغة عامة تطبع السورة في عمومها، والإنفاق *وأنفقوا* .

الإيمان بالله والرسول لم يذكر أركان الإيمان، والانفاق يطبعان السورة إلى حد كبير *وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ *٧ *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ *١٠ *مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا *١١ *إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ *١٨ *الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ *٢٤ * السورة مطبوعة بهذين الطابعين، لم يذكر جميع أركان الإيمان ولا عموم العمل الصالح وإنما ذكر جانباً من العمل الصالح وهو ما يتعلق بالانفاق. ومع أنه ذكر القتال لكنه لم يأمر به *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا *١٠ * ما قال قاتلوا ولكن قال أنفقوا، جاء فيها ذكر للشهداء *وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ *٢٥ * من مظنّة الجهاد لكن الانفاق هو الطابع العام في السورة وليس عموم العمل الصالح. جزء من العمل الصالح وقسم من أركان الإيمان، السورة لها منهج هذين الأمرين.

وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه* رغّبنا في الانفاق أكبر ترغيب فقال تعالى *وأنفقوا مما جعلكم* جاء بـ *مما* للتبعيض لو قال وأنفقوا ما جعلكم مستخلفين لأنفقوا الكل. *جعلكم مستخلفين فيه* هو ربنا تعالى جعلكم واستخلفكم وهو الذي يطلب الانفاق، ما قال *وأنفقوا مما أنتم مستخلفين فيه* هو سبحانه أعطانا المال وهو يأمرنا بالانفاق، *جعلكم* يعني هو الذي أعطانا إياه، *مستخلفين فيه* فالأموال هي أموال الله تعالى استخلفكم فيها ثم كانت لغيركم ثم نقلها إليكم وستنتقل إلى غيرنا سواء في حياتنا أو بعد موتنا. فإذن كل هذه الأمور هو الله تعالى استخلفنا فيها، المال ماله وهو استخلفنا فيه ولن يبقى ، كان لغيرنا ثم نقله إلينا وهو بين أيدينا وقد ينتقل إلى غيرنا في محيانا أو بعد مماتنا فلم لا تنفقون؟ هو أعطانا الأموال فلماذا لا تنفق ولك أجر كبير؟ إذن دواعي الانفاق متكاثرة والمال هو مال الله تعالى هو استخلفنا فيه، كان لغيرنا ثم وصل إلينا ثم ينتقل منا إلى غيرنا وهو أعطانا إياه فلماذا لا ننفق ولنا أجر؟ فإذن الترغيب في الإنفاق إلى حد كبير فأنفق ولك أجر.

* في ختام هذه الآية في سورة الحديد قال تعالى *فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ* وفي سورة الإسراء قال تعالى *وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا *٩ * أكّد في الإسراء ولم يؤكد في الحديد لماذا؟

أولاً: فواصل الآيات هي أنسب مع كل واحدة لأن الإسراء فيها مدّ *أليما، عجولا* لكن ليس هذا هو السبب الأول أو الوحيد أي ليست مناسبة خواتيم الآيات هو السبب الأول وقد يكون سبباً مكملاً يأتي بعد السبب الأول. المعنى هو السيد وليست الفاصلة . وقد يأتي بسورة كاملة ثم يأتي بآية لا توافقها أي آية ففي بداية سورة الإسراء قال تعالى *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ *١ * ولا تجد مثل هذه الفاصلة في جميع السورة وإنما كلها مدّ. فالمعنى هو الأول لكن قد يأتي مع تمام المعنى ما يناسب الفاصلة . نذكر لماذا أكدّ ولماذا لم يؤكد والنتيجة أنه كل آية مناسبة لفواصل الآيات. في آية الحديد قال تعالى *فالذين آمنوا* بصيغة الفعل أما في الإسراء فقال تعالى *ويبشر المؤمنين* بالاسم. معلوم كما هو مقرر في البلاغة وفي اللغة أن الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم أقوى من الفعل، هناك فرق بين أن تقول هو متعلم أو هو يتعلم وهو يتثقف وهو مثقف، هو يتفقه وهو فقيه، هو حافظ أو هو يحفظ من الثوابت في اللغة أن الاسم يدل على الثبوت في اللغة حتى لو لم يقع. في البلاغة عموماً يذكر أن هذا أمر ثابت تذكره بالصيغة الاسمية قبل أن يقع، تسأل مثلاً هل سينجح فلان؟ فتقول: هو ناجح قبل أن يمتحن لأنك واثق أنه ناجح كما قال تعالى *وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً *٣٠* البقرة *وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ *٣٧* هود* لم يقل سأغرقهم. هذا في التعبير أقوى دلالة من الفعل. الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد.

فإذن في سورة الحديد قال *فالذين آمنوا* صيغة فعل وفي الإسراء *ويبشر المؤمنين* فالصيغة الاسمية أقوى .

ثانياً: الإيمان في سورة الحديد خصصه الله تعالى بالله ورسوله *آمنوا بالله ورسوله* إذن الإيمان مخصص، أما في الإسراء أطلقها *ويبشر المؤمنين* لم يخصص الإيمان بشيء، جعله عاماً في كل متطلبات الإيمان ليست مختصة بالله ورسوله فالإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كل أركان الإيمان أطلقها ولم يقيدها فجعلها أعمّ أما في الحديد فالإيمان

مخصص بشيئين: الإيمان بالله ورسوله. في الإسراء مطلق لم يخصصه *ويبشر المؤمنين* هذه في الإسراء أعمّ من آية سورة الحديد.

ثالثاً: في سورة الحديد ذكر الإنفاق *وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه* ولم يذكر غيره من العمل الصالح أما في آية الإسراء فقال *الذين يعملون الصالحات* الذين يعملون الصالحات أعم، الإنفاق هو شيء من العمل الصالح فالذين يعملون الصالحات أعمّ من الذين أنفقوا. إذن أولاً كونهم مؤمنين أثبت من الذين آمنوا ثم أطلق الإيمان بكل مقتضيات الإيمان *مؤمنين* ولم يقيده والعمل أطلقه ولم يقيده بشيء لم يقيده بإنفاق *يعملون الصالحات* فلا شك أن آية الإسراء أعمّ فلما كان أعمّ إذن المغفرة والأجر الكبير تُؤكّد للأعمّ الثابت لا للجزئية . مؤمنين أعمّ وأثبت، مؤمنين عامة على الإطلاق وليس فقط بالله والرسول، العمل بإطلاق، عموم العمل وليس فقط الإنفاق إذن توكيد الأجر الكبير أنسب مع الذين ذكرهم في آية الإسراء مع من هو أعمّ في العمل والإيمان وأثبت في الإيمان. إضافة إلى الفاصلة التي في كل آية لكن لو سألنا شخصاً لا يعلم بالبلاغة نقول له أنت عندك آيتان كالتي معنا فأين تؤكد الأجر؟ يقول في الإسراء. بلاغة القرآن كالقوانين الرياضية الثابتة .

* ما الذي يحدث لو لم يؤكد في الإسراء؟

لو كان كلاماً عادياً لا يؤكد لكن لما تأتي في البلاغة ويأتيك موطنين كل واحد في مكان. البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال بمعنى ماذا يحتاج الحال؟ هل يحتاج توكيد؟ أنت رأيت إنساناً مُنكِراً تؤكد له، غير منكر لا تؤكد له، إنسان منكر إنكار كبير تقسم له هذا ما يقتضيه الحال. أي الحالين يقتضي توكيد الأجر الكبير؟ لو كان كلام متكلم عادي يتكلم بما يشاء لكن هل هو على حد البلاغة أن يكون كلام في مكانين وواحد منهم فيه أمور أرسخ من الآخر وأوسع وأعم تجعلهما بشكل واحد؟!.
في سورة يس مثلاً قال تعالى *إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ* وقال *إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ* أكّد أول مرة بـ *إن* وهذا التأكيد جاء بعد تكذيب *إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ *١٤ * ثم صدر إنكار آخر بعده *قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ *١٥ * فاحتاج لتوكيد بالقسم *قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ *١٦ *ربنا يعلم* هذا قسمٌ عند العرب، القَسَم و *إنّ* واللام في *لمرسلون* هذا بعد الإنكار الآخر *قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ *١٥* قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ *١٦ * . لا يستوي أن يقول إنا إليكم مرسلون لأنه زاد الإنكار فزاد التوكيد. القرآن الكريم يبين ذلك تماماً كالمعادلة الرياضية .

* في سورة الحديد قال تعالى *فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ *٧ * وفي سورة فاطر أضاف المغفرة فقال *وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *٧ * وفي سورة الملك *إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *١٢ * فما دلالة ذكر المغفرة مع الأجر وعدم ذكرها؟

كل موطن في القرآن يذكر فيه المغفرة يجب أن يذكر فيه الذنوب والكافرين في سائر القرآن. لما يضيف المغفرة للأجر الكبير لا بد أن يسبقها أو يأتي بعدها الذنوب والكافرين، يذكر في السياق أمرين: الكافرين والذنوب. في سورة فاطر بدأ تعالى بقوله *الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *٧* أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ *٨ * سوء عمله هذا ذنب، *وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ *١٠* فاطر* ذكر الكافرين مع الذنب، *أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا* مباشرة بعده في سياق الكفر والذنب. نفس الأمر في

سورة الملك *وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *٦* إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ *٧* تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ *٨* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ *٩* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ *١٠* فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ *١١ * ذنب وكافرون، كلما يقول مغفرة وأجر كبير يسبقها أمران الكفر والذنب. في سورة الحديد لم يذكر الكافرين ولا الذنب فلم يذكر المغفرة .

* مع الذنوب يستعمل القرآن اغفر ومع السيئات فيستعمل كفّر *فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا *١٩٣* آل عمران* فهل هناك فرق بين اغفر وكفّر وبين الذنوب والسيئات؟

الذنوب أكبر من السيئات، السيئات صغائر والذنوب كبائر. تستعمل سيئة وقد تكون من اللمم، أنت تقول أسأت إلى فلان ولا تقول له أذنبت معه. فالسيئة قد تقال لصغائر الذنوب والذنوب ما هو أكبر. هذا يقتضي التغيير في المغفرة والتكفير. يقولون أن التكفير هو أصلاً ستر: كَفَر الشيء أي ستره ومأخوذ أصلاً من الزرع فالزارع يسمونه الكافر لأنه يستر البذرة في الأرض، كفرها أي سترها. الكافر في الشريعة هو الذي خرج عن الملة هذا في الاصطلاح وفي اللغة يعني ستر. في العربية البذرة تحفر لها حفرة صغيرة ، وأصلاً العرب يسمون الليل كافر ومن أسماء الليل الظلمة والكافر لأنه يستر كما قال الشاعر:

لي فيك أجرُ مجاهد إن صحّ أن الليل كافر

المغفرة من المِغفَر وهو الذي يُلبس في الحرب حتى يمنع السِهام. أيها الأمنع من الإصابة المِغفر أو التراب في الأرض؟ المِغفر أمنع. الليل يستر لكن لا يمنع سهماً أو إصابة وإنما يستر على العموم لكن لو جاءت ضربة لا تمنع أما المِغفر يمنع، فلما كان الذنب أكبر فهو يحتاج إلى مانع أكبر لذا قال معه مغفرة لأن الذنب أكبر، الذنب يصيب الإنسان إصابة كبيرة فيحتاج إلى مغفرة كما يحتاج المِغفر في الحرب. لما كان الذنب أكبر إحتاج لمانع أكبر ولمغفرة أشدّ. كفر ستر قد تكون بدون منع أو قد تكون بمانع خفيف لذا قال *فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا* .

* هل هذا من قبيل الترادف في العربية أم أنه ليس هناك ترادف في العربية ؟

هذا كلام طويل بين اللغويين والذي يبدو لي الترادف عندما يكون من لغتين أما في اللغة الواحدة فليس فيها ترادف. لغة تسمي سكين ولغة تسميها مدية ، هاتان لغتان، اللهم إلا إذا كانت تراكم اللغة بالاتصال والتأثير والتأثر أما في أصل اللغة فلا أظن أن هناك ترادفاً وكل كلمة وضعت لغرض حتى لو كان هناك تقارب كبير ولكن ليس ترادفاً. في القرآن الكريم حتى لو جاء من لغتين فلا يستعملها مترادفتين. القرآن الكريم الكلمة الواحدة أحياناً يجري فيها تغيير لغرض بما يتناسب مثل توفاهم وتتوفاهم الكلمة نفسها حذف في واحدة والعرب يحذفون. الكلمة نفسها لكن لا يفعل ذلك إلا لغرض، لا يقول توفاهم بمعنى تتوفاهم ولا يستعمل تتذكرون مثل تذكّرون. أما نزل وأنزل فالبناء مختلف *أنزل أفعل ونزّل فعّل* وأفعل غير فعّل، أفطر غير فطّر لكن الكلمة واحدة . تستطع وتسطع، *وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ *٢* النساء* الكلام عن اليتامى وفي آية أخرى *لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ *٥٢* الأحزاب* ما قال تتبدل. هذا الفرق في القرآن له غرض ويمكن أن نفرد له حلقة خاصة . كلمة ريح ورياح لها خصوصية في الاستعمال القرآني فالقرآن يستعمل الغيث مثلاً في الخير والمطر في الشر، هذه حالة خاصة بالقرآن وليس بالغة العربية .
الصوم الصيام في القرآن لا يستعمل في العبادة إلا الصيام *كتب عليكم الصيام* والصوم في الصمت

وليس في العبادة *إني نذرت للرحمن صوماً* أما في الحديث فيستعمل الصوم للعبادة *إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به* .

*** هل العرب كان لها خصوصية محددة في استعمال ألفاظ محددة ؟**

مع لغتها لكن القرآن يخصص. من لم يؤمن بالقرآن كان يفهم حينها أكثر مما نقول بدليل أنه عندما تحداهم *والتحدي في الجاهلية كان موجوداً يقول أحدهم للآخر أنا أشعر منك ويقول الآخر أنا أشعر منك فيتنافران ويذهبان إلى محكّم* قال لهم تعالى *وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ *٢٣* البقرة * لإيلاف قريش سورة وأبو جهل وغيره سمعوا هذا الكلام ولم يأتوا بسورة مثله *قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا *٨٨* الإسراء* تحداهم بسورة قصيرة مثل الكوثر، الإخلاص، العصر، وهم كان لديهم من الفصاحة ما هو معروف ولم يكن أحدهم يرضى أن يقول له أحدهم أنا أشعر منك!.

*** إذا كانت الكلمات هي الكلمات فما سر الإعجاز في القرآن؟ ولم لم يأتوا بمثله؟**

هي ليست مسألة رصف كلمات. أذكر في الكلية كان هناك أستاذ يدرّس الأدب فقال العرب يفهمون الكلام وهو كلامهم فلماذا لا يأتون بقرآن مثله؟ الكلام كلامهم وهم يفهمونه فردّ عليه أستاذ آخر فقال له أنت أستاذ أدب تشرح الشعر وتفهم كلام المتنبي فاتِ بمثله! تفهم مفرداته وتعلم مقاصده فاتِ بمثله وأنت أستاذ أدب تشرح للطلبة فاصنع قصيدة مثل المتنبي. فهي ليست مسألة مفردات وكلمات تجمعها وتعرضها لكن فكرة نظم تحدث عنها الجرجاني.

*** لماذا جهلنا اللغة العربية ونحن أبناء العرب؟**

نحن الآن نتعلم اللغة ونحن لا نتكلمها سليقة ولا نعرفها ونتعلمها وتعلمناها تعلماً مبتوراً، لا نعرف اللغة والناس تجهل اللغة وأذكر طالبة في الصف الرابع تدرس النحو تقول *أوكي* فقلت لها نحو وفي الصف الرابع وتقولين أوكي؟! نحن لا نعلم اللغة والطلبة أصلاً لا يعرفون شيئاً عن اللغة .

*** يقولون أن اللغة العربية صعبة جداً في التعلم؟**

هذا أيضاً يحتاج ليكون محوراً لحلقة . لا شك أن الإعراب مثلاً فيه صعوبة باعتبار يجب معرفة المرفوع والمنصوب والمجرور والمجزوم ولا شك أن الإنجليزية أسهل. فإذا أردت أن أقول أنا أذهبُ بالإنجليزية أقول: I am going أما في العربية وتقول I want to go نفس الفعل أما في العربية فأقول أريد أن أذهبَ وفي الإنجليزية أقول : I didn't go نفس الفعل أما في العربية فأقول: لم أذهبْ. لكن نسأل هل هي الصعوبة المقياس الوحيد؟ لو كان عندما جهازان من الأجهزة التقنية الحديثة وفي أحدهما مزايا مهمة أكبر من الصعوبة التي في الجهاز الآخر بحيث لا يؤدي إلا إلى خدمات قليلة والجهاز الذي فيه صعوبة يؤدي إلى خدمات متعددة فأيها الأفضل؟ الجهاز الذي فيه خدمات يحتاج لتعلم أفضل من الآخر. العربية تماماً مثل جهاز متطور بتقنية عالية جداً بالنسبة للغات الأخرى . أنت تقول: أعطى محمدٌ خالداً كتاباً يقابلها بالإنجليزية : Mohamed gave khaled a book في العربية يمكن أن أقول: أعطى محمدٌ خالداً كتاباً، كتاباً أعطى محمدٌ خالداً *تقديم المفعول به* ، خالداً أعطى محمدٌ كتاباً، خالداً كتاباً أعطى محمد، خالداً كتاباً محمد أعطى ، أعطى خالداً كتاباً محمدٌ *الفاعل في الآخر* ، أعطى كتاباً خالداً محمدٌ، أعطى كتاباً محمدٌ خالداً، أكثر من عشر صور وكل واحدة لها معنى يختلف عن الآخر وكل واحدة لها دلالة تختلف عن الأخرى ، كيف تعبر عنها بالإنجليزية والفرنسية ؟ بصورة واحدة أما في العربية فقد أعبر عنها بعشر صور مختلفة لا تستطيع لغة أجنبية أن تعبر عنها.

في النفي: لا طالبَ غائبٌ تقال بالإنجليزية : no student is absent أما في العربية فيمكن أن تقول: لا طالبٌ غائباً، وقد ورد في القرآن ما يشبه هذه الحالة *وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ *٦١* يونس* وورد *وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ *٣* سبأ* اختلفت الدلالة . ليس هذا فقط وإنما يمكن أن تقول: ما طالبٌ غائباً، ما طالبٌ بغائب، ما من طالب بغائب، ونأتي بليس: ليس طالباً غائباً *قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ *٦٦* الأنعام*وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ *١٠٨* يونس* النفي مرة بليس ومرة بما والإثنان للنفي والدلالة مختلفة وكل واحدة لها دلالة . وتأتي بـ *إن* النافية ، أكثر من عشرين جملة تقابلها في الإنجليزية جملة واحدة . *وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى *٣* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى *٤* النجم* أولاً نفى بـ *ما* والمرة الثانية بـ *إن* ، *وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ *٣١* يوسف* نفى بـ *ما* . اللغات الأخرى بائسة في المعاني بالنسبة للغة العربية الثرية التي هي لغة القرآن. نخصص إن شاء الله تعالى حلقات لإظهار وبيان عظمة اللغة ونصحح الفكرة الخاطئة .

سألت أستاذ لغة إنجليزية عندما كنت في جامعة بغداد أن يترجم لي جملة : "بينما كنت ماشياً" فقال: while I was walking ثم سألته أن يترجم:بينما كنت أمشي "ترجمها نفس الجملة لكن في العربية واحدة فيها اسم فاعل *ماشياً* اسم دال على الثبوت والثانية فعل *أمشي* . من هنا جاءت إستحالة ترجمة القرآن ولكن يمكن ترجمة المعاني العامة . *وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ *٦١* يونس*لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ *٣* سبأ* واحدة في يونس وواحدة في سبأ."

آية *٨* :

*وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *٨ *

* نظرة عامة على الآية :

الآية التي قبل هذه الآية قوله تعالى *آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ *٧ * إذن كانت الآية طلب الإيمان بالله والرسول *آمنوا بالله ورسوله* ثم قال تعالى *وما لكم لا تؤمنون* أي كيف لا تؤمنون؟ طلب منهم الإيمان، لماذا لا تؤمنون بالله والرسول موجود وجاء بالآيات البينات والدلائل الواضحة أنه رسول من عند الله، *وقد أخذ ميثاقكم* . كيف لا تؤمنون بالله؟ هذا استفهام *ما في *وما لكم لا تؤمنون* استفهامية * يدعو للعجب كيف أنه مع دواعي الإيمان المتكاثرة والموجودة ، كيف لا يؤمنون؟ مع كل الأمور التي ذكرها في الآية ذكر الرسول يدعوهم ليؤمنوا بربهم. ثم *وقد أخذ ميثاقكم* فيها أمر: كيف أخذ ميثاقنا بالإيمان؟ يقال الله تعالى أخذ ميثاقنا بشيئين، والميثاق هو العقد والعهد. أولاً أخذ ميثاقنا بما أودع في عقولنا أنه إذا نظرنا في الآيات الكونية ستفضي بنا حتماً إلى الإيمان بالله تعالى، وما في الآيات من الدلائل الكونية أودع في عقولنا، في المحاكمات العقلية ، العقل الذي أودعه الله يحكم. الميثاق، وضعه فيك أنك إذا نظرت في هذا الكون واستعملت عقلك حتماً سيفضي بك إلى الإيمان، هذا ميثاق عقلي. والميثاق الآخر ميثاق فطري، إن الله تعالى وضع في فطرة الإنسان إعتراف بوجود الله وأن الله خالقه ويظهر هذا الأمر إذا وقع الإنسان في ضائقة لا يستطيع أن ينجو منها أو وقع في كرب يقطع الأمل في الأسباب عند ذلك يقول: يا رب.

صوت الفطرة الذي أودعه الله تعالى فيه سيظهر *وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا *٦٧* الإسراء*وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ *٥٣* النحل* . إذن هناك ميثاق عقلي في المحاكمة العقلية عند كل

البشر مسلمهم وكافرهم لو أي إنسان فكر بتجرّد وحيادية تامة في هذا الكون وينظر في هذا الكون وما فيه ويتفكر بما فيه من أمور ودقائق وما إلى ذلك من غايات مرسومة موجودة بحيث إذا كان ينظر في نفسه *وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ *٢١* الذاريات* ينظر كل أجهزته موضوعة لغايات مرسومة ، كل جهاز من أجهزته موضوع لغاية ويقوم بغاية مرسومة يؤديها، هذا ميزان عقلي في المحاكمة *أفي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ *١٠* إبراهيم* هذا أمر عقلي يعني المحاكمات العقلية تفضي بك إلى الإيمان ما دمت في حيادية تامة . أيضاً الفطرة مغروسة فيك ويظهر هذا في مواطن وعند ذلك مسلمهم وكافرهم وملحدهم ومن الملحدين من وقع في مأزق كبير ثم يلجأ إلى الله . إذن أخذ الله تعالى منا ميثاقين: ميثاق السماع وهو الحجج البينة التي جاء بها الرسول ونظرت في هذه الحجج وحاكمتها تفضي بك إلى الإيمان. السمع والعقل والمنطق والفطرة كلها تدعوك للإيمان فكيف لا تؤمن إذن؟

استفهام غرضه التعجب. تضافرت الدواعي العقلية والنفسية والسماع المؤيد بالحجج فكيف لا تؤمن؟ العقل والفطرة والسماع المؤيد بالحجج العقلية فكيف لا تؤمن؟

* كيف نفهم قوله تعالى *إن كنتم مؤمنين* والآية بدأت *وما لكم لا تؤمنون* ؟

إن كنتم تؤمنون أي إن كنتم تريدون الإيمان، تعتزمون الإيمان. في اللغة نقول: نحن خارجون إن كنت خارجاً أي إن كنت تنوي الخروج نخرج، هو لم يخرج. القوم راحلون إن كنت راحلاً، هو لم يرحل ولكن إن كنت عزمت على الرحيل فالقوم راحلون إن كنت نويت الرحيل معهم. فإذن إن كنت تنوي الإيمان فإذن دواعي الإيمان موجودة فلِمَ لم تؤمن؟

* ما دلالة استعمال لفظة *بربكم* ولم يقل تؤمنوا به في الآية *وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ* ؟

أراد أن يحبب إليهم الإيمان فجاء بلفظ *بربكم* لأن ربكم هو الذي تعهدكم وهو الذي رباكم وأرشدكم وقام عليكم فالرب هو السيد والقيّم والمرشد والمربي معناه أحسن إليكم. أراد أن يحبب الإيمان بربهم الذي يربّهم يرعاهم ويهديهم فإذن هذا أولاً من باب التحبيب. ثم مناسب للآية بعدها *هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ *٩ * الرب مهمته الهداية فلما قال يخرجكم من الظلمات إلى النور أي يهديكم وكثيراً ما يقترن لفظ الرب بالهداية في القرآن الكريم *إني ذاهب إلى ربي سيهدين*قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ *٦٢* الشعراء*الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *٢* اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ *٦* الفاتحة * .

* ما الفرق بين كلمة الله والرب من حيث اللغة والدلالة ؟

الله هو لفظ الجلالة الأعظم *الأكثرون يقولون هو اسم الله الأعظم* . وأهل اللغة يقولون هو من أَلِه أي عَبَد وتأتي تحيّر. الإله من المعبود في اللغة ، من العبادة . فهي أصلها كما يقول أهل اللغة الإله أي المعبود أُسقِطت الهمزة الوسطية فصار عندنا لامان لام التعريف واللام الثانية أُدغِمت فصارت الله. والذي يدل على ذلك *الله* هو اسم علم. وأسماء الأعلام إذا لم تكن ممنوعة من الصرف تنوّن *محمدٌ، محمداً* والممنوع من الصرف يُجرّ بالفتحة *إبراهيمَ وإسماعيل* الله يُجر بالكسرة *باللهِ ورسوله* . الذي لا يُنوّن وهو ليس ممنوعاً من الصرف فمعناها هو معرّف بـ *أل* مثل *الرجل* . فلفظ *الله* أصلها معرفة بـ *أل* الإله وأنه يجر بالكسرة معناه ليس ممنوعاً من الصرف إذن الله معناها الإله أي المعبود ثم جعل علماً على الاسم الأعظم *الله* معرّف من حيث اللفظ الإله أصبحت اللام لازمة ، لو قلت إله ترجعها إلى أصلها *وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي

الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ *٨٤* الزخرف* صارت اسم جنس لكن الله اسم علم بهذه الوضعية . والمشركون إستخدموا كلمة إله واستخدموا كلمة الله *مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى *٣* الزمر*وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ *٣٨* الزمر* .

أما الرب معناها في اللغة المربي وهو الموجه والمرشد والقيّم والرازق ولذلك كلمة رب حتى في اللغة يقصد بها غير الله أيضاً *اذكرني عند ربك يوسف*قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ *٥٠* يوسف* يجوز أن يقال رب البيت ورب الدار وتضاف أيضاً فيقال رب العالمين، رب السماوات.

* لماذا لم يقل *تؤمنوا بالله* ؟

جمع دلالتين لو قال بالله تعود نفس الكلمة ولكنه جمع أمرين في الآية : أنه الله وأنه الربّ لأن قسم يأخذون أرباباً متفرقين من دون الله لكن يقول هو الله وهو الرب يجمع دلالتين لو قال *به* تعود الكلمة نفسها. جمع معنيين هو الله وهو ربكم لا تتخذوا رباً غيره، فرعون قال *فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى *٢٤* النازعات*أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ *٣٩* يوسف* . إذن هو الآن جمع دلالتين لما قال *الله، ربكم* في الآية فهو الله وهو ربكم ليس لكم رب غيره. بينما في قريش يعترفون بالله ويتخذون أرباباً من دون الله. هو الله وهو الرب واحد، وهو الذي يخرجكم من الظلمات إلى النور، يهديكم والرب هو المرشد والهادي، وهو تعالى قال: يخرجهم من الظلمات إلى النور يعني يهديهم وأنسب شيء في هذا المقام أن يستخدم كلمة رب.

كلمة رب جمعها أرباب أما لفظ الجلالة الله فليس له جمع ولا قياس وكل كلمة ليس لها نظير لا تُثنّى ولا تُجمع هذه قاعدة . مثلاً كلمة مكة لا تُجمع ولا تُثنّى فهي مدينة واحدة لا يوجد غيرها.

* ما دلالة إن كنتم مؤمنين في الآية بعد قوله وما لكم لا تؤمنون؟

قلنا إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم تنوون الإيمان، إن كنتم تعتزمون الإيمان. هذا خطاب عام: إن كنت نويت الإيمان فكيف لا تؤمن؟ خطاب عام لمن آمن ولغير المؤمن هذه حجة ملزمة : كيف لا تؤمن ودواعي الإيمان كثيرة والميثاق موجود في عقلك في فطرتك إضافة إلى الحجج التي جاء بها الرسول؟ تضافرت الدوافع العقلية والسمعية أنتم يا بشر كيف لا تؤمنوا؟

إن كنتم مؤمنين* متعلقة *أخذ ميثاقكم* الرسول يدعوكم وقد أخذ ميثاقكم فإن كنت تريد الإيمان ما الذي سيأتي بك إلى الإيمان؟ إما أن يكون منطق عقلي أو سماع الحجج التي يأتي بها الذي يخاطبك والرسول يأتي بالحجج التي تدل على أنه رسول من عند الله وليس من عند نفسه ومن الناحية النفسية والفطرة إرجع إلى نفسك كيف لا تؤمن؟ إن كنت تنوي الإيمان إذن ما هي الأشياء التي تأتي بك إلى الإيمان؟ عقلك؟ موجود، نفسك؟ موجودة ، الحجج؟ موجودة ، والذي ينظر فيما جاء به الرسول من الحجج ملزمة لا تقبل الشك. والله تعالى هو الذي أخذ ميثاقهم *وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ *١٧٢* الأعراف* هو أودع فينا الميثاق في عالم الذر أودع في عقولنا بأن نحاكم ونقبل وأودع في نفوسنا سماعاً مؤيداً بالحجج، عقل في النظر والنفس.

* ما فائدة *قد* مع الفعل الماضي في *وقد أخذ ميثاقكم* هل تفيد التأكيد؟

* قد* تفيد التحقيق والتحقيق لا ينفك عنها إذا دخلت على الماضي وأحياناً يجتمع معها التقريب والتوقّع. التحقيق لا ينفك، لا محالة واقع إذا دخلت على الماضي وقد يكون مع التحقق التقريب أو

التوقّع أو تجتمع كلها لكن يبقى التحقيق معها. *يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ *٢٦* الأعراف*قد* هنا لا فيها توقّع من بني آدم ولا فيها تقريب لكن فيها معنى التحقيق. *وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ *١٢٣* آل عمران* فيها توقّع لأن الله تعالى وعدهم بالنصر *وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ *٧* الأنفال* وفيها تقريب. التحقيق لا يفارق *قد* . إذا دخلت على الفعل المضارع قد يكون للتحقيق والتكثير. *قد* حرف وإعرابها حرف تحقيق مبني *سائر الحروف مبنية * .

* ماذا ينقصنا لنتعلم العربية حق التعلم؟

ينقصنا الكثير لأن أصلاً التعليم عندنا في الأصل مبتور منقوص ويجب أن نرجع إلى المصادر الأولى نتعلمها وكلٌ حسب مرحلته فالذي ليس عنده علم أصلاً يجب أن يبدأ بالأوليات تعطيه المعلومات الأولية . كلٌ حسب مرحلته وطالب الكلية لديه معلومات قليلة ليست مكتملة حتى في الإختصاص، في الإعدادية المعلومات ضئيلة مشتتة فحسب المرحلة الدراسية وما المعلومات التي أخذها حتى لو كان في مجرسة دينية لكن ينبغي إذا كان ينوي الدراسة أن يكون هناك أحد أمران في الدراسة حتى في كل المراحل التدريسية في الجامعة وغيرها: أولاً ينبغي ربط الدراسة بالمعنى فالنحو مثلاً ينبغي أن يُربط بالمعنى وليست استكثار أوجه كما يذكر في كتب النحو وينبغي على الأستاذ أن يفسر كل وجه من أوجه النحو ولا يكون هناك أكثر من وجه إلا إذا كانت لغتان. في النحو أوجه يذكرها النحاة لكن كل وجه له دلالة يستثقلها الطالب إذا أخذها مجرد أوجه لكن عندما تربط بالدلالة وبالمعنى يستمتع بها ويجد في نفسه اندفاعاً ولذة لحفظها ومعرفتها. هذا أمر أساسي أنه يجب أن لا يفصل الدراسة النحوية والبلاغية عن المعنى وتعلمها وربطها بالمعنى هذا أمر أساسي والناحية التطبيقية أي التمرين على ما يقرأ، التطبيقات حتى في المرحلة الجامعية .

* يسأل المشاهدون من أين يأتي الدكتور فاضل بهذا الكلام؟ وهل هناك كتاب موجود يتناول هذه اللمسات؟

كتب التفسير فيها إضاءات عظيمة لكني لم أطلع على كتب تتناول ما نتناوله بهذا التركيز ولا أدري إن كان موجوداً أو لا. في تفسير الكشاف إشارات وإضاءات، روح المعاني للألوسي فيه إضاءات، البحر المحيط، كتب التشابه والاختلاف في درة التنزيل فيها إشارات عظيمة جداً. والأمر يحتاج للإطلاع على كتب التفسير والمعاني والبلاغة .

وفي رد على المقدم متى بدأ الدكتور فاضل رحلته مع هذه اللمسات البيانية في القرآن الكريم أجاب الدكتور أنه درس في هذا المجال كبداية قبل الستينات وحتى في الخمسينات كانت لي عناية كبيرة فيما أقرأ في بعض كتب التفاسير وكنت أستمتع بما أجده في كتب البلاغة وقبل أن أكون طالباً في الكلية قرأت كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني أربع مرات فكنت أقرأ وأستمتع وأجد في نفسي هوى كبيراً والأمر بدأ في الستينات بشكل شديد. أما بالنسبة للكتب في هذا المجال فهي موجودة على ما أعتقد في المكتبات وجامعة الشارقة طبعت كتاب على طريق التفسير البياني في جزئيه ودار عمار في الأردن طبعت مجموعة من الكتب منها لمسات بيانية وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني والتعبير القرآني وأظن أنها توزعها في الشارقة في بعض المكتبات.

آية *٩* :

*هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ *٩ *

* رؤوف رحيم ترد في القرآن معاً فهل وردتا متفرقتين؟ وما الفرق بين الرؤوف والرحيم؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نبدأ من أول الآية . قال تعالى *هو الذي ينزل على عبده* هو أي هو لا غيره. واختار كلمة عبد وأضافه إلى ضميره وهذا فيه تكريمان: الأول إختيار كلمة *عبد* لأن الله تعالى في القرآن الكريم لما يذكر *عبد* يذكره في مقام التكريم لأن العبودية نوعان في القرآن الكريم: العبودية الإختيارية والعبودية القسرية . العبودية الإختيارية هي أن الإنسان يختار أن يكون عبداً لله مطيعاً له وبهذا يتفاضل المؤمنون. ففي مقام مدح نوح - عليه السلام - قال تعالى *ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا *٣* الإسراء* أثنى على نوح وصفه بالعبودية . وقال تعالى *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً *١* الإسراء* وصفه بالعبودية *وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *١٩* الجن* . أما العبودية القسرية فليس فيها فضل لأنه رغم عن الإنسان نحن كلنا عباد الله شئنا أم أبينا *إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا *٩٣* مريم* عبادة قسرية رغماً عنا، الله تعالى يرزقنا ويختار لنا المكان الذي نولد فيه ويختار الأبوين ويعطينا إمكانيات ونعيش في السنن التي وضعها لا نتجاوزها هذه عبادة قسرية شئنا أم أبينا ليس فيها فضل وكل الناس هكذا *أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ *١٧* الفرقان* هذه عبودية قسرية ليس فيها فضل وقمة العبودية هي العبودية الإختيارية وحتى الأنبياء يتفاضلون في عبوديتهم لله سبحانه وتعالى *نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ *٣٠* ص* . فكلمة عبد وسام للشخص من الله تعالى فإذا أضافها إلى ضميره *عبده* نسبه إليه إذن فيها تكريمان لأنه لما ينتسب العبد إلى الله تعالى يكون في حمايته.

فقال تعالى *هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ* فيها ثلاث تكريمات: هو الذي ينزل على عبده لا غيره، وعبده، وآيات بينات. لماذا؟ ليخرجكم من الظلمات إلى النور، إذن هو الذي ينزل ويخرجكم من الظلمات. وكلمة *عبده* المقصود بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووصف الآيات بأنها بيّنات ظاهرات بحجة والدلالة واضحة . آيات مقصود بها القرآن الكريم.

* من الذي يُخرج؟

ليخرجكم فيها إحتمالان وكلاهما يصح: الله تعالى هو الذي يُخرِج والرسول - صلى الله عليه وسلم - يُخرِج لأنه هادي. *يخرجكم* يحتمل أن يرجع إلى الله تعالى وأن يرجع إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكلاهما صحيح. قال تعالى *ليخرجكم من الظلمات إلى النور* يجمع القرآن دائماً الظلمات ويُفرِد النور لأن الظلمات مصادرها متعددة أما النور مفرد وليس له إلا سبيل واحد وهو الطريق النازل من السماء. ليس هناك هداية على الحقيقة إلا ما جاءت به الرسل. أما الظلمات متعددة الشيطان والنفس وغيرها، لذلك الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يجمع الظلمات في القرآن ويفرد النور.

* قال تعالى في أول الآية : هو ثم عبده، وفي نهاية الآية قال: إن الله بكم لرؤوف رحيم فلماذا لم يقل مثلاً إنه بكم لرؤوف رحيم؟ وما الفرق بين الرحمة والرأفة ؟

هو أوضح من هو بعد أن كان ضميراً جاء بالظاهر، الظاهر والضمير تضافرا على المقصود وحتى لا يشت الذهن لأمر آخر قال *وإن الله بكم لرؤوف رحيم* .

* الفرق بين الرأفة والرحمة :

الرأفة أخصّ من الرحمة والرحمة عامة . الرأفة مخصوصة بدفع المكروه وإزالة الضرر والرحمة عامة *وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ *١٠٧* الأنبياء* ، *فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا *٦٥* الكهف* ليست مخصوصة بدفع مكروه. تقول أنا أرأف به عندما يكون متوقعاً أن يقع عليه شيء. الرحمة عامة *وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا *٤٨* الشورى * فالرحمة أعمّ من الرأفة . عندما نقول في الدعاء يا رحمن ارحمنا هذه عامة أي ينزل علينا من الخير ما يشاء ويرفع عنا من الضر ما يشاء وييسر لنا سبل الخير عامة .

* هل أفردت الرأفة عن الرحمة في القرآن؟

فقط في موطنين في القرآن كله قال *والله رؤوف بالعباد* في موطنين: في سورة البقرة *وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ *٢٠٧* البقرة * وفي سورة آل عمران *يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ *٣٠ * ما قال تعالى رؤوف رحيم.

* يثار سؤال لماذا رؤوف رحيم وهنا في الموطنين اختلف؟

لو لاحظنا السياق الذي وردت فيه الآيتان يتوضح الأمر. في سورة البقرة قال تعالى *وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ *٢٠٤* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ *٢٠٥* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ *٢٠٦* وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ *٢٠٧* البقرة * السياق لا يحتمل رحمة لما يقول *فحسبه جهنم* كيف يناسب الرحمة ؟ لا يناسب ذكر الرحمة . في الآية الثانية قال تعالى *لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ *٢٨* آل عمران* مقام تحذير وليس مقام رحمة ولا يتناسب التحذير مع الرحمة لأن التحذير يعني التهديد. فقط في هذين الموضعين والسياق اقتضاهم أفردت الرأفة عن الرحمة .

* ما دلالة التوكيد بـ *إنّ* واللام في هذه الآية *وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ* ؟

التوكيد بحسب ما يحتاجه المقام، إذا احتاج إلى توكيدين مثلاً لما يذكر الله تعالى النعم التي أنزلها علينا يؤكد وإذا لم يحتج إلى توكيد لا يؤكد ولو احتاج لتوكيد واحد يؤكد بواحد. *وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ *١٤٣* البقرة * أكّد. *إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *١٩* وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *٢٠* النور* ما أكّد. في الآية الأولى كانوا في طاعة *وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ* ويقولن هذه الآية نزلت لما تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة تساءل الصحابة عن الذين ماتوا هل ضاعت صلاتهم؟ وهل ضاعت صلاتنا السابقة ؟ سألوا عن طاعة كانوا يعملون بها فأكدّ الله تعالى *إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ* أما في الآية الثانية فهم في معصية *يحبون أن تشيع الفاحشة * فلا يحتاج إلى توكيد. في تعداد النعم *ألم تر أن الله سخر إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ* لما هم في طاعة يؤكد ولما يكون في معصية لا يؤكد. ولم يقل في القرآن *والله رؤوف رحيم* أبداً إما مؤكدة باللام و *إنّ* أو *رؤوف بالعباد* .

* هل قدمت الرحمة على الرأفة في القرآن؟ وهل جاءت رحيم رؤوف؟

لم ترد رحيم رؤوف في القرآن ووردت فقط رأفة ورحمة *وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا *٢٧* الحديد* لكن ليس بهذه الصيغة . حسب السياق الذي ترد فيه أحياناً من الخاص إلى العام وأحياناً من العام إلى الخاص.

آية *١٠* :

*وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠ *

* نظرة عامة على الآية :

الآية السابقة *وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *٨ * وهنا قال تعالى *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* يعني لِمَ لا تنفقون في سبيل الله والله تعالى وارث أموالكم وستؤول إليه أموال الخلق كلها *وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٨٠* آل عمران* فأنفقوا حتى تنالوا جزاء المنفقين قبل أن تنتقل رغماً عنكم وتذهب إلى الله تعالى ، أنفقوا حتى تنالوا . قال تعالى *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ* ولم يقل ولله ميراث أموالكم. هل الإنفاق مقترن بالمال؟ الإنفاق الأصل فيه المال لكن مرة يقول تعالى أنفقوا من المال ومرة مما رزقناهم ينفقون، الرزق أعمّ من المال وهنا لم يحدد، *في سبيل الله* في الغالب أموال، جهاد، لأنه قال تعالى *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ* الذي يبدو من سياق الآية أنه على المال. عندما قال *وما لكم ألا تنفقوا* ما قال تعالى سوف يهلككم ويميتكم ويأخذ أموالكم إن لم تنفقوا وإنما جعله عاماً يدخل فيه هؤلاء وغيرهم. *

ولله ميراث السماوات والأرض* إذن أموالكم أنتم أيضاً ستؤول إليه وهذا في القرآن كثير يذكر أمر ثم يأتي بأمر عا يدخل فيه هؤلاء *وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ *١٧٠* الأعراف* ما قال لا يضيع أجرهم وإنما قال لا يضيع أجر المصلحين فهذا يدل على أن هؤلاء من المصلحين فالمصلحين أعمّ فدخل فيه هؤلاء ودخل غيرهم فصار في زمرة الأعم، فشمل هؤلاء وشمل غيرهم من عموم المصلحين. *مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ *٩٨* البقرة * لم يقل عدو لهم فأفاد أن هؤلاء كافرون والآية تشمل كل الكافرين، هؤلاء دخلوا في زمرة الكافرين ولا تختص عداوة الله تعالى لهؤلاء وإنما لعموم الكافرين فأفاد أمرين أن هؤلاء كافرين وأن عداوة الله لا تنحصر بهم ولكن بكل كافر. وهنا قال *ولله ميراث السماوات والأرض* لم يقل ميراث أموالكم هؤلاء دخلوا في العموم. وقدّم الجار والمجرور *لله* أنها ستؤول إليه حصراً وإذا قال ميراث السماوات والأرض لله ليس فيها قصر ولا حصر. التقديم عندنا شكلين: يقدم على العامل وتقديم على غير العامل. مثلاً تقديم الخبر على المبتدأ *ولله ميراث السماوات والأرض* ميراث مبتدأ و *لله* لفظ الجلالة خبر مقدّم وهذا من باب جواز التقديم وليس من باب الوجوب لأن ميراث السماوات والأرض معرفة مضافة إلى معرفة وليست نكرة تقديم الخبر على المبتدأ يسمونه من باب تقديم المعمول على العامل وهذا التقديم يفيد التخصيص أو الاهتمام حسب السياق. قد يفيد القصر كما في قوله *إياك نعبد* وأصلها نعبدك. هنا قال تعالى *ولله ميراث السماوات والأرض* هذا اهتمام هو ستؤول إليه حصراً ولا تؤول إلى جهة أخرى مع الاهتمام.

ولله ميراث السماوات والأرض* ثم ذكر أنه *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا* من أنفق وقاتل من قبل الفتح لا يستوي مع من أنفق وقاتل بعده لكثرة الأعداد وقِلة الغنائم لن يستووا، الذي ينفق من بعد النصر حاصل وفيها احتمال غنائم وفيها فائدة . *وكلاً وعد الله الحسنى * كل هؤلاء على سبيل الاستغراق كل من أنفق وقاتل قبل الفتح وبعده بلا استثناء داخلون في وعد الله تعالى بالحسنى والحسنى حاصلة لكن الدرجات في هذه الحسنى تختلف. لم يستثني منهم أحداً كلُ من أنفق وقاتل قبل الفتح أو بعده كلهم داخلون في هذا الوعد، في الحسنى لم يستثني منهم أحداً. لكن الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا أعظم وأرفع درجة . الخطاب في الآية للمؤمنين *لَا يَسْتَوِي مِنكُم*وما لكم ألا تنفقوا* أي كيف لا تنفقون مع أن دواعي الإنفاق كثيرة ؟ هذا أسلوب استفهام غرضه التعجب كيف لا ينفق أحدهم وهم يعلم أن هذه الأموال ستؤول إلى الله تعالى ؟! فلماذا لا ينفق فينال الأجر؟ أمر عجيب أن لا ينفق قبل أن تؤول إلى الله تعالى رغماً عنه؟! كلمة الميراث هنا هو الذي يأتي بعد زوال المالِك الأول وتوزيع الإرث يكون بعد الموت. كلهم ميتون وليس ميراثكم أنتم فقط سيؤول إلى الله تعالى وإنما ميراث السماوات والأرض كله لله تعالى *إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ *٤٠* مريم* .

* قال تعالى *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ* باستعمال *أن* وقبلها قال تعالى *وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ* بدون *أن* فما الفرق؟

* أن* الناصبة تفيد الاستقبال في اللغة وهي من مخلّصات الفعل للاستقبال وعند النُحاة النصب علم الاستقبال نصب الفعل المضارع علامة الاستقبال وعندهم النواصب هي مخلصات الفعل للاستقبال. إذن حسب هذه القاعدة *أن* الناصبة تفيد الاستقبال. والفرق بينها وبين الآية التي قبلها *وما لكم لا تؤمنون* أن الإيمان لا يحتمل الاستقبال ولا بد أن تؤمن الآن فلا تدري بعد دقيقة ما الذي سيحصل. أما الإنفاق فيحتمل الاستقبال *أن لا تنفقوا* محتمل أن يكون مطلوب مني الجهاد لكنه غير واقع الآن وقد يكون نصاب الزكاة وقد لا يكون عندك نصاب الزكاة في الصدقات قد لا يكون عندك صدقة ولك أن ترجئها. فرق بين الإيمان والإنفاق فالانفاق يحتمل الإرجاء أما الإيمان فلا يحتمل الإرجاء ولذلك قال تعالى *وما لكم لا تؤمنون بالله* لكنه قال *وما لكم ألا تنفقوا* .

لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اسم الموصول *من* جاء مع مفرد *أنفق* ثم قال تعالى *والذين أنفقوا* اسم الموصول صار جمعاً *الذين* والفعل جمع *أنفقوا* فما الفرق؟

* من* و *ما* تسمى الأسماء الموصولة المشتركة أي يشترك فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث *وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا *٣١* الأحزاب*وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ *٢٠١* البقرة *من* إذن اسم موصول مشترك واسم الموصول *الذي* مختص لأنه يكون للمفرد المذكر، وعندنا التي للمفرد المؤنث واللذان للمثنى المذكر واللتان للمثنى المؤنث والذين للجمع المذكر واللائي للجمع المؤنث. *من* تحتمل الإفراد وغير الإفراد. *الذين* جمع، فلما كان الإنفاق قبل الفتح كان المنفقون قليلين والمسلمون قليلين فجاء بما يدل على المفرد والقِلّة قال *من أنفق من قبل الفتح* ولما كثروا بعد الفتح استعمل ما يدل على الجمع فقال *الذين أنفقوا* . في الموطن القليل قلل وجاء بـ *من* التي قد تستعمل للواحد *والذي تستعمل للواحد على التخصيص* ولو قال *الذي* يعني به واحداً فقط فلا يمكن أن يقول *الذي* . أما *من* فتحتمل المفرد والجمع والمثنى . استعمل ما يدل على القلة فجاء بـ *من* الذي يحتمل القِلّة وجاء

بـ *أنفق* وهذه إشارة للتفرقة بين الحالتين: هؤلاء قبل الفتح قِلّة ينفقون ويقاتلون والدواعي قليلة وليست دواعي كسب وإنما إخلاص وتضحية أما بعد الفتح فصاروا أكثر فقال *الذين أنفقوا* .

ما القرينة السياقية التي حددت *من* للقِلّة ؟ السياق واضح في المقام لأنه لا شك أنهم كانوا قلة قبل الفتح وهذا معلوم في مقام المسألة والدواعي والدوافع للإشتراك في القتال قليلة ، ماذا يكسب قبل الفتح؟ فالمقام يوضح ذلك.

* ختمت الآية بقوله تعالى *والله بما تعملون خبير* فما اللمسة البيانية في تقديم العمل على الخبرة هنا علماً أني في آيات أخرى يقدم الخبرة على العمل *خبير بما تعملون* ؟

تكلمنا سابقاً عن بما تعملون بصير وبصير بما تعملون. بالنسبة لهذه الآية واضحة لأن الكلام على هؤلاء، على عمل هؤلاء من الإنفاق والقتال فقدم العمل لكن نقول أمراً في العمل والخبرة : يقدم العمل على الخبرة أو الخبرة على العمل بحسب ما يقتضيه المقام: فإذا كان السياق في عمل الإنسان وليس في الإنسان، في عمل الإنسان - وهناك فرق بين الكلام على الإنسان عموماً وعمل الإنسان - قدّم العمل، هذا أمر. وإذا كان السياق في غير العمل ويتكلم عن الإنسان في غير عمل كالقلب أو السياق في أمور قلبية أو في صفات الله عز وجل يقدم صفة الخبير على العمل، هذا خط عام. إذا كان السياق في عمل الإنسان يقدم العمل *والله بما تعملون خبير* يقدم العمل على الخبرة وإذا كان السياق في أمور قلبية أو عن الله سبحانه وتعالى يقول *خبير بما تعملون* .

نضرب أمثلة حتى تتضح الصورة : *إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *٢٧١* البقرة * هذا عمل فختم الآية *والله بما تعملون خبير* ، *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠* الحديد* الكلام على الانفاق والقتال فقدم العمل، *وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *٢٣٤* البقرة * الكلام على العمل *فعلن* ، *زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ *٧* فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير *٨* التغابن* ذكر العمل فقدمه لأنه ذكر ما يتعلق بالإنسان وعمله فقدم العمل.

في حين قال تعالى *وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *٥٣* النور* النفاق أمر قلبي وليست عملاً فقدم الخبرة ، *وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ *٨٨* النمل* يتكلم عن الله سبحانه وتعالى فقدم الخبرة ، *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* الحشر* التقوى أمر قلبي، هذه القاعدة العامة إذا كان الكلام عن عمل الإنسان يقدم العمل على الخبر وإذا كان الكلام ليس عن العمل وإنما في أمر قلبي أو الكلام على الله سبحانه وتعالى يقدم الخبرة .

* ما دلالة استعمال أداة النفي *ما* و *لا* ؟

* ما* التي تدخل على المضارع هي لنفي الحال، *لا* يقولون للاستقبال وقسم من النُحاة يقولون قد تكون للحال وللاستقبال *وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً *٤٨* البقرة * هذا استقبال. ننظر كيف تستعمل في القرآن *وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ *١٩* فاطر* هذا مشاهَد في الدنيا

*وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ *١٢* فاطر* هذا مُشاهَد *وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ *٢٢* فاطر* هذا مُشاهَد، *لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللهِ *٩٥* النساء* عدم الإستواء هذا في الآخرة غير مشاهَد فقال *لا يستوي* ، *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ *١٠* الحديد* عدم الإستواء هذا في الآخرة ، *لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ *٢٠* الحشر* هذا في الآخرة غير مُشاهَد. *لا* تدل على النفي في
الاستقبال *نفي غير مشاهد* وقسم يقولون قد تكون للحال وأكثر النحاة يقولون هي للاستقبال لكن قسم يقول قد تكون للحال والأكثر للاستقبال بدليل قوله تعالى *فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى
الْهُدْهُدَ *٢٠* النمل* هذه حال وليس استقبال فقال قد تأتي للحال أيضاً وهم متفقون على أنها للاستقبال. الأصل أن تكون للاستقبال لذلك يقول الزمخشري لا ولن أُختان في نفي المستقبل إلا أنّ في لن تأكيداً.

آية *١١* :

*مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ *١١ *

* نظرة عامة على الآية :

نلاحظ أولاً تركيب التعبير *مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ* :
يُقرِض، هذا الفعل مبني للمعلوم ماضيه أقرض وهو فعل رباعي وكل فعل مضموم حرف المضارعة فهو رباعي بالأصالة أو بالزيادة سواء كان أصلياً أو مزيداً وهذه قاعدة . يُقرِض أقرَض والمصدر أفعل إفعالاً، أقرض إقراضاً هذه القاعدة مثل أكرم إكراماً، أنعم إنعاماً. لكن في الآية لم يقل إقراضاً ولم يأت بمصدره وإنما جاء بمصدر الفعل الثلاثي قَرَض *قَرْض* . الثلاثي قَرَ مصدره قَرْض والرباعي أقرض ومصدره إقراض. وهذا موضوع كبير ومتسع ولو أردنا أن ندخل فيه يكون على حلقات تحت عنوان التوسع في المعنى . الإقراض هو المصدر في اللغة مثل الإكرام. القرض له دلالتان في اللغة : الإقراض والمال الذي يُقرَض *اسم العين* تحديداً ما تعطيه من المال. إذن الإقراض له دلالة واحدة هو الإعطاء. القرض له دلالتان: المصدر عن الإقراض والمال، إذن صار أوسع وهو دلالة المال مع الإقراض. القرض الحسن هذا الإنفاق له صفات حتى يسمى حسناً لأن هناك قرض وهنالك قرض حسن.

القرض الحسن فيه شروط وصفات: أولاً يكون بإخلاص النية لله تعالى ولو لم يكن لله تعالى سقط عنه الحسن ولس فيه أجر أصلاً لأنه "إنما الأعمال بالنيات" . الأمر الآخر كونه عن طيب نفس ليس فيه منٌّ ولا تكدير وإنما فيه بشاشة وجه *الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *٢٦٢* البقرة * .
والآخر أن يتحرّى المال الحلال، المال الطيب وإذا كان مالاً حراماً لا يصح. ثم أن يتحرّى المال الكريم وليس الخبيث *وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ *٢٦٧* البقرة * المال الحلال أصله حلال وإن كان بسيطاً ولو كان درهماً والمال الكريم هو الحسن. مثلاً عندك نعجة عجفاء ضغيفة هزيلة لكنها حلال وعندك نعجة سمينة أيضاً حلال لكنها كريمة لذا قال تعالى *وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ
تُنفِقُونَ *٢٦٧* البقرة * الخبيث ليس مالاً حراماً *وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ *٢٦٧* البقرة * وهناك فرق بين الحلال والكريم، بين الطيب والحلال "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً" هذا حلال، والكريم الطيب. ثم يتحرى أفضل الجهات التي ينفق فيها، أفضل الجهات ما كان أشدها حاجة وأكثرها نفعاً للمسلمين. هذه شروط القرض الحسن. عندما تجتمع كلها يكون إقراضاً لله تعالى والله تعالى سماها إقراضاً وليس صدقة والإقراض غير الصدقة لأن الصدقة لا تطالب بها لكن لما تقول

أقرض فسوف يعيد المال له وهذا تهوين على المقرِض أكثر من الصدقة . لذلك قال بعضهم الإقراض هو في السنن والمندوبات وليس في المفروض لأن *من ذا الذي يقرض الله* كثير من المفسرين قالوا من المندوبات وليست الفروض.

تقرض الله تعالى بنية القرض بهذه الشروط ووعد الله تعالى بأن يعيده عليك مضاعفة وسماها قرض حتى يهونها على المنفقين لأن من شروط القرض أن يعاد إلى صاحبه أما الصدقات فلا تعاد *إنما الصدقات للفقراء والمساكين* . *فيضاعفه له* أي للمنفق، وعده الله تعالى بشيئين: المضاعفة والأجر الكريم وهو الأجر الحسن البالغ الجودة .

* قال تعالى *من ذا الذي* فما دلالة هذه الصيغة ؟

قال تعالى *من ذا الذي* هذه عامة ما قال من ذا الذين لأن كل واحد مسؤول عن إنفاقه ولا يجتمعون في الانفاق. كل واحد وكل شخص مدعو بذاته أن يفعل هذا الفعل. الخطاب موجه لكل فرد، كل واحد، كل شخص.

* ما أصل *ذا* ؟

قال تعالى *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* الملك* وقال *من ذا الذي* . *من ذا* في هذه الآية فيها احتمالان: إما *ذا* اسم إشارة *هذا* أو *من ذا* كلها واحدة اسم استفهام بمعنى *من* لكن قالوا أنها أقوى من *من* لأنه زاد في المبنى وزيادة المبنى في الغالب تدل على زيادة المعنى . *من ذا الذي يقرض الله قرضاً* تحتمل أن يكون من هذا الذي ويحتمل من الذي. وهناك فرق بين من ذا ومن هذا: الهاء للتنبيه *هذا: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة * . لما يقتضي الكلام الشدة وما إلى ذلك يأتي بـ *هذا*أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ *٢١* الملك* . فرق بينها وبين *مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ *٢٥٥* البقرة * هذا شفيع والشفيع يترجّى ، تذهب إلى من بيده الأمر وتشفع لفلان يعني يعلم أن هذا الذي تذهب إليه هو الذي يقضي في الحاجة ويفصل فيها فما قال من ذا الذي. *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ *٢١* الملك* من هو هذا الذي هو ندٌ لله تعالى ؟ الله تعالى يمسك الرزق وهذا يرزق؟! من هذا؟ فجاء بهاء التنبيه لأنها أشد. من هذا الذي هو ندٌ لله تعالى ؟ *أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ *٢٠* الملك* من هو؟ هذه أشد وأقوى من *من ذا* لأن فيها تنبيه. فالتي فيها تنبيه يقول *أمن هذا* وإذا لم يكن فيها تنبيه يقول *من ذا* وهذا ميزان عجيب في التعبير.

* في سورة البقرة قال تعالى *مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *٢٤٥ * وهنا قال *فيضاعفه له وله أجر كريم* واختلفت خاتمة الآيات فما الفرق بين الآيتين؟

أولاً في سورة البقرة قال تعالى *فيضاعفة له أضعافاً كثيرة * وفي الحديد ذكر المضاعفة مع الأجر *فيضاعفه له وله أجر كريم* زاد هنا بالأجر الكريم وهو الحسن البالغ الجودة . في البقرة ما قال هكذا وقال فقط *أضعافاً كثيرة * هنا مكان الأضعاف الكثيرة قال *فيضاعفه له وله أجر كريم* هذه زيادة . الفرق في البقرة ذكر الكمّ ولم يذكر الكيف *اضعافاً كثيرة * وفي الحديد ذكر الكمّ *فيضاعفه له* وذكر الكيف *وله أجر كريم* ذكر أمرين. أما في البقرة فذكر الكمّ فقط وفي الحديد ذكر الكمّ والكيف: المضاعفة والأجر الكريم. وذكرنا بأن سورة الحديد مطبوعة بطابع الإيمان والانفاق، هذا أمر. والأمر الآخر أنه قال في سورة البقرة *وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ* يقبض معناه يضيّق

الرزق ويمسك هذا في الدنيا. محتمل إذن الشخص يناله قبض أو بسط، صاحب المال محتمل أن يصيبه قبض فهذا الذي يصيبه القبض والتضييق في الرزق يحتاج إلى المال ولذلك لما قال تعالى يقبض ويبسط هذا محتاج إلى المال فقال *فيضاعفه له أضعافاً كثيرة * فأنت أنفِق حتى لا يصيبك القبض وحتى يأتيك البسط. هذا من باب تبصيره في الأمر يقول له: أنفِق حتى لا يصيبك القبض وحتى يُبسط لك فقال *فيضاعفه له أضعافاً كثيرة * لأنه يحتاج إلى المال. أما في سورة الحديد فليس فيها تهديد بالقبض أما في آية البقرة ففيها تهديد بالقبض فقال تعالى في الحديد *فيضاعفه له وله أجر كريم* .

وفي سورة البقرة قال تعالى في آية أخرى *مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *٢٦١* البقرة * في مقام التكثير فناسب التكثير التكثير في السورة .

* قال تعالى في آية سورة الحديد *وله أجر كريم* وقال في آية أخرى في نفس السورة *أجر كبير* فما الفرق بين الأجر الكريم والأجر الكبير؟

الآية التي قال فيها أجر كبير قال *آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ *٧ * ذكر أمرين الإيمان والإنفاق وهنا ذكر الإنفاق فقط *من ذا الذي يقرض الله* . ذكر الإيمان والانفاق في الأولى وهذه دائرة أوسع فلما اتسعت الدائرة إتسع الأجر فقال *أجر كبير* أي متسع. كل أجرٍ له دلالة . الأجر الكبير يحوي الكريم لكن من حيث الكمّ هو أكبر لأنه ذكر أمرين: الإيمان والانفاق، إتسعت فصار أكبر.

* ما الفرق بين خواتيم الآيتين *وإليه ترجعون*وله أجر كريم* ؟

في سورة البقرة قال تعالى *مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *٢٤٥ * وهنا قال *وله أجر كريم* . أصلاً سورة البقرة واقعة في سياق القتال والموت *أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ *٢٤٣ * بعدها قال *وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *٢٤٤* مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *٢٤٥ * الإقراض معلّق على نية تجهيز الجيوش *أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ *٢٤٦ * الآيات في الموت والقتال والموت والقتل مظنّة الرجوع إلى الله تعالى فقال *وإليه ترجعون* مناسبة للموت والقتال. أما في سورة الحديد فالكلام في الإنفاق وليس في الموت والقتال. أما في سورة البقرة فجاءت في سياق الموت والقتال *فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ* ماتوا أي رجعوا إلى الله والموت والقتل مظنة الرجوع إلى الله تعالى فقال *وإليه ترجعون* ولما كان في مقام مظنة الرجوع إلى الله قال *وإليه ترجعون* ولما كان الكلام ليس في هذا السياق في سورة الحديد قال *وله أجر كريم* .

آية *١٢* :

*يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١٢ *

* نظرة عامة على الآية :

ربنا سبحانه وتعالى ذكر المؤمنين والمؤمنات في عرصات يوم القيامة وذكر أموراً فيها. قال عنهم أنهم يسعى نورهم ولم يقل يمشي نورهم وهذا يدل على إسراعهم أو الإسراع بهم إلى الجنة لأن السعي أسرع من المشي، ليس الجريان وإنما قال يسعى نورهم أي يُسرع بهم ولم يقل يمشي لأنه يحتمل أن المشي فيه إبطاء فأراد إما إسراعهم أو الإسراع بهم يُركب بهم على محافّ كما يقال أو على مطايا خاصة تسرع بهم إلى الجنة . لاحظ لو لم يكن يُسعى بهم أو لو كان النور يسعى وهم يمشون هذا يدل على الإسراع بهم ذكر يسعى نورهم ولم يذكرهم هم لو كان النور يسعى وحده كان سبقهم وتركهم في ظلمة . المقصود بنورهم *نورهم* لأن كل مؤمن يؤتى نوراً على قدر عمله يمشي به ويسعى به إلى الجنة على قدر عمله والنور محدد *بين أيديهم وبأيمانهم* . قال يسعى لأن السعي فيه إسراع وقال يسعى نورهم ليس معناه أن النور يُسرع وهم مبطئون وإذا كان النور يسعى وهم يمشون لسبقهم وتركهم في ظلمة فلما قال يسعى نورهم دل على إسراعهم أو الإسراع بهم ولم يقل إلى أين يسعة بهم لأنه سيأتي التبشير لاحقاً.

ذكر السعي للنور لماذا لم يقل يسعون؟ لأنه لو قال يسعون احتمال هذا يفضي إلى الجهد والتعب إذا هم سعوا لأن السعي يفضي إلى التعب والجهد فقال يسعى نورهم إذن نفهم من هذا أنه يُسعى بهم هم يُركب بهم على محافّ أو مطايا يُسرع بهم فيسرع نورهم معهم. إذن هو أسند السعي إلى النور ولم يقل يسعون لأن هذا يفضي بهم إلى الجهد والتعب وأسنده إلى النور وأسند النور إليهم لأن كل واحد يعطى له نوراً خاصاً يستضيء هو به ولم يقل يسعى النور. وهذا النور بين أيديهم وبأيمانهم. *بين أيديهم* أمامهم ولو قال أمامهم يحتمل القريب والبعيد، تقول القرية أمامك وقد يكون أمامك نور بعيد لكن لا تستضيء به ولا يكون نافعاً. بين أيديهم أي قريب وهم يسعون في هذا النور وجهة السير أمامهم.

ولم يقل يسعون بنورهم لأن هذا يفضي بهم إلى تعب فكل كلمة مرسومة .

* يسعى نورهم هل فيه دلالة على أن المؤمنين يسعون؟

لا وإنما يُسعى بهم ولا يركبون عليه وإنما النور يسعى بين أيديهم أي أنهم يبصرون الطريق وهذا الطريق نور لهم ولو لم يكن هكذا لضلوا كالمنافقين الذين ذكرهم في الآية التي بعدها. *بين أيديهم* جهة السير بين أيديهم لم يقل أمامهم لأن ذلك احتمال أن يكون بعيداً فلا ينتفعون به.

بأيمانهم جمع يمين، يكون النور باليد اليمنى لأنها جهة كُتُب السعداء *فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ *١٩* الحاقة * . ونلاحظ أنه لم يقل عن أيمانهم وإنما *بأيمانهم* الباء هنا للإلصاق كأنه مصباح تحمله في يدك، وكأنهم يحملون نورهم والله أعلم بالحال يوم القيامة . لذلك ما قال عن أيمانهم وقد وردت آيات أخرى فيها *ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ *١٧* الأعراف* وإنما قال *بأيمانهم* كما قال *وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى *١٧* طه* لأنه ملتصق بأيمانهم. *عن* تستعمل للمجاوزة لما يقال جلس عن يمينه أي متراخياً عن يمينه ليس ملتصقاً أما بيمينك أي ملتصق. *وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * هو يحملها في يده.

* يسعى نورهم أسند السعي للنور فمسافة السعي بين أيديهم وبأيمانهم يُسعى بهم إلى الأمام هل هذا التركيب يُفهم منه أنه خاص بالمؤمنين والمؤمنات في حال سعيهم يوم القيامة ؟

هو يتكلم عن المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة *بشراكم اليوم* . والخطاب موجه لكل من يصلح أن يُخاطَب، *يوم ترى * لكل من يصلح أن يخاطب والرسول - صلى الله عليه وسلم - أولاً لكن كل من يصلُح أن يخاطب إما أن ينتفع بهذا الخطاب فهو مؤمن ويكون من هؤلاء والآخر فيكون حجة عليه

من باب التأكيد. لأن أحياناً يكون الخطاب قد يكون لكل من يصلح له الخطاب. *يوم ترى * والرؤية هنا في الآية بالعين.

* لماذا قال تحديداً المؤمنين والمؤمنات ولم يقل المسلمين والمسلمات؟

أولاً لأنه بعدها سيتكلم عن المنافقين والمنافقات مباشرة بعدها *يوم يقول المنافقون والمنافقات* والمنافقون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر *وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ *٨* البقرة *قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ *١٤* الحجرات* الإسلام هو الظاهر وهو بالقول وما يُرى من أفعاله الظاهرة والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. لذلك لما ذكر المنافقين والمنافقات يقابلهم المؤمنين والمؤمنات وليس المسلمين والمسلمات لأن المنافقين يقولون نحن مسلمين. *قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ* أي إلى الآن ما دخل وهو متوقع الدخول. *لمّا* معناها لم يحدث إلى الآن ولكن متوقع الحدوث. نقول لمّا يحضر أي لم يحضر إلى الآن ولكنه متوقع الحضور. *لمّا* نفي لـ *قد* لما نقول قد فعل نفيه لمّا يفعل ولما تقول فعل نفيه لم يفعل، حضر تنفيها لم يحضر وقد حضر نفيه لمّا يحضر.

* عدّد الله تعالى في آية أخرى بعض الصفات مثل القانتين والقانتات والصابرين والصابرات وغيرها وهنا اكتفى بالمؤمنين والمؤمنات تحديداً؟

هذا مقابل المنافقين والمنافقات تحديداً وهذا يسمى المقابلة .

بشراكم اليوم : البشرى ما يُبشّر به تقول أبشّرك بهذا. وأصل البشرى للمحمود فإذا قيلت في الذم تكون من باب التهكم *فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *٧* لقمان* . البشرى في الأمور الحسنة هذا في اللغة فإذا استعملتها في آخر تُخرجها عن ظاهرها من باب التهكم كما تقول لأحدهم أنت أشعر من البحتري وهو لا يُحسن أن يقول بيتاً.

* بشراكم اليوم* أي يوم القيامة . ثم حذف القول ما قال يقال لهم بشراكم اليوم *بشراكم اليوم* هذا قول يبشرون به. لم يقل يقال لهم بشراكم اليوم ولكن قال بشراكم اليوم لأنه أراد أن الأمر مُشاهَد مرئي مسموع وليس إخباراً وإنما هو مشهد أمامك تسمع وترى ولو قال يقال لهم يصير إخباراً. *يوم ترى * هذا مُشاهَد ترى وتسمع من دون إخبار فلما قال *يوم ترى * أراد أن المشهد مسموع مرئي وليس إخباراً وإنما المشهد هذا أمامك. *بشراكم اليوم* ليس إخباراً عن غائب. وقال بشراكم أي كل واحد يدخل في البشرى وما قال البشرى جنات.

* في خارج القرآن قد يقول بشراهم لكن في الآية تحول من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب فما دلالة هذا التحول؟

الآن الكلام موجه للمؤمنين وقبل كان الكلام موجه للآخرين لو قال بشراهم يكون إخباراً عن أمر غائب. *يوم ترى المؤمنين* أنت تشاهد هم أمامك لما أقول يوم ترى المؤمنين أنت جهة أخرى غيرهم وأنت تشاهدهم، المشهد أمامك والآن يتوجه الكلام للمؤمنين، *بشراكم اليوم* الكلام ليس لك وإنما أصبح خطاباً للمشاهَد وليس للمشاهِد، هذا يسمى تحولاً في الخطاب غرضه البياني أنه يجعل المشهد حاضراً أمامك وليس إخباراً عن أمور غائبة وإنما عن أمر مشاهد هذا يكلم هذا وهذا يقال له وأنت تنظر.

بشراكم اليوم جنات : ما الذي أفادته كلمة اليوم وقال في أول الآية *يوم ترى المؤمنين* ؟

يوم ترى المؤمنين غير اليوم في *بشراكم اليوم* يخاطب المؤمنين في الأولى يخبرك يوم ترى كذا وكذا، *بشراكم اليوم* هذا اليوم حاصل وهو ليس إخباراً عن أمر مستقبل والبشرى كلما كانت قريبة كانت أدعى للمسرّة . اليوم وليس بعد سنين طويلة لا، اليوم، فهذا أدعى للمسرة لأن البشرى قريبة . يسعى بهم الآن هم ذاهبين إلى الجنة *بشراكم اليوم* اليوم يعني هذا الأمر كائن في هذا اليوم.

وقال جنات ولم يقل جنة وكأنه لكل واحد أكثر من جنة *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ *٤٦* الرحمن*وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ *٦٢* الرحمن* إذن البشرى أن لكل واحد أكثر من جنة
.

تجري من تحتها الأنهار في آية واحدة فقط في القرآن قال *وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١٠٠* التوبة * . أولاً *من تحتها* أعلى من *تحتها* لأن بداية الجريان من تحتها، العيون تنبع من تحتها فيصير مشهد الجري مع مشهد بدايته من
تحتها. *تحتها* ليس بالضرورة أن يكون المنبع تحتها. لكن *من تحتها* أي بداية الجريان من تحتها يتمتع بمشهد الجري وبداية الجري.

أما لماذا قال في آية واحدة فقط *تجري تحتها* ؟ كل آية فيها *تجري من تحتها الأنهار* معهم الأنبياء، المؤمنين والمؤمنات معهم أنبياء. أما في آية سورة التوبة فليس معهم أنبياء *وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ* ليس معهم نبيّ. كل الآيات الأخرى على الإطلاق معهم الأنبياء وهذه ليس معهم الأنبياء. تجري من تحتها أي منبع الأنهار من تحتها.

* لم يقل تسعى هنا بدل تجري؟

لأن الأنهار تجري ولا يقال تسعى والجري هو الركض من الإسراع. وتحت الجنة الواحدة عدة أنهار *مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ *١٥* محمد* . ونلاحظ أنه لما قال *تجري* معناها الأنهار غير راكدة ، فيها تجدد للمياه لأن عدم الجري مظنّة الركود والأسن. إذا كان الماء لا يجري فهو مظنة الأسون. لاحظ لما لم يذكر الجري *مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ* ما قال تجري ولكن قال *من ماء غير آسن* حدّد لأنه لما لم يذكر تجري حتى يرفع مظنة الأسون والركود قال *من ماء غير آسن* آسن أي متغيّر متعفن من عدم الجريان. لما يقول تجري لا يقول غير آسن ولما لا يقول تجري يقول غير آسن. الأنهار غير الآسنة تضاهي تجري من تحتها الأنهار من حيث التعبير البياني.

* مرة يذكر في القرآن *خالدين فيها أبداً* ومرة *خالدين فيها* لماذا؟ وما نعنى أبداً

أبداً أي ليس له نهاية . وخالدين الخلود عام وأحياناً العرب تقول خالدين لا يعنون فيها الأبد وإنما محدودة بفترة طويلة *ما دامت السماوات والأرض* . الأبد يعني بلا انقطاع لا ينتهي. وقد أثير هذا السؤال سابقاً وأجبنا عنه مطولاً وذكرنا جملة أمثلة من القرآن الكريم. إذا كان من باب تعظيم
الأجور والكلام الطويل في وصفها يقول أبداً إذا كان تفصيل في الجنات ونعيمها يذكر أبداً وإذا كان إيجازاً لا يذكر أبداً.

* بالرغم من أن المؤمنين والمؤمنات مذكورين لم يقل خالدين لماذا؟

لأنه لم يذكر نعيم الجنة وليس فيها تفصيل، ما ذكر شيئاً من النعيم وما فصّل في الجنة .

* ختم الله تعالى هذه الآية بقوله *ذلك هو الفوز العظيم* وفي آية أخرى يقول *ذلك الفوز العظيم* فما دلالة الاختلاف؟

هو عرّف الفوز وجاء بضمير الفصل *هو*وضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر أي اسم أن وخبرها واسم كان وخبرها بين المفعولين حتى يفصل بين الخبر والنعت أو الصفة * ، هذا هو ضمير الفصل وفائدته التوكيد والحصر. فلما قال *ذلك هو الفوز العظيم* يعني ليس هناك فوز آخر وما عداه هو الخسران. ما قال ذلك فوز عظيم لأن معناه قد يكون هناك فوز آخر محتمل. هذا ربح وليس معناه أنه ليس هناك ربح آخر، هذا نجاح وليس معناه أنه ليس هناك نجاح آخر. فلما قال *ذلك هو الفوز العظيم* تحديداً أي ليس هناك فوز آخر وما عداه خسران. وجاء بـ *هو* زيادة في التوكيد والحصر. ويقول في آيات أخرى *ذلك الفوز العظيم* هذه فيها حصر وأحياناً تأتي بؤكد واحد أو مؤكدين تكون أقوى . في نفس السؤال نضرب مثلاً في قوله تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *١٠* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *١١* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١٢* الصف* ما قال *هو* ، قال *تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله* ، ثم ذكر يغفر لكم ذنوبكم ويدخلهم جنات، طلب منهم الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات.

وقال تعالى في آية أخرى *إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *١١١* التوبة * في الآية الأولى قال تؤمنون بالله، يعني طلب منهم الإيمان بالله والاستمرار عليه وهنا قال اشترى من المؤمنين فوصفهم بالإيمان. هناك طلب منهم أن يجاهدوا في سبيل الله *تجاهدون في سبيل الله* عندهم الأموال والأنفس يجاهدون فيها لكن في الثانية باع واشترى ولم يبقى عندهم مال ولا أنفس *فاستبشروا ببيعكم* .هناك جهاد وهنا يقاتلون والجهاد ليس بالضرورة من القتال فالدعوة جهاد *وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا *٥٢* الفرقان* أما القتال حرب *فيقتلون ويُقتلون* وهذا أقوى الجهاد. أي تضحية أكبر من أن يدفع الواحد نفسه فلا يبقى عنده مال ولا نفس؟ هذه أكبر ولذلك في الآية الأولى قال *ويدخلكم جنات* لما أدخلهم جنات هل بالضرورة أنها صارت مُلكهم؟ في الثانية قال *بأن لهم الجنة * كأنهم اشتروا الجنة فصارت تمليكاً لهم كأن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة ، هذا تمليك أما في الآية الأولى فليس فيها تمليك فالإدخال ليس بالضرورة أن يكون تمليكاً، الثانية بيع وشراء هذا هو الفوز الأعظم ولذلك قال فيها *ذلك هو الفوز العظيم* .

في آية الحديد ما ذكر شيئاً من البيع والشراء لأن الفوز قد يكون في أمور أخرى. *والسابقون الأولون* ليس كلها على نمط واحد لكن هو شيء أعظم من شيء. لو رجعنا إلى الآية *والسابقون الأولون الفوز العظيم* وفي آية أخرى في سورة التوبة *وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *٧٢ * أولاً ما قال مساكن طيبة في جنات عدن وقال ورضوان من الله أكبر ورضوان من الله أكبر من الجنات. الرضوان هو الرضى *الرضوان مصدر* ولم يستعمل في القرآن كلمة الرضوان إلا رضى من الله تعالى أما المرضاة فتأتي من الله ومن غيره والرضوان هو أعظم الرضى وأكبره فخصّه بالله سبحانه وتعالى أما مرضاة فليست مختصة بالله تعالى وإنما تأتي لله تعالى ولغيره *وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ *٢٠٧* البقرة *تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ *١* التحريم* أما الرضوان فهو لله تعالى فقط، خاص بالله تعالى. والرضوان أعلى من الجنة وفي الأثر أنكم

لتحتاجون إلى علمائكم في الجنة كما تحتاجون إليهم في الدنيا، فقالوا كيف يا رسول الله؟ قال يطّلّ الله تعالى على عباده أصحاب الجنة فيقول سلوني، فيحارون ماذا يسألونه وكل شيء موجود فينظر بعضهم إلى بعض فيذهبون إلى علمائهم يقولون ما نسأل ربنا؟ فيقول العلماء سلوه الرضى. ولذلك قال *ورضوان من الله أكبر* ولما ذكرها قال *ذلك هو الفوز العظيم* فخي حسب السياق الذي يأتي. هنا في الآية بشرى ونور والله تعالى في آية سمى البشرى فوزاً *لهم البشرى في الحياة الدنيا* . وفي هذه الآية نور وبشرى وما إلى ذلك فهو فوز عظيم.

ة *١٣ - ١٤* :

*يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ
الْعَذَابُ *١٣* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ *١٤* .

* نظرة عامة على الآية :

بعد أن ذكر المؤمنين والمؤمنات ذكر المنافقين والمنافقات بمقابل المؤمنين والمؤمنات حتى يدل على أن كل فرد من الجنسين الذكور والإناث ينال جزاءه للا يشفع لأحد ما قرابة وما تغني المؤمنة عن قريبها المنافق أو قريبتها المنافقة كما أن المؤمن لا يغني عن قريبه ولا عن زوجه وإنما كل واحد بنفسه ولا تقول المنافقة كنت تابعة لزوجي أو لأخي وإنما كل واحد ينال جزاءه. المنافقون والمنافقات مقابل المؤمنين والمؤمنات يقولون للمؤمنين *انظرونا نقتبس من نوركم* يمعنى انتظرونا ولم يقولوا انتظرونا لأن الانتظار فيه تمهل وإبطاء أما الإنظار فليس فيه ذلك ولا يشترط فيه ذلك. انتظر على وزن *افتعل* وفيها تمهّل مثل اصبر واصطبر وكسب واكتسب وجهد واجتهد. اصطبر هو صبر طويل شديد، *وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا *١٠* المزمل*وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا *١٣٢* طه* لأن الصلاة هي كل يوم خمس مرات كل يوم ولا تنقطع طوال العمر. أما اصبر على ما يقولون واهجرهم لا يحتاج لصبر لكن قال *واصطبر عليها* لأن الصلاة تحتاج لصبر طويل ودائم. صيغة افتعل فيها تمهّل ومدّة واجتهاد وإبطاء. مثل كسب واكتسب *لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ *٢٨٦* البقرة * الإكتساب فيها تعمّل واجتهاد وليست اكتسب عامة أنها في الشر. الكسب يكون في الخير والشر لأن الكسب أسرع والاكتساب فيه تعمّل واجتهاد وكسب حتى يكتسب والسيئات تحتاج إلى مشقة أما الخير فقد يأتيك وأنت لا تعلم، يغتابك أحد وتكسب أنت خيراً وهو يكتسب شراً.

لم يقل انتظرونا لأن الانتظار فيه تمهل وإبطاء وهؤلاء يُسرع بهم ولو قالوا انتظرونا ليس هناك مجال أن يجيبوهم، انظرونا ولو قليل، هم يُسرع بهم الآن إلى الجنة فلا ينتظرون، هم يعلمون أنه لو قالوا انتظرونا لم يجيبوهم لأنه ليس هناك فسحة للوقت فهم طلبوا أقل الوقت.

المنافقون والمنافقات في صدر الآية حتى لا يشفع أحدهم للآخر لا تقول المنافقة هذا زوجي يملك أمري كان منافقاً فماذا أفعل؟ لا يشفع هذا لها وينبغي أن تستقل بالعقيدة استقلالاً. فيها إفراد لتتحمل المسؤولية لا يغني عنك هذا. في العقيدة ليس هناك طاعة "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" التغليب يدل على العموم والشمول وأحياناً يراد به التفصيل.

انظرونا نقتبس تحتمل انظروا لنا، هي فيها احتمالين انظروا إلينا نقتبس من نوركم. *أَنظَره بمعنى أمهله*قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *١٤* الأعراف* هذا فعل رباعي انظرني من الفعل

الرباعي، انظر مضارعه يُنظِر وكل رباعي مضموم حرف المضارعة . هنا أُنظرونا من نظر ينظر. انظرونا لها معنيين: على الإمهال *أنظرني في الدِيْن* أي أمهلني وانظرونا بالعين. نظر فعل متعدٍ بذاته *فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا *١٩* الكهف* .

ذكرنا المنافقين والمنافقات وذكرنا أنه فصّل وذكرهم ليدل على أن كل فرد من الجنسين ينال جزاؤه ولا يشفع لأحدهم قرابة فلا تقول المنافقة كنت تابعة لزوجي أو أخي. وذكرنا أن الانتظار فيه تمهل وإبطاء وقلنا أن نظر أسرع من انتظر لأن انتظر فيها تمهل وإبطاء على وزن *افتعل* وضربنا أمثلة في حينها والمؤمنون يُسرع بهم إلى الجنة فلا يوجد وقت للانتظار والمنافقون يعلمون هذا ولو قالوا لهم انتظرونا لم يجيبوهم ولم يأبهوا لهم لأنهم يُسرع بهم إلى الجنة فطلبوا مدة قليلة أن ينتظروهم ولو كان في الأمر متسع في الوقت كما قال تعالى في الدنيا *فانتظروا إني معكم من المنتظرين* لكن الظرف لا يسمح بالانتظار والتمهل الكثير. قال انظرونا وهي ليست مثل انتظرونا من حيث دلالتها على الزمن. إبليس قال *أنظِرني إلى يوم يبعثون* أي أمهلني وهذا معنى مختلف. أَنظِرني أي أمهلني أما انظرونا بمعنى انتظرونا وهنا لم ترد أَنظرونا من أنظر الفعل الرباعي كما قال إبليس وإنما انظرونا من الفعل الثلاثي نظر ينظر وليس من أنظر. أُنظرونا في اللغة تحتمل أمرين: أنه انظروا إلينا وبمعنى انتظرونا وذكرنا هذا سابقاً. انظرونا أي استقبلونا بوجوهكم حتى نرى لأن لديهم نوراً في أيديهم حتى يستضيئوا به، قال انظرونا. إذن تحتمل معنيين يحتمل الانتظار ولو كان قليلاً ليستضيئوا بهم ويحتمل انظروا إلينا ليمشوا في نورهم.

نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ* أي نُصِب من نوركم وليس بمعنى نأخذ لأن القبس يستعمل في النار وهو الشعلة من النار. القبس ويقال اقتبس من علمه لكن في الأصل هو الشعلة من النار *بشهاب قبس* لكن فرق بين نأخذ ونقتبس فالقبس أن تأتي بعود وتضعه في النار فيشتعل فتأخذه أما الأخذ فهو أن تلتقط من النار لذا قال تعالى *نقتبس* ولم يقل نأخذ لأن الاقتباس لا يُنقِص من المقتَبَس أما الأخذ فقد ينقص منه لذلك قال تعالى *نقتبس من نوركم* أي أن نوركم باقٍ لكن دعونا نقتبس منه ولا نأخذ منه ولو قال نأخذ منه حتماً سيردّوهم. ولذلك قال نقتبس لأنه لن يؤثر على نورهم والنور كبير عندهم. أما لو قال نأخذ قطعاً يعرفون أن المؤمنين لن يوافقوا على هذا الطلب.

قال *نقتبس* ولم يقل نقبس لأن الاقتباس أعظم من القبس *اقتبس على وزن افتعل* أكثر. هذا يدل على عِظَم نور المؤمنين فهو ليس قليلاً مهما أُخِذ منه فهو كثير فقالوا نقتبس من نوركم وهذا يدل على عظم النور الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين. فقالوا نقتبس، رأوا نوراً عظيماً عند المؤمنين فقالوا *نقتبس* . هذا يشير للسامع العربي إلى النور العظيم الذي أعطاهم إياه الله تعالى حتى يقول المنافقون نقتبس منه وهذا معناه أنه نور عظيم وهذا يدل على إكرام المؤمنين، هذا النور لا ينقص بالاقتباس وهو كثير. هذا ليس من قبيل زيادة المبنى تدل على زيادة لمعنى هو في الغالب هذا صحيح لكن في بعض الأحيان قد يكون البناء الأقل أبلغ من البناء الأكثر مثلاً من صيغ المبالغة *حذِر* وحاذِر اسم فاعل لكن حذِر أبلغ من حاذر مع أن حذر بناؤها أقل. فهذه ليست قاعدة مضطردة .

نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ لم يقل من النور الذي معكم. وقال *يسعى نورهم* إذن هو نورهم هم، ملكهم، ليس من النور الذي معكم وإنما لكل واحد منهم نور.

* هل في هذا دلالة على التملك؟

هو دلالة على شبه التمليك فهو أي النور لا يملّك.

ما قالوا انظرونا نقتبس من هذا النور لأن من نوركم أكبر ونور المؤمنين أكرم فكل واحد له نور عظيم وليس نوراً عادياً بحيث يمشون فيه وإنما لكل واحد نور خاص يمشي به.

قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا : لاحظ الآية تقول *يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا* إذن هم يخاطبون الذين آمنوا، *قيل* فعل مبني للمجهول ولم يقل قالوا لأنه من الذي قال؟ الملائكة لأن المؤمنين مشغولون بما هو أعظم وأهمّ وأدعى للاهتمام لذلك قال *قيل ارجعوا* الملائكة هم الذين قالوا لأن هذا ليس كلام المؤمنين وإنما هم يُسعى بهم إلى الجنة فليس عندهم وقت للوقوف والكلام.

قيل ارجعوا وراءكم إرجعوا فيها دلالة الوراء فما دلالة وراءكم؟

هذه فيها أكثر من أمر في اللغة : إما أن يكون ظرفاً مؤكِّداً *وراءكم* ونحن عندنا ظرف مؤكد وظرف مؤسس كما عندنا حال مؤكد وحال مؤسس ونعت مؤكد ونعت مؤسس. المؤسس هو الذي يؤسس معنى جديداً غير موجود في الجملة مثل: أقبل أخوك مسرعاً، رأيت أخاك نائماً، نائماً ليست من رأيت أخاك وليس لها علاقة برأيت أخاك هذه يسمونها حال مؤسسة . أما قوله تعالى *ولّى مدبراً* حال مؤكدة . عندنا ظرف مؤسس وظرف مؤكد، ظرف مؤسس أكثر مثال على الظروف تقول: جاء يوم الجمعة لأن المجيء يمكن أن يكون في أيام أخرى ، جلس بين الأشجار *مؤسس* لكن جلست زمناً لا بد أن يكون له زمن، تكلّم حيناً هذا يسمى ظرف مؤكد. *وراءكم* ظرف مؤكد لـ *ارجعوا* . والدلالة التي يزيدها التوكيد هنا لأن التأكيد مطلوب في اللغة كما قال تعالى *فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ *٢٦* النحل* السقف معروف أنه فوق وكذلك قوله تعالى *وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ *٣٨* الأنعام* معروف أن الطائر يطير بجناحيه فالتوكيد موجود في اللغة وغرضه البياني زيادة في التوكيد والاهتمام. وقد يكون *وراءكم* اسم فعل بمعنى ارجع فيكون فيها تأكيدين: اسم الفعل وتأكيد بالفعل. *إرجعوا وراءكم* فيها إهانة أشد للكافرين. ثم *وراءكم* ليس بالضرورة أن تكون مؤكدة . لما تقول إرجع قد ترجع في مكانك بظهرك من غير إستدارة لكن لما تقول إرجع وراءك فلا بد أن تستدير وترجع للمكان الآخر فهناك فرق بين ارجع أي أفسح المجال أو وسّع أما ارجع وراءك فهو أمر آخر وهو أن يذهب للخلف يستدير ويرجع فهذا كالطرد. *قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا* ، قيل ارجعوا قلنا أن المؤمنين لم يقولوا هذا الكلام وإنما الملائكة قالتها لأن المؤمنين مشغولون بما هو أهمّ.

لم يقل هناك نور وإنما قال *فالتمسوا نورا* أي اطلبوا منهم نوراً، لم يقل هناك نور موجود وإنما قال إلتمسوا نوراً.

فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ* حُجِز بينهم ولم يقل بينهما مع أنهما فريقان كما قال في آية أخرى *فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ *٤٥* النمل* أي بين الأفراد أجمعين لأنه قال بالجمع منافقين ومنافقات وعندنا مؤمنين ومؤمنات فضرب بينهم على الجمع أي حُجِز بينهم بسور. ضرب في اللغة لما تأتي بالباء *ضرب بينهم بسور* أي ليس ضرباً بالعصى وإنما حُجِز بينهم ويسمى هذا تضمين يعني يضمّن الفعل معنى آخر. أصل الفعل يتعدى بحرف جر ثم يأتي بفعل آخر لا يتعدى بهذا الحرف وتعدّيه بهذا الحرف الجر فيعطي معنى آخر، مثلاً: نصرناهم من الذين كفروا، فعل نصر لا يتعدى بـ *من* وإنما فعل نجّى يتعدى بـ *من* فلما قال نصرناهم من ضمّن معنى نجّى واكتسب معنى النجاة ومعنى النصر. هذا يسمى في اللغة التضمين يكتسب معنيين المعنى الأصلي المذكور ومعنى ذلك الفعل الذي أشار إليه بحرف الجر.

ضرب بينهم بسور* أي حجز بينهم. السور هو ما أحاط بالشيء لكنه قال *له باب* حتى لا يُظنّ أن المؤمنين محتجزون فيه. لو لم يكن له باب يحتمل أنهم محتجزون. المؤمنون والمنافقون حُجِ. بينهم بسور هذا السور له باب يدخل منه المؤمنون ينفذون منه إلى مرادهم إلى الجنة والمنافقيون لا يستطيعون أن ينفذوا منه. فالسور يحجز بينهم بحيث هذا الباب يفضي بالمؤمنين إلى الجنة والمنافقون خارج السور والمؤمنون داخله فهمنا هذا من قوله تعالى *باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب* داخله فيه الرحمة وهي الجهة التي فيها المؤمنون وظاهره من قِبَلِه العذاب جهة المنافقين. لم يقل بينهم سور وسكت وإنما من جهة المؤمنون السور له باب يسعون به في طريقهم إلى الجنة والمنافقون لا يمكن لهم الدخول لأن الباب ليس من جهتهم وإنما من باطنه أي جهة المؤمنين. ولاحظ أنه قال عن السور *باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب* أي أن ظاهره يختلف عن باطنه كما أن المنافقين ظاهرهم يختلف عن باطنهم فهي لمسة فنية دقيقة جداً. فكما أن المنافقين يخالف باطنهم ظاهرهم كذلك السور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. ولم يقل باطنه فيه الرحمة وظاهره فيه العذاب لأنهم خارجه.

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قبلها قال تعالى *يوم يقول المنافقون والمنافقات* باستعمال الفعل *يقول* والآن *ينادونهم* نادى أي رفع الصوت، مدّ الصوت، مدّ النداء والقول عام حتى في النفس كما في قوله تعالى *وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ *٨* المجادلة * . هم كانوا قريبين منهم في البداية لكن مع السور صار كل واحد في جهة ويحتاجون لرفع الصوت *ينادونهم* أي يرفعون أصواتهم لأن القول حتى لو تكلم أحدهم بأخفض الأصوات هو القول حتى في النفس. الآن صار بينهم حاجز ويحتاجون لرفع الصوت *ينادونهم* .

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ لم يقولوا ألم نكن منكم؟

هم لم يكونوا منهم ولو قالوا ألم نكن منكم لقال المؤمنون كلا. ألم نكن منكم أي مؤمنين، ألم نكن معكم صحيح أنتم معنا تُظهرون الإيمان، فالمعيّة لا تعني بالضرورة أن يكونوا منهم، نعم هم موجودون معهم في نفس المكان أو المدينة لكنهم ليسوا منهم. *معكم* ظرف و *من* حرف جر وكل واحدة لها دلالة . قالوا بلى أنتم معنا ولكن ليسوا منهم *قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ* .

* هنا قال تعالى *قالوا بلى * وفي الآيات السابقة قال *قيل ارجعوا وراءكم* ؟

لو قال :قيل بلى الكلام ليس حكماً لأنهم يكلمون المؤمنين ولو قيل بلى كيف يكون حكماً على الآخر؟ أنا أسألك أنت وغيرك يجيب عنك كيف تكون أجبت أنت؟ هذا سؤال، أما *انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا* هذا طلب يحتمل أن يرد الآخر عني أما في السؤال فلا يجب أن يجيب عنك أحد. *ألم نكن معكم* من يقول هذا الكلام صحيح؟ أنت المسؤول تجيب فقال *قالوا بلى * لا يمكن أن تكون هنا *قيل بلى * لأنه احتمال أن يجيب غيرهم أن يكون معهم أو لا. لو قال واحد بلى يقال أنا لا أسألك أنت ولكن أسألهم لأنني كنت معهم.

وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ هل هذا الترتيب مقصود هنا؟

هو قطعاً مقصود لأنه مرتب ترتيباً منطقياً. أولاً نعرف ما هو معنى *فتنتم أنفسكم* ؟. فتن أشرنا إلى معناها في الحلقة السابقة ، *فتنتم أنفسكم* معناه الاختبار وقد يكون التعذيب *وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ *١٩١* البقرة * والفتنة إدخال الناس في النار *يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ *١٣* الذاريات*

وكل هذه المعاني مطلوبة هنا. أنتم فتنتم أنفسكم أي وضعتم أنفسكم في الاختبار وتقولون لهؤلاء نحن معكم ولهؤلاء نحن معكم وكل فريق سوف يختبركم إذن هم وضعوا أنفسهم في فتنة الاختبار. ثم هذا الاختبار طال *تربصتم وارتبتم* فصار هناك تعذيب نفسي هي ليست لحظة وإنما عمر، والتعذيب في الدنيا والآخرة . التربص هنا هو الانتظار والنار مأواهم. تربصتم أي تنتظرون النتيجة لكل واحد يتربصون بالفريقين، *الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ *١٤١* النساء* ثم يتربصون بالفريقين وينتظرون ماذا سيكون؟ أي فريق الذي فيه نفع لهم؟ يقولون نحن معكم، هذا فيه تربص ثم لما دخلتهم الريبة من سيفوز؟ الريبة بمعنى الشك. والشك يختلف عن الريبة لأن الريبة حتى يقال هذا الحيوان لا يريبه شيء أي لا يزعجه شيء فالريبة أعمّ *ذلك الكتاب لا ريب فيه* .

ما قال ارتبتم في شيء لأن الحياة عامة ليست في شيء محدد وهذا عمر والأمر طال. ارتبتم حتى تربصتم ولم يذكر شيئاً والفريقان ينتظرون من سيفوز؟ طال الأمر وينتظرون من سيفوز هؤلاء أم هؤلاء؟ دخلتهم الريبة لأنه طال الانتظار. ولما طال الانتظار دخلتهم الريبة ولما دخلتهم الريبة بقيت الأمنيات. لما لم يحدث شيء بقيت الأمنيات. ثم دخل الشيطان فقال *وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ* فهي مرتبة ترتيباً منطقياً أحدها يفضي إلى الآخر. هم ظلموا أنفسهم وأظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ثم طال التربص ودخلتهم الريبة والشكوك ثم طالت المسألة ثم دخل الشيطان حتى جاء أمر الله ورحلوا عن الدنيا منافقين مغرورين من الشيطان *وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ* .

في صدر الآية قال *انظرونا نقتبس من نوركم* هو الآن مشهد ذكر أن المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم *بشراكم اليوم جنات* هذا الآن يُسرع بهم إلى الجنة أما المنافقين فليس عندهم غير أن يطلبوا النور حتى يمشون لكن النور انقطع فقالوا أعطونا النور قيل ارجعوا وراءكم ثم صار تدرجاً، صار سور، *ألم نكن معكم* بدأ الحوار.

آية *١٥* :

*فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *١٥ *

الكلام لا يزال في يوم القيامة . ذكر الفدية لأن الخطاب موجه إلى المؤمنين والمنافقين إما من الله تعالى أو من الموكلين بهذا القول. *فاليوم لا يؤخذ منكم فدية * أولاً ذكر الفدية لأنه تكرر في السورة ذكر الإنفاق والقرض الحسن فذكر فدية ويبدو أن الفدية هنا هي المال لأنه قال *لا يؤخذ منكم* وما قال لا يقبل منكم لأن الفدية في اللغة والقرآن ليست مختصة بالأموال فقد ورد في القرآن *فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ *١٩٦* البقرة * . الفدية يفدي بها نفسه يدفع فدية . ذكر ربنا في الدنيا في الحج *فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ* والآن قال لا يؤخذ منكم فدية وما قال لا يقبل منكم فيبدو أنها مال. كان يمكن أن نفقوا في الدنيا ويفدوا أنفسهم في الدنيا أما اليوم فلا يؤخذ منهم فدية وليس منهم فقط ولكن من الكفار أيضاً وليس جميع الكفار منافقين حتى تكون عامة . هل يخرج من غير المنافقين؟ قال لا منكم ولا من غيركم، لا منكم ولا من الذين كفروا فالخطاب للجميع.

مأواكم النار الكلام الآن بالذات مع المنافقين النار مولاكم عامة ومأواكم النار المأوى هو دار الإقامة أو الملجأ المكان الذي تأوون إليه أو الملجأ، والمولى هي التي تتولى أمركم، النار تتولى أمرهم. ذكر أمرين: يأتيهم الشر من جهتين من المأوى والمولى فقد يكون المأوى سيئاً لكن المولى حسن وقد يكون العكس أنا هؤلاء فالنار مأواهم ومولاهم. يحتمل أن يكون المولى من الوليّ أي

القرب *أولى لك فأولى * أي مكانكم عن قرب والمعنيان مرادان فهي تتولى أمرهم وهي مكانهم عن قرب ولم يرد في جهنم *هي مولاكم* إلا في هذا الموطن وذلك لسببين:

١ - السبب الأول أنه ذكر في الآية أن المنافقين تربصوا وغرتهم الأماني حتى الموت فبعد طول الأمل والتربص الطويل كانت النار أقرب إليهم فهم كانوا يستبعجونها وهي أقرب وأدنى من آمالهم.

٢ - والسبب الآخر أن كل الآيات التي ورد فيها *وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *١٦٢* آل عمران* ونحوها إنما قيلت وهم في الدنيا والدنيا لا تزال غير منقضية وأما هذا القول فإنه قيل وهم في الآخرة وقد ضرب السور بينهم وبين المؤمنين وأتاهم العذاب من قبله فالنار قريبة منهم فقال *هي مولاكم* .

وبئس المصير هذه أنسب خاتمة لهم فقد كانوا في ترقبهم وأمانيهم ينتظرون المصير السن والمستقبل المشرق فكانت لهم الظلمة والمصير الأسوأ.

* إن هذه الآيات يتجلى فيها إكرام المؤمنين وإبعاد النصب عنهم بخلاف المنافقين فإنها يتجلى فيها إرهاقهم وإهانتهم والتهكم بهم فقد قال في المؤمنين: *هذا الجزء منقول من كتاب الدكتور فاضل السامرائي على طريق التفسير البياني الجزء الأول من صفحة ٢٦٢ إلى صفحة ٢٦٦ للفائدة *

١ - *يسعى نورهم* : ولم يقل *يمشي نورهم* للدلالة على الإسراع بهم إلى الجنة ، وهذا إكرام فإن الإبطاء إلى السعادة ليس كالإسراع إليها، وفي الإسراع ما فيه من الإكرام.

٢ - أنه تعالى أسند السعي إلى النور ولم يسنده إليهم فلم يقل *يسعون* لأن السعي قد يجهدهم، فأسنده إلى النور فدل على أنه يسعى بهم، فهو لم يقل إنهم يمشون، لأن المشي قد يكون فيه إبطاء، ولم يقل يسعون، لأن سعيهم قد يكون فيه إجهاد، ولكنه أفاد السعي من ذكر سعي النور.

٣ - قال *يسعى نورهم* ، فذكر الفاعل ولم يقل *يُسعى بهم* بالبناء للمجهول وحذف الفاعل فلا يُدرى أيسعون في ظلمة أم في نور، فذكر أن لهم نورا يسعى .

٤ - أضاف النور إليهم، وهذا فيه أمران: الأول الدلالة على أن هذا النور إنما هو نور المؤمن، وهو يدل على قدر عمله. فهو إهابة بالمؤمن ليعظم نوره ويكثره. ومن ناحية أخرى لم يقل *يسعى النور* فيجعله عاما يستضيء به المنافقون، فجعل لكل مؤمن نوره الذي يستضيء به فلا يشاركه فيه غيره، وهذا إكرام للمؤمنين وحسرة على المنافقين.

٥ - قال *بين أيديهم* ومعنى *بين أيديهم* أمامهم، غير أنه لم يقل *أمامهم* لأن الأمام قد يكون بعيدا عن الشخص، فقد تسأل عن قرية فيقال: هي أمامك، وقد يكون النور أمامك و لا تتمكن من الاستضاءة به لبعده فقال *بين أيديهم* .

٦ - وقال *وبأيمانهم* ولم يقل *عن أيمانهم* لأن معنى بأيمانهم أنه ملتصق بالأيمان وليس مبتعدا عنها كما قال تعالى : "وما تلك بيمينك يا موسى ١٧" طه، ولو قال *عن أيمانهم* لدل أنه متراخٍ عن أيمانهم أو منحرف عنها لأن *عن* تفيد المجاوزة ، والباء تفيد الإلصاق.

٧ - قال *بشراكم* ، ولم يقل *يقال لهم بشراكم* لأنه أراد ن يجعل المشهد حاضرا ليس غائبا، يُسمع فيه التبشير ولا يُنقل.

٨ - وأضاف البشرى إلى ضمير المخاطبين لتنال البشرى كل واحد، ولم يقل *البشرى جنات* وهو إكرام آخر.

٩ ـ وقال *اليوم* للدلالة على قرب البشرى ، وأنها ليست من الوعد البعيد الوقوع، والبشرى كلما كانت أقرب كانت أحب وأدعى إلى المسرة .

١٠ ـ وقال *جنات* ولم يقل *جنة * للدلالة على أن لكل منهم جنة أو أكثر كما قال تعالى : "ولمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى" النازعات.

١١ ـ قال: "تجري من تحتها الأنهار" ولم يقل *فيها أنهار* وذلك للدلالة على أنها جارية وليست راكدة ، والركود مظنة الأسون، هذا إضافة إلى التمتع بمشهد الجري، ولذلك عندما لم يذكر الجري في قوله: "فيها أنهار من ماء ١٥" محمد. قال *غير آسن* لينفي عنها صفة الأسون، ولما ذكر الجري لم يذكر ذلك لأنه لا حاجة إليه.

١٢ ـ وقال *الأنهار* ولم يقل *نهر* للدلالة على كثرة الأنهار.

١٣ ـ قال *خالدين* وهي بشرى أخرى ، وقال *فيها* للدلالة على أن الخلود في الجنات وليست الجنة مرحلة أو مكانا ينتقلون منه إلى ما هو أقل سعادة .

١٤ ـ قال *ذلك هو الفوز العظيم* ولم يقل *ذلك فوز عظيم* وإنما عرف الفوز بأل للدلالة على القصر وعلى أنه لا فوز أعظم منه، ثم جاء بضمير الفصل للزيادة في التوكيد.

ثم إن الأمر يعظم ويكبر بعظم قائله فإن الفوز الذي يذكره طفل أو رجل من ضعفة الناس يختلف عن الفوز الذي يذكره قائد أو ملك. فكيف وقد ذكره ملك الملوك ووصفه بالعظمة وقصره وأكده؟

١٥ ـ ذكر أن المنافقين يقولون *انظرونا* ولم يقولوا *انتظرونا* فإنهم يدركون أنهم لا يسعهم الانتظار، وإنما طلبوا منهم مهلة قصيرة لينظروهم أي ينتظروهم. وفي هذا دلالة على الإسراع بهم إلى الخير والسعادة ، فإن الذي يسرع به إلى الخير والسعادة أكرم من الذي يبطأ به.

١٦ ـ ثم قال *نقتبس* ولم يقل *نقبس* والاقتباس أكثر من القبس، وذلك يدل على عظم النور الذي عندهم.

١٧ ـ قال *من نوركم* ولم يقل *من النور* وهذا تكريم آخر فإن النور نورهم.

١٨ ـ قال *قيل ارجعوا* ولم يقل *قالوا* لأنه أراد ألا ينشغلوا بما لا فائدة فيه من الكلام فتكلم الملائكة أو غيرهم بالنيابة عنهم ولم يشغلوهم بالكلام عما هو أهم، ولم يرهقوهم بكثرة القيل.

١٩ ـ قال *فضرب بينهم بسور* فحجزوهم عن أولئك السائلين المنافقين.

٢٠ ـ ثم قال *له باب* للدلالة على أنهم غير محتجزين فيه، وإنما ينفذون منه إلى مرادهم.

٢١ ـ ثم قال *باطنه فيه الرحمة * وهو تكريم آخر وكيف لا وهم في رحمة الله؟

* أما دلالتها على إهانة المنافقين وإرهاقهم فهو أوضح ما يكون:

١ـ فقد ذكر أن المنافقين والمنافقات يطلبون من المؤمنين أن ينظروهم للاقتباس من نورهم، وهذا يدل على أنهم في ظلمة ، وقد قيل إنهم أعطي لهم نور ثم انطفأ من باب إهانتهم وخديعتهم والاستهزاء بهم كما كانوا يخادعون ويستهزئون في الدنيا. قال تعالى : "إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم" النساء ١٤٢

جاء في تفسير ابن كثير: "ويقول المنافقون للذين آمنوا" انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا "وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال" يخادعون الله وهو خادعهم "فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب"

٢ ـ وقال *قيل ارجعوا* ولم يذكر أن المؤمنين ردوا عليهم، فبنى الفعل لمجهول، وقيل إن القائل هم الملائكة ، فهم الذين تولوا الرد عليهم، أما المؤمنون فلا يعنيهم هذا الطلب وإنما هم مشغولون بما هو أهم، وهذا إهانة للمنافقين أن يطلبوا من المؤمنين فلا يجيبوهم وإنما يجيبهم آخرون.

٣ ـ وقال *ارجعوا* وهو إهانة أخرى.

٤ ـ وقال *وراءكم* وهو إما أن يكون ظرفاً مؤكداً أو يكون اسم فعل بمعنى *ارجعوا* فيكون كأنه قيل لهم: ارجعوا ارجعوا، وهو إهانة ظاهرة .

٥ ـ قال *فالتمسوا نورا* وهم يعلمون أن ليس ثمة نور، وهو من باب الاستهزاء بهم.

٦ ـ وقال *فضرب بينهم بسور له باب* فحجزوهم عن اللحاق بالمؤمنين وهو إهانة ظاهرة .

٧ ـ وقال *وظاهره من قبله العذاب* وهي جهتهم.

٨ ـ وقال *ينادونهم ألم نكن معكم* فذكر أنهم يرفعون أصواتهم من وراء السور ينادون المؤمنين ليلتحقوا بهم، ولكن حيل بينهم وبين ما يريدون.

٩ ـ وفي رد المؤمنين عليهم إهانات متعددة ، فقولهم لهم: إنكم فتنتم أنفسكم، وتربصتم، وارتبتم، وغرتكم الأماني، وغركم بالله الغرور، كل خصلة منهن إهانة وتبكيت.

١٠ ـ قوله تعالى: "فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا" و "مأواكم النار" "هي مولاكم" "وبئس المصير" كله إهانات وإخبار لهم بما سيلاقونه من سوء العاقبة والمنقلب، نعوذ بالله.

فالأشياء محشودة حشداً فنياً دقيقاً في إكرام المؤمنين وإهانة المنافقين.

آية *١٦* :

*أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ *١٦ *

* نظرة عامة على الآية :

قال تعالى *أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* ألم يأن يعني ألم يحِن؟ الفعل يأن ماضيه أنى يأني، أنى يعني حان ونضج. ألم يأن معناه ألم يحِن لهذه القلوب أن تخشع لذكر الله؟ لما تقول حان الشيء أي هذا وقته ووجب. ألم يأن أي إلى الآن لم يحِن هذا الأمر وقد جاءت الآيات والبينات؟ *ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم* نلاحظ أنه أسند الخشوع إلى القلب والخشوع هو أمر مشترك بين القلب والجوارح في الحديث "لو خشع قلبه لخشعت جوارحه" وفي القرآن قال تعالى *خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ *٤٣* القلم*أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ *٩* النازعات* وقال *وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ *٢* الغاشية * ويقال صوت خاشع والرجل يوصف بالخشوع *وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ

عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ *٤٥* الشورى*. الخشوع هو الخضوع والخشية والتذلل. فخشوع القلب أي خضوعه وتذلله وخشيته لله رب العالمين. ما قال تخضع واستعمل الخشوع لأن فيه التذلل والخشية والخضوع. ذكر أمرين قال *أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ*لذكر الله* وهو عام.

والقرآن هو من الذكر وسمّاه الله سبحانه وتعالى ذكراً *أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا *٨* ص* فالذكر عام والقرآن من الذكر والذكر أعم من القرآن فالذكر يكون في القرآن في التسبيح والتحميد والتفكّر. *وما نزل من الحق* أي القرآن. عندنا أمران: ذكر الله العام *عموم ذكر الله* أن تذكر الله تعالى خالياً فتفيض عيناك كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ذكر منهم *ورجل ذكر الله خالياً ففضات عيناه* ، وما نزل من الحق هو القرآن تحديداً فذكر الخاص بعد العام وكل منهما مدعاة إلى الخشوع. ذكر الله عموماً حتى لو في نفسك تذكر عظمته وتسبحه وهذا مدعاة للخشوع والخشية وقال تعالى *وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ *٣٤* الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *٣٥* الحج* والقرآن هو في حد ذاته مدعاة للخشوع والخشية *إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا *١٠٧* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً *١٠٨* وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا *١٠٩* الإسراء* الخشوع من القرآن، *لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ *٢١* الحشر*اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ *٢٢* الزمر* إذا كان علماء أهل الكتاب إذا يتلى عليهم القرآن يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً وإذا كان الجبل يتصدع من خشية الله تعالى فكيف لا يخشع قلب المؤمن؟!.

ذكر ثلاثة أمور كل منها مدعاة للخشية أولاً الخطاب للمؤمنين *يا أيها الذين آمنوا* وذكر الله والحق الذي نزل والذي هو القرآن وهذا قوله تعالى *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ *٢* الأنفال* . هذه نظرة عامة على الآية .

هناك مسألة : قال *تخشع قلوبهم لذكر الله* ثم قال بعدها *قست قلوبهم* وضع المؤمنين في مقابل الذين قست قلوبهم. وللعلم فإن القرآن لم يُسند القسوة إلا إلى القلوب *فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ *٢٢* الزمر*ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً *٧٤* البقرة * لم تسند القسوة إلا إلى القلوب في القرآن كله. *فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون* منهم أي من الذين أوتوا الكتاب.

* قال تعالى *أن تخشع قلوبهم* بإسناد الخشوع إلى القلوب فلم لم يقل مثلاً: ألم يأن لقلوب المؤمنين أن تخشع لذكر الله وما نزل من الحق؟

هو حذّرهم من أن يكونوا كالذين أوتوا الكتاب ولم يحذرهم من قلوبهم. لم يُحذّروا من قلوب الذين أوتوا الكتاب وإنما من الذين أوتوا الكتاب لم يقل ولا يكونا كقلوب الذين أوتوا الكتاب. إذن التحذير من أن يكونوا كالذين أوتوا الكتاب هذا أمر. وصار تشبيه جماعة بجماعة ، الذين أوتوا الكتاب بمقابل الذين آمنوا. ثم قال *وكثير منهم فاسقون* هذا وصف للأشخاص لا للقلوب. ثم ذكر المؤمنين وقلوبهم وأهل الكتاب وقلوبهم *وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ* ، *أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ* كأن الله تعالى حريص على العباد حتى لا يطول عليهم الأمد فتقسو قلوبهم لأن طول الأمد مدعاة لقسوة القلوب ولهذا قال *تخشع قلوبهم* . الأمد هو الزمن وجمعها آماد.

* لماذا قال *أوتوا الكتاب* ولم يقل *آتيناهم الكتاب* ؟

القرآن الكريم يستعمل أوتوا الكتاب في مقام الذم ويستعمل آتيناهم الكتاب في مقام المدح. قال تعالى *وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ *١٠١* البقرة * هذا ذم، *وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ *١٤٥* البقرة * هذا ذم، *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ *١٠٠* آل عمران*وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ *٤* البينة * هذا ذم، *أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ *٤٤* النساء* ذم. بينما آتيناهم الكتاب تأتي مع المدح *الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ *١٢١* البقرة * مدح، *أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ *٨٩* الأنعام* مدح، *وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ *٣٦* الرعد*الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ *٥٢* القصص* مدح، *وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ *٤٧* العنكبوت* مدح. هذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب حيث قال أوتوا الكتاب فهي في مقام ذم وحيث قال آتيناهم الكتاب في مقام ثناء ومدح. القرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات وإن لم تجري في سنن العربية .

أوتوا في العربية لا تأتي في مقام الذم وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم. عموماً رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه *آتيناهم الكتاب* لما كان فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه، أوتوا فيها ذم فنسبه للمجهول *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا *٥* الجمعة *وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ *١٤* الشورى * ، أما قوله تعالى *ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا *٣٢* فاطر* هذا مدح.

* ما دلالة *من قبلُ* في الآية *وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ* ولماذا البناء على الضم في *قبلُ* ؟

لو لم يقل *من قبلُ* يعني لو قال ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب هذا لا يدل على أن الأولين قست قلوبهم وإنما فقط يدل على المعنيين في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أما الأولون فلم تقسو قلوبهم. *من قبلُ* هي التي دلت على أن الأولين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم. إذن *وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ*من قبل* أفاد أن الأولين قست قلوبهم ولو لم يقل *من قبلُ* لم يفد هذا. لو قال ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب قد يكون المقصود بهم الذين في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يشر إلى الأولين فهوالآن كأنه ذمّ الذين في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن هؤلاء طال عليهم الأمد وليس فيه دلالة على أن الأقدمين قست قلوبهم كذلك والمراد هم الأقدمون. لما قال *من قبلُ* دل على أن الأولين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم فكيف لهؤلاء وقد تطأول عليهم الأمد؟! إذا كان الأولون قست قلوبهم وقد تطأول الزمن فما بالك بهؤلاء؟!.

* أما السؤال الآخر وهو لماذا جاءت *قبلُ* بالضم؟

هذه تسمى الظروف المقطوعة *قبل وبعد وما جرى مجراها* قبلُ هنا ظرف زمان لكن الظروف المقطوعة لا تنحصر في الزمان *الظروف: فوق وتحت وما جرى مجراها مثل من فوق ومن تحت ومن قبل ومن بعد* . إذا حذف المضاف إليه ونُويَ معناه نقول *من قبلُ* . عندنا أن يذكر المضاف إليه كما في قوله *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ *١٠* الحديد* هذا مُعرَب والمضاف مذكور. وعندنا أن يحذف المضاف إليه وينوى معناه *من قبلُ* ، وعندنا أن يحذف المضاف إليه ولا ينوى معناه يصير نكرة *من قبلٍ* ليس هناك مضاف إليه أصلاً كنكرة من النكرات

فننوّن هنا ويكون ظرفاً مجروراً بالكسرة *كجلمود صخر حطّه السيل من علِ* . قد يحذف وينوى لفظه فيحذف التنوين كأنه موجود. هذا أن يحذف المضاف إليه وينوي معناه تقصد هنالك زمن محدد يعلمه المخاطَب هذا من المعارف. هذه هنا *من قبلُ* لما تحذف المضاف إليه وتنوي معناه ستبنيه على الضمّ فيصبح معرفة وليس نكرة لأنك تنوي زمناً معلوماً للمخاطَب لذلك قالوا سقط من علُ فُهم أنه من علو معلوم، سقط من علِ أي سقط من مكان عالٍ لا نعرف ارتفاعه لذا قال *حطّه السيل من علِ* أي من مكان مرتفع لم يقصد مكاناً معيناً. *من قبلُ* من زمن يعلمه المخاطَب ولديه فكرة عنه. *وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ* أي من قبلهم، من قبل الكتاب عليهم. إذا كانت مبنية على الضم تدل على أمر معين زمن أو مكان وإعرابها مبني على الضم في محل جرّ. قوله تعالى *إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ *١٠* الأحزاب*من أسفلَ* هذا ليس فيه حذف وإنما هو ممنوع من الصرف. الظروف المقطوعة أي مقطوعة للإضافة .

* آخر الآية قال تعالى *وكثير منهم فاسقون* نقف عند *كثير* وفي مواطن أخرى استخدم اسم التفضيل *أكثر* فلماذا استخدم هنا كثير؟

كثير على وزن فعيل وهي صفة مشبهة ، أكثر اسم تفضيل. يعبّر بـ *أكثر* إذا كان السياق في تعداد أسوأ الصفات والإطالة في ذكرها. *أكثرهم* جاءت صيغة التفضيل هذه في مكانين في المائدة وآل عمران. في آية الحديد ذكر وانتقل إلى كلام آخر ليس له علاقة بأهل الكتاب، فالكلام عن أهل الكتاب جزء من آية ثم انتقل بكلام آخر ليس له علاقة بأهل الكتاب. أما في سورة المائدة فالآيات من *٥٧* إلى *٦٥* يستمر في ذكر الصفات فلما يطيل ذكرهم ويعدد مساوئهم يأتي باسم التفضيل *أكثر* . في آل عمران الآيات من *٦٦* - *٧٨* ومن *٩٨* - *١١٥* آيات كثيرة أفاض فيها فقال *أكثر* . أما التي لا يطيل فيها فيقول *كثير* . قد تشترك صيغة فعيل في المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول من حيث الصيغة فقط أما إذا كان أصل الفعل متعدياً تصير مبالغة وإذا كان أصل الفعل لازماً تصير صفة مشبهة . مثال: سميع من سمع وهو فعل متعدي إذن سميع صيغة مبالغة ، عليم من علم وهو فعل متعدي إذن عليم مبالغة ، حتى في رحيم قالوا إذا كانت من رحِم فعل متعدي فهي مبالغة وإذا كانت من رَحُم فعل لازم تصير صفة مشبهة . وعندنا فعُل أبلغ من فعِل وأحياناً نحوّل إلى فعُل بقصد المبالغة . طويل من طال فعل لازم فطويل صفة مشبهة وكذلك قصير وقبيح وجميل صفة مشبهة .

آية *١٧* :

*اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *١٧ *

* نظرة عامة على الآية وارتباطها بما قبلها وما بعدها:

أمرنا ربنا أن نعلم هذا الأمر وهو أن الله تعالى هو الذي يحيي الأرض بعد موتها فما كانت لتحيا لولا أن الله يحييها، لا تحيا من الماء بنفسها ولا أن هنالك ذاتاً معه أو بدونه قادرة أن تحيي وإنما هو الذي يحيي الأرض وأراد أن نعلم هذا الأمر فقال *اعلموا* . الارتباط بما قبلها ظاهر من جهتين:
أولاً في الآية قبلها قال تعالى *ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق* فهو تمثيل لأثر الذكر والقرآن في القلوب وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض. أثر الذكر والقرآن في القلوب يحييها كما يحيي الغيث الأرض. الله تعالى يحيي الأرض بالغيث والذكر والقرآن يحيي القلوب *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ *٢٤* الأنفال* هذه حياة . إذن أثر الذكر الذي أمرنا به *ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق* هذا الذكر يحيي كما تحيا الأرض بالغيث فالذكر يحيي القلوب من موتها كما يحيي الله الأرض

من موتها، هذا أمر. والأمر الآخر أن فيها دلالة على بعث الأموات وقد ذكر قبلها مشهداً من مشاهد الآخرة *فضرب بينهم بسور له باب* ويذكر لنا في القرآن حياة الأرض للتمثيل بحياة الآخرة فينتقل منها إلى الآخرة *كذلك يحيي الله الموتى * . إذن من جهتين من جهة أن الله سبحانه وتعالى كما يحيي الأرض بعد موتها يحيي القلوب بذكر الله وما نزل من القرآن، هذا أمر ومن ناحية أخرى دليل أو تشبه كيف يحيي الله الموتى وذكر مشهداً من مشاهد الآخرة هذا أيضاً تدل على أن الله سبحانه وتعالى سيحيي الموتى كما يحيي الأرض، يحيي الموتى في الآخرة كما يحيي الأرض.

* قال تعالى *يحيي الأرض بعد موتها* أليس هذا مظنة والعياذ بالله لأي شك أن الذي يميت هو غير الله تعالى ؟

قال يحيي بعد موتها ولم يقل بعد إماتتها. يقال مات فلان وأماته أي شخص آخر يميته. قال تعالى *وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا *٤٤* النجم*ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ *٢٨* البقرة * أنت تقول مات الإنسان. يميتكم من أمات، عندنا مات يموت وعندنا أمات يميت. هناك فرق بين الموت والإماتة . الموت من تلقاء نفسه، أماته أي الله سبحانه وتعالى أماته. مات وأمات فعلان أحدهما لازم والآخر متعدي. لو قال يحيي الأرض بعد إماتتها يكون للسؤال وجاهة لكنه قال بعد موتها.

ارتباطها بما بعدها *إن المصدقين والمصدقات* شأن الأرض التي تحيا بالغيث تضاعف ما فيها *مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *٢٦١* البقرة * والمصدقين والمصدقات أيضاً يضاعف لهم كما أن الأرض بعد موتها تضاعف ما يخرج من الغلّة كذلك الصدقة تضاعف الأجور *كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ* المنفق والمقرض يضاعف له كما أن الأرض تضاعف. إذا أحيا الله سبحانه وتعالى الأرض بعد موتها تضاعف الحبّ وكذلك المصدقين يضاعف لهم الله تعالى الأجور. ثم ذكر الآخرة *وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ *١٩ * أيضاً فيها دلالة على الحياة الآخرة . وسيأتي ذكر للآخرة فيما بعد. فهي ترتبط بما قبلها وبما بعدها من ناحيتين.

هل ارتباطها بما قبلها أقوى ؟ التذكير بقدرة الله تعالى حاصل لكن من الناحية الفنية عندما قال *يضاعف لهم* وهذا شأن الأرض التي تحيا بالغيث ولما ذكر المصدقين والمصدقات قال يضاعف لهم ولهم أجر كريم كما تضاعف الأرض فالمناسبة ظاهرة . والآية مدخل للآية التي بعدها.

* فى سؤال ل *د.أحمد الكبيسي* :ما دلالة الاختلاف بين *قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ *١١٨* آل عمران* و *قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *١٧* الحديد* ؟

إن كنتم تعقلون في آية آل عمران و *لعلكم تعقلون* في آية سورة الحديد. لنفهم الآيات مثلاً أنت مدرّس دخلت على فصل أغبياء وعابثين تقول لهم سأشرح لكم الدرس إن كنتم تفهمون وكأنك تغمزهم من طرف خفي أنكم لن تفهموا بينما لو دخلت على فصل آخر أذكياء ومهذبين ومؤدبين تقول لهم سأشرح لكم الدرس لعلكم تفهمون يعني ستفهموا. هذا التجري من الله عز وجل تحقيق *لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا *١* الطلاق* أي سيحدث بعد ذلك أمراً.

في آية آل عمران قال تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ *١١٨ * كيف تستعينون بأعدائكم؟ كان قسم من المسلمين يستعينون ببعض يهود المدينة

وكانوا يستشيرونهم ويتعاملون معهم وهم من المستحيل أن ينصحوهم *لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ* يعني لن تعقلوا يا مسلمين وستبقون من الآن إلى أن تقوم الساعة وكثير منكم من يتعامل مع عدوه والله تعالى قال *هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ *١١٩* آل عمران* هذا طبع المسلمين في كل مكان ليس في قلب مسلم غلّ لأحد لا مسلم ولا غير مسلم والله ما وجد اليهود ولا النصارى ولا الصابئين ولا الوثنيين ولا أي مِلّة أخرى أمناً وأماناً واحتراماً واختلاطاً كما وجدوا في بلاد المسلمين نحن الآن في العالم الإسلامي وقد فعل بنا الغرب ما فعل ومزقونا مزقاً وليس في قلب واحد منا غلّ على أحد والجميع يعيشون معاً وبالعكس بيننا وبين إخواننا من المسلمين مشاكل وقتل وقتول وليس بيننا وبين الآخرين شيء كما شهد الله تعالى قال صحيح أنتم طيبون أمرتكم أن تؤمنوا بكل الأنبياء وبكل الرسالات والكتب لكن هذا لا يعني أن تسلموهم أمركم وتسمعوا كلامهم في كل شيء فهم لا يحبونكم *هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ *١١٩* آل عمران*وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ *١١٩* آل عمران* فأنتم

تعايشوا معهم ولكن لا تعطوهم أسراركم تأخذوا نصائحهم ولا توكلوا أمركم إليهم وتجعلهم يقودونكم وتفعلوا ما يأمروكم به فأنتم حينها ستضيعون لأنهم لن يخلصوا لكم فالله تعالى سبق في علمه أن المسلمين لن يطبقوا هذه الآية *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ *١١٨* آل عمران* يفرحون بمعاناتكم، لن تعقلوها وستبقون إلى يوم القيامة بهذه البساطة وبهذه النفوس الطيبة مع العدو وهو ينخر بكم نخراً يمزقكم ويذهب باقتصادكم وسلامتكم ووحدتكم كما فعلوا من قرنين أو ثلاثة بل منذ أن جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وإلى يوم القيامة فقال *إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ* فيها غمز.

في الآية الثانية شيء آخر *اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *١٧* الحديد* وفعلاً البشرية كلها تقريباً أن لهذا الكون رباً وهذا من آيات الكون ولا بد أن يكون لهذا الكون صانع لا يوجد من ينكر الله تعالى إلا أحمق *وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا *١٤* النمل*. يوري غاغارين لما صعد إلى القمر في زمن خروتشوف قال له أنا أعلم أنك رأيت الله ولكن إياك أن تتكلم بهذا لأنك شيوعي عليك أن تبقى شيوعياً ملحداً. ما من ملحد إلا ويعلم بينه وبين نفسه أن للكون رباً. قال هنا *لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* لأن ٩٩% من البشرية تؤمن بأن لهذا الكون خالقاً هو رب العالمين، من هو؟ نختلف لكن لا بد أن يكون لهذا الكون رباً *اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وفعلاً كلمة *لعلكم* بشارة من رب العالمين أن الغالبية العظمى من البشرية كلها وخاصة المسلمين بالإجماع يعلمون أن لهذا الكون رباً.

إن تستعمل في الأشياء المستحيلة الحدوث أما *إذا* فالبعكس.

آية *١٨* :

*إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ *١٨ *

ذكر تعالى في غير موطن المتصدقين والمتصدقات وأشرنا في أكثر من مناسبة ووقفنا عند هذا وقلنا أنه من باب الإبدال الجائز. أصل المصّدّقين والمصدقات متصدقين ومتصدقات مثلما ذكرنا يدّبر ويتدبر وذكرنا في حينها أنه فيها تضعيفان *المصّدّقين* والتضعيف فيه مبالغة فهنا قال *إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ* لما بالغوا في الصدقة أعطاهم

مضاعفة لذا لاحظ في سورة يوسف قال *وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ *٨٨* يوسف* لم يطلبوا المبالغة في الصدقة وهذا من حسن أدبهم يعني يكفيهم الشيء القليل فلم يقولوا *فاصّدّق علينا* كأنهم يريدون الشيء الكثير. قسم قال *يجزي المتصدقين* لم يقل المصدقين لأن المتصدقين تشمل المقلّين والمكثرين. لو قال المصدقين تدل على أنه يجزي المبالغين في الصدقة دون غيرهم لكنه يجزي المُقِلّ والمُكثِر. المصّدّقين والمصّدّقات هم المكثرون في الصدقات فقال تعالى يضاعف لهم ولهم أجر كريم، هؤلاء المبالغين في الصدقة وأقرضوا الله قرضاً حسناً والجزاء على قدر العمل. *مصّدّق* الذي يُخرج أمواله في سبيل الله ومنها قد تكون من باب الفروض كالزكاة ورب العالمين سماها صدقة .

* ماذا يفيد العطف بين المصدقين والمصدقات؟

أولاً يدل على استقلال النساء في أموالهن، وما دام مالها فلها الحرية في أن تصرف وتقرض الله قرضاً حسناً وأن تفعل ما تشاء في مالها. ويبين أيضاً أنه إذا كان لها مال فلا تغني صدقة زوجها أو أبيها عنها وأنها يضاعف لها كما يضاعف للرجال. ثم ذكر المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات فالجو العام هكذا فذكر المصدقين والمصدقات.

* ألا تشمل المصدقين كجمع مذكر النساء أيضاً للتغليب؟

أحياناً وأحياناً يراد به التفصيل، يذكر الأمرين وحتى المصدقات إذا كان لهن مال فليس لأحد أن يرغمهن على أموالهن فيمنعهن من الصدقة ولهن أن يتصرفن بأموالهن وأن عليهن الصدقة كما على الرجال ولا تغني صدقة أزواجهن ولا آبائهن إذا كان لهن مال لذلك أفردهم *والمصدقات* . ومثله جرى في السورة فذكر المنافقين والمنافقات والمؤمنين والمؤمنات فذكر أيضاً المصدقين والمصدقات، جرى هذا النمط في السورة . هذا ما ذكرناه في الحلقة الماضية .

* ما اللمسة البيانية في قوله تعالى *وأقرضوا الله قرضاً حسناً* ولماذا ذكر القرض بعد المصدقين؟

قسم ذهب إلى أن الصدقة غير القرض. قسم قال القرض هو تطوع والصدقة في الواجب. ربنا تعالى سمّى الزكاة صدقة لكن هي ليست مقصورة على الزكاة وإنما هي عبادة عامة *المال* ومنها الزكاة لكن قسم من الصدقة هو فروض كصدقة الفطر وبعض الصدقات كالكفارات هذه فروض والزكاة فرض. فقسم قال الإقراض المذكور هو من باب التطوع ولا يدخل في باب الفروض. المصدّقين قد يدخل فيها الفرض. وقسم قال القرض هو أعمّ من الصدقة يدخل في الفروض وغير الفروض. فإذا كان الأمر كذلك فهو من باب عطف العام على الخاص إذا كان القرض هو أعم من الصدقة *ما كان تطوعاً وغير تطوع* أي الصدقة في عمومها يصير أعم من الصدقة فعند ذلك إذا كان الأمر كذلك أي إذا كان القرض عموم الصدقة فتكون أعم من الصدقة فيكون من باب عطف العام على الخاص. وقسم يقول لا هي تطوع الصدقة هي في الفروض والقرض هو في التطوع والذي يبدو لي - والله أعلم - أن القرض في التطوع ويختلف عن الصدقة بدليل أنه فيما أظن أن القرض هو في صدقة التطوع نلاحظ أن القرآن الكريم يذكر القرض الحسن بعد الزكاة في مواطن وقد يأمر به بعد الأمر بالزكاة كما في قوله *لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا *١٢* المائدة * ذكر الزكاة ثم ذكر القرض الحسن، الزكاة فرض فقال بعدها *وأقرضتم الله* . وفي آية أخرى قال تعالى *وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا *٢٠* المزمل* هذا أمر. يبدو لي أنه لما عطفها على الزكاة والزكاة فرض صار القرض من باب التطوع، من باب المندوبات وليس كل المندوبات فروض لكن علمنا أن الزكاة فرض وعطفها على الزكاة فلا يأخذ

نفس الحكم لأنه ليس بالضرورة أن يأخذ المعطوف نفس الحكم خاصة في المندوبات فقد يكون عطف مندوب على فرض.

ثم تسميته *قرض* المُقرِض ليس ملزماً بالإقراض. القرض في اللغة إعطاء مال تحديداً. القرض إعطاء مال ويتوقع إسترداده أما الزكاة فلا تُردّ. لما قال المصدقين والمصدقات الصدقة لا تُردّ، المقرِض عندما يُقرِض شخصاً المفروض أن يرد عليه قرضه. لذلك لما قال تعالى *من ذا الذي يقرض الله* رب العالمين سيرده عليه بأضعاف كثيرة *فيضاعفه له* . تسميته قرضاً المقرِض ليس ملزماً بالإقراض إذا أردت الاقتراض من أحد فهو ليس ملزماً بإقراضك فلما قال ربنا *قرض* معناه أنه ليس ملزماً، معناه أنه من باب التطوع. وبخلاف التصدق لأن منه ما يلزم. وقال تعالى في أكثر من موضع *من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً* كأنه من باب الترغيب. فتسميته قرض توحي والله أعلم بأنه ليس من باب الفروض وحتى طبيعة قوله تعالى *من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً* من باب الترغيب وليس من باب الإلزام.

قرضاً أحد أمرين: إذا كان المقصود مال تحديداً يكون مفعولاً به وإذا كان مصدراً فيكون مفعولاً مطلقاً.

* ما المقصود بالقرض في *قرضاً* ؟ هل هو مال؟

إذا كان مالاً يكون *قرضاً* مفعولاً به *أقرضتك مالاً* وإذا كان مصدراً يعني أقرضتك إقراضاً حسناً يكون مفعولاً مطلقاً ويصير حدثاً. المصدر أقرض إقراضاً وليس قرضاً. المسألة أن قرض مصدر قَرَض وقَرّض وأقرض كلاهما بمعنى واحد ثلاثي ورباعي وأحياناً نأتي بالمصدر، نأتي بالفعل وتأتي بمصدر فعل آخر كما في قوله تعالى *وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا *١٧* نوح* لم يقل إنباتاً وقال في مريم عليها السلام *وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا *٣٧* آل عمران* المفروض أن يقال إنباتاً، لكن هذا يكون لغرض. إذا كان الفعلان بمعنى واحد قرض وأقرض أو حتى لم يكونا بمعنى واحد يكون لغرض آخر مثل قوله تعالى *وتبتل إليه تبتيلا* المفروض تبتّلاً. تبتيل مصدر بتّل وبتل غير تبتّل تماماً والمعنى مختلف. ليجمع المعنيين يأتي بالفعل للدلالة ويأتي بالمصدر من فعل آخر من دلالة أخرى فيجمع بينهما حتى يجمع المعنيين. فبدل أن يقول: وتبتل إليه تبتلاً وبتّل نفسك إليه تبتيلاً يقول *وتبتل إليه تبتيلاً* فيجمع المعنيين وهذا من أعجب الإيجاز. هذه الآية *وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا *٨* المزمل* فيها أمور في غاية الغرابة في الإيجاز. في مريم قال *فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا *٣٧* آل عمران* لم يقل إنباتاً لأنه لو قال إنباتاً هو الله تعالى أنبتها فالمنبِت هو الله تعالى لم يجعل لها فضلاً لكن أنبتها فنبتت نباتاً حسناً جعل لها من معدنها الكريم قبول هذا النبات وأنبتها فنبتت نباتاً حسناً أي طاوعت هذا الإنبات فجعل لها قبول، فجعل لها فضل في معدنها الكريم. بينما لو قال إنباتاً لم يجعل لها فضلاً رب العالمين أنبتها يفعل ما يشاء، لكن نباتاً جعل لها فضلاً، هي نبتت وجعل لها فضلاً فنبتت نباتاً حسناً فجعل لها في معدنها قبول لهذا النبات فنبتت نباتاً حسناً.

* هل المقصود بالقرض في الآية *قرضاً حسناً* المال أو المصدر؟

أحياناً يسمونه التوسع في المعنى . يمكن أن نذكر هذا التعبير بعدة صور: أقرضوا الله إقراضاً حسناً، قرضوا قرضاً حسناً باعتبار فعل قرض بمعنى أقرض. لو قال أقرضوا الله إقراضاً حسناً لم يكن إلا معنى المصدر، معنى واحد هو الحدث إقراضاً فقط. لما قال قرضاً حسناً فيه أمران المال والحدث، الإقراض الحسن في التطوع وكيفية الإقراض والمال هو حسن في نفسه من الحلال الطيب

فيجمع الأمران الإقراض والمال. لو قال إقراضاً فقط كأنه فقط المصدر، فقط الحدث ولذلك جمع بين الأمرين.

* لماذا استخدم أقرضوا الله ولم يقل قرضوا الله؟

أقرضوا الله أشهر.

* ما فائدة حسناً بعد قرضاً؟

ذكرنا سابقاً القرض الحسن. وللعِلم أنه لم يذكر القرض إلا وصفه بالحسن في جميع القرآن. ذكرنا في حينها ما المقصود بالقرض الحسن: في الشخص أن يكون من دون منّ، عن طيب نفس وبشاشة وجه، وفي المال ينبغي أن يكون في المال الحلال الطيب الكريم وأن لا يبتغي الخبيث *وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ *٢٦٧* البقرة * ثم في الجهة أن يتحرى أفضل الجهات، هذا القرض الحسن. القرض الحسن يكون له صفات في المقرِض وصفات في المال وصفات في الجهة ، هذا هو القرض الحسن يكون من كريم المال وحلاله ويكون من دون منّ ويكون في أفضل الجهات التي فيها نفع للمسلمين ولذلك لا تجد في القرآن إلا وصفه بالحسن، القرض بالذات. أيضاً لا تجد القرض إلا لله. الصدقة أطلقها لكن القرض لم يأت إلا قرضاً حسناً ومع الله تعالى *أقرضوا الله قرضاً حسناً* حتى يفرق بين القرض الذي هو في المعاملات والقرض الذي هو عبادة مع الله. هنا الإقراض قد يكون بين الناس في المعاملات وهنا المقصود العبادات ولذلك دائماً يقول وأقرضوا الله. لو قال أقرضوا لم تختص بالعبادة وإنما بالمعملة بين الناس ولذلك الصدقة دائماً عبادة أما الإقراض فليس دائماً عبادة فقد يكون في المعاملة والتعامل بين الناس ليس له علاقة بالعبادة . ولذلك في القرآن هنالك أمران أنه وصف القرض بالحسن والآخر أنه لله تعالى . هذان الأمران في جميع القرآن لم يرد الإقراض إلا بهذين أنه حسن وأنه لله تعالى فقط ولهذا ثوابه من الله عز وجل يضاعف له.

* لماذا عطف بالفعل على الاسم في الآية *إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا* ؟

هذا يجوز إذا كان الاسم المشبه بالفعل يجوز عطفه على الفعل *واعطف على اسم شبه فعل فعلاً وعكس استعمله تجده سهلا* تكرر أكثر من مرة على ما هو مقرر في القرآن أن الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث. الصدقة لازمة ثابتة ولذلك لا تجد في القرآن *المقرضين* لأنها ليست صفة ثابتة ثبوت الصدقة كما نجد المتصدقين التي هي ثابتة .

آية *١٩* :

*وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *١٩ *

* هل الصديقون هم الذين آمنوا فقط؟

ليس هناك صدّيق إلا من هو آمن بالله والرسل ولا يمكن أن يكون صدّيقاً من غير إيمان بالله. *صدّيق* صيغة مبالغة قسم قال من صَدَق وقسم قال من صدّق وفي الحديث "ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً" يصدق ويصدّق بما جاء به، إذا كان يبالغ في الصدق فهو صدّيق وإذا كان يبالغ في التصديق بما أنزل الله وما جاء به الرسل يسمى صدّيقاً. الصدّيق وصف، رب العالمين وصف قسماً من الرسل بالصديقين ذكر إبراهيم *وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا *٤١* مريم* وإدريس *وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا

نَّبِيًّا *٥٦* مريم* . فكلمة صدّيق وصف الله تعالى بها الأنبياء وغير الأنبياء ووصف مريم عليها السلام *وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ *٧٥* المائدة * . النبي صدّيقاً أي كثير الصدق فيما يحدّث ولا يخبر إلا بالصدق *وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ *٣٣* الزمر* . وقد يعدهم صنفاً آخر غير الأنبياء فيقول *فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم *٦٩* النساء* . يذكر الأنبياء وغير الأنبياء ويصفهم بالصّدّيقية . كلمة صدّيق مبالغة *والذين آمنوا بالله ورسله* أولئك هم الصديقون على العموم؟ هل كل من آمن بالله ورسله هو صدّيق؟ الصديقية درجات كما أن الشهداء درجات، ذكر تعالى الأنبياء صديقون وذكر من هم دونهم أيضاً ووصفهم بالصديقين وذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً. هي درجات تتسع إتساعاً كبيراً.

هناك أمر أيضاً: الرسول - صلى الله عليه وسلم - سُئل: أيزني المؤمن؟ قال - صلى الله عليه وسلم - بلى ، قيل أيسرق المؤمن؟ قال بلى ، قيل: أيكذب المؤمن؟ قال لا. فالمؤمن لا يكذب إذن المؤمن يجب أن يصدق فإن كذب فقد خرج عن الإيمان. هكذا يقول الحديث. فالمؤمن صفته الصدق دائماً وأبداً فإن لم يصدق خرج عن الإيمان في تلك اللحظة . فإذن قطعاً المؤمن صدّيق لأنه صدّق وصَدَق في الكلام. الصدّيق قد يكون من كثرة الصدق "ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً" ، ما قال يُصدِّق وإنما يصدُق أي حينما يتكلم لا يتكلم إلا صِدقاً. في هذه الحالة يكون المؤمن صدّيقاً. إذا تحرى الصدق فهو صدّيق وإذا صدّق بما جاء به النبي فهو صدّيق، إذا صدّق صار مؤمناً. فالصّدّيقون هنا مقصود بهم كلها فما دام أصبح مؤمناً فهو يَصْدُق ويصدّق لأنه إذا لم يصدّق فهو ليس بمؤمن وإذا كذب انتفت عنه صفة الإيمان. لكن الصديقية درجات كالإيمان والعمل الصالح فالمؤمن تطلقها على سيد الرسل وتطلقها على من آمن بالله. وهم درجات متفاوتة عظيمة والصديقية تطلق على صفوة الخلق وعلى الرسل وعلى من دونهم *وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا *٦٩* النساء* مرتبة عامة وفيها خصوصية .

* من هذا المنطلق سمي أبو بكر الصديق بهذه الصفة مع أن غيره كثيرون صدقوا الرسول ؟؟

الرسول - صلى الله عليه وسلم - أطلق عليه هذا الاسم والصدّيقون درجات فهناك الصفوة وهناك صفوة الصفوة .

* في الآية *وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *١٩ * هل الذين كفروا وكذبوا مقابل الذين آمنوا بالله ورسله؟

لو أخذنا الآية *والذين آمنوا بالله ورسله* وبعدها *كفروا وكذبوا بآياتنا* الذين كفروا بمقابل الذين آمنوا بالله، والذين كذبوا بآياتنا مقابل الذين آمنوا برسله لأن تكذيب الآيات يكون عن طريق الرسل. التصديق والتكذيب يكون عن طريق الرسل، فإذن الذين كفروا مقابل الذين آمنوا بالله والذين كذبوا بآياتنا مقابل الذين آمنوا برسله. نلاحظ ذكر الشهداء بعد الصدّيقين *أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ* كما في آية أخرى *وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا *٦٩* النساء* ثم ذكر أجرهم ونورهم والأجر والنور واضحان في السورة يترددان في أكثر من موضع في هذه السورة . قال في أكثر من موضع *فيضاعفه له وله أجر كريم* هذا أجر، *يسعى نورهم* ذكر الأجر

والنور *يضاعف لهم ولهم أجر كريم*والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم* وآخر السورة *ويجعل لكم نوراً* هذان الأمران يطبعان السورة .

* لماذا لم يقل كفروا بنا؟ أو كفروا بالله؟

ذكرها مطلقة لأن الكفر عام والكفر هو الستر والتغطية . الكفر بالآيات هذا أحد أركان الكفر، فلو آمن بالله وكفر بالرسالات ولم يصدّق سيكون كافراً لذا لم يخصصها وإنما أطلقها
عامة *كفروا* على العموم والإطلاق.

آية *٢٠* :

*اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ *٢٠ *

* نظرة عامة على الآية ودلالة الترتيب واللمسة البيانية فيه:

حقيقة ما يعيشه الناس أجملَه تعالى في هذه الآية ورتّبها بحسب ترتيبها في حياة الناس. بدأ باللعب واللعب عادة يقع في دور الطفولة والصبا مبكراً هذا هو الأصل وإن كان أحياناً يُطلق على نقيض الجدّ *وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ *٦٥* التوبة *فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *٨٣* الزخرف*قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ *٥٥* الأنبياء* نقيض الجد أي غير جادّين. اللهو عادة يكون في دور الفتوّة والشباب بعد دور الطفولة . ثم اللهو أعمّ من اللعب لأن الكبير قد يلهو في أمور يضيق صدره في أمور فينتقل إلى أمر يلهو به بعض الشيء. ثم ذكر الزينة والزينة مقصد من مقاصد الشباب والنساء في دور بداية اكتمال أنوثتهن - خاصة النساء - وحتى الشباب يتزيّن لا يرضى كما كان طفلاً يلبس ما تعطيه أمه. ثم ذكر بعدها التفاخر وهذا أكثر ما يكون في شأن الرجال يتفاخرون بأعمالهم وبأنسابهم ومآثر ما يفعل هو وما فعل آباؤه وأحسابه لذلك الشعراء يفتخرون بآبائهم وأحسابهم وأنسابهم *أولئك آبائي فجئني بمثلهم* . هذه المفاخرة هي أن ينسب الخير إلى أهله ونفسه كالشجاعة والكرم. ثم ذكر التكاثر في الأموال والأولاد وهذه مرحلة جادة يبدأ يشتغل بجمع المال والإنجاب لأن الحياة تقوم على هذين الأساسين المال والولد ولا تستديم الحياة بلا مال وولد وقدّم المال لأنه جمعه أكثر يشتغل به أكثر. حتى الوقت، الأولاد يهتم بهم وهم أعلى شيء والمال يتركه لهم لكن جمع المال يحتاج إلى وقت وإلى الذهاب إلى المحلات التجارية والأسواق فيبقى مع المال أكثر بكثير مما يبقى مع ولده. غالباً الأموال مقدمة على الأولاد في القرآن الكريم وفي مواطن تتأخر.

في مواطن الحُب تتأخر الأموال *قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *٢٤* التوبة * هذه في المحبة ولا يمكن أن يرقى المال إلى محبة الأولاد. المال في خدمة الأولاد ويتركه لهم. فحينما يقدّم يكون حسب الموضع. في الانشغال يقدّم المال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ *٩* المنافقون* لأنه يشتغل بها كثيراً أما الأولاد أقل وإن كانوا في ميزان الآباء أثقل لكنه سيرحل ويترك الأموال لهم. وختم بالأولاد وهذه هي مراحل الحياة وأطوارها أجملها ربّنا تعالى وهي أطوار الناس في الحياة ثم صوّرها بقوله تعالى *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ

مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ* .

* هل هناك ترتيب مقصود لذاته في هذه الآية ؟

هي هكذا حسب الأطوار في الحياة رتبها وذكرنا التقديم والتأخير وقلنا أنه ليس هنالك نمط واحد للتقديم والتأخير إنما هو السياق ومدار الاهتمام. العرب يقدّمون ما هم ببيانه أعنى وما هو أهمّ، الأهمية التي بحسب السياق فمرة نقدّم المتقدم ومرة نقدّم المتأخر، مرة نقدّم من القلّة إلى الكثرة ومرة من الكثرة إلى القلة ومرة نبدأ بالأفضل ثم ننتهي إلى المفضول ومرات أخرى تبدأ بالأدنى ثم الأعلى ، المفضول ثم الفاضل. الذي يحدد التقديم والتأخير هو المقام ففي قوله تعالى مثلاً *والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين* البلد الأمين هو مكة وهي أفضل من طور سنين لكنه أخّرها وبدأ بطور سنين. هناك دواعي للتقديم والتأخير تُنظر في سياقها والمقام الذي قيلت فيه *هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ *٢* التغابن* بدأ بالمفضول *فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ *١٠٥* هود* تأتي بحسب كيف وضعها في السياق هو الذي يحدد التقديم والتأخير وتقدر كل حالة بقدرها. *فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا *٦٩* النساء* لما ذكر الذين أنعم الله عليهم بدأ بأعلى النِعم *النبيين* . إذن هو حسب المقام الذي تقال فيه.

* قال تعالى *إنما الحياة الدنيا لعب ولهو* عدد أشياء كثيرة وفي غير موطن في القرآن قال *وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ *٣٢* الأنعام* فقط ولم يذكر بقية الأطوار كما في آية الحديد، لماذا؟

أحياناً يقتصر على اللعب واللهو لأن ما ذكره بعدها يندرج *الزينة وما بعدها* يندرج في اللهو فإذا أراد أن يفصّل فصّل وإذا أراد أن يُجمِل وقف عندها. الزينة قد تُلهي والتفاخر يلهي والتكاثر يلهي. الله تعالى سمّى المال والبنون زينة *الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا *٤٦* الكهف*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ *٩* المنافقون* دخلت في الزينة والزينة دخلت في اللهو. ما ذُكر في الزينة دخل هنا في اللهو. قال تعالى *ألهاكم التكاثر* دخل التكاثر في اللهو، أطلق التكاثر. لما فصّل في آية الحديد *اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ* فصّل وعندما أراد أن يُجمِل يقف عند الأصل والباقي يدخل فيه *وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ *٣٢* الأنعام* وقف عندها وما مثّل *إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ *٣٦* محمد* . يقولون البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال أراد التفصيل يفصّل، أراد الإجمال يُجمِل.

* ما معنى الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم ؟ من المستشرقين من يقول لِمَ يُجمِل هنا ويفصّل هنا مع أن الدلالة وصلت؟

أحياناً يريد أن يوضح المسألة ويعطيها أبعادها، أحياناً يكتفي بكلمة أو كلمتين وأحياناً يشرح أدق الأمور ويتعرض لها. هذا ليس تكراراً وإنما هو تفصيل يريد أن يوصل المعلومة كاملة في كل أبعادها وفي كل أحوالها. ثم إن الناس ليسوا سواء في الفهم والاستيعاب. إذا قلت *لعب ولهو* كم واحد يُدخِل فيها ما ذكر؟ كم شخص سيذكر الأموال والزينة والأولاد؟ قليل. يفصّل للجميع وكل آية تضيف ملمحاً في إطار السورة حتى تتضح جميع جوانبها.

* قدّم الله تعالى اللعب على اللهو في هذه السورة وفي آية سورة العنكبوت قدّم اللهو على اللعب *وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *٦٤ * فما دلالة تقديم اللهو؟

قلنا ليس هنالك أمر يقضي بتقديم كلمة على كلمة وإنما هو السياق. لو لاحظنا سياق العنكبوت تقدّم هذه الآية قوله تعالى *اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *٦٢ * الرزق مدعاة إلى الالتهاء *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ *٩* المنافقون* ربنا تعالى ذكر أمرين: البسط والتضييق، الذي بسط له رزقه يلتهي بجمعه والذي قُدِر عليه رزقه يلتهي للحصول عليه حتى يعيش فإذن سيكون مدعاة للهو فقدّم اللهو. ما دام قدّم البسط في الرزق والتضييق سيكون مدعاة للهو *وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا *٢٠* الفجر*وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ *٨* العاديات* الخير فسروه بالمال. *قُدِر عليه رزقه* أي ضيّقه. *

نقدر عليه* أي نضيّق عليه، حتى في قصة ذي النون *وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ *٨٧* الأنبياء* هو هنا في هذا المكان لم يجد أذناً صاغية ولم يجد من يستجب له قال أذهب إلى مكان آخر والله تعالى يوسّع عليّ في مكان آخر *لن نقدر عليه* أي لن نضيّق عليه، هناك متسع وهذا اجتهاد من ذي النون قال أذهب إلى مكان آخر فيه متسع والله تعالى لن يضيّق عليّ لكنه لم يخرج بإذن ربه ولكنه اجتهاد من تلقاء نفسه لذا قال تعالى *فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ *١٤٢* الصافات* مليم أي أتى ما يُلام عليه، ملوم يُلام لكن مليم أتى فعلاً يُلام عليه، لماذا خرجت من دون إذن؟ لذا قال *فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* ولذا قيل للرسول - صلى الله عليه وسلم - *فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ *٤٨* القلم* . إذن نقدر يعني نضيّق.

* ما المقصود بالكفار في الآية *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا* ؟

المفسرون ذهبوا إلى أمرين في تفسير الكفار قسم يقول الكافرون بالله الجاحدون لأن هؤلاء هم الذين يغترّون بالدنيا وقسم قال هم الزُرّاع لأنها من كَفَر البذرة أي سترها في الأرض وأصل كفر في اللغة ستر ومنه الكفر أي ستر الفطرة المؤمنة لأن رب العالمين سبحانه وتعالى خلق الناس فطرتهم مؤمنة . فإذن المفسرون قسم من قال الكفار هم الزُرّاع وقسم يقول هم الجاحدون وأنا يترجّح عندي أنهم الكفار الذين يكفرون بالله وآياته لأنهم يغترّون بالدنيا وقد يكون المعنيان مقصودان وليس هناك مانع أن يعجب هؤلاء ويعجب هؤلاء.

* في موضع آخر في القرآن قال تعالى *كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ *٢٩* الفتح* وهنا قال *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا* فما الفرق بين الآيتين واللمسة البيانية في كليهما؟

اختيار كل كلمة في مكانها أنسب اختيار. الزُرّاع في آية الفتح أنسب ولا يقال يعجب الكفار ليغيظ بهم الكفار، الزُرّاع أفضل. ليس هذ فقط هذا تشبيه بصورة محمودة وإنما هناك فرق بين الزُرّاع. هذه الآية في سورة الفتح في أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - *مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا* اختار كلمة الزُرّاع لأن الزارع يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين

وهؤلاء ليسوا كالذين ذكرهم *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا* غيث نزل في الأرض وخرج النبات وقد يكون فيه أدغال وحشائش لا تنفع الناس. هناك تصريح بالزُرّاع وقيّدت الآية بـ *نبات* وهو أي نبات نبت في الأرض وقال تعالى *كمثل غيث* ولم يقل مثل زارع والغيث عندما يمطر يُخرِج حشائش الأرض التي لو خرجت في حديقتك ستقلعها. في آية الفتح ذكر الزُرّاع لأن الزارع لا يزرع الحشائش وإنما يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين. ذاك كمثل غيث، الغيث أنت لا تسيطر على ما يُخرِجه فقد يُخرِج مما تريد وما لا تريد. آية الفتح وقعت في صورة محمودة في تشبيه أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - *محمد رسول الله والذين معه* . ثم إن الزُرّاع كأنما هناك من زرعه فخرج أي خرج بأمر مقصود.

مثال ذلك قوله تعالى *كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ *١١٠* آل عمران* ما قال خرجت لأن ربنا أخرجها إخراجاً، هذه الأمة الإسلامية ربنا أخرجها بالصورة التي أرادها أُخرجت للناس ولم يقل خرجت من تلقاء نفسها. *خرجت* يعني خرجت من نفسها وليست برسالة ، أخرج فعل متعدي *أخرجته* ، خرج فعل لازم *خرجت من البيت* . *أُخرجت للناس* أي أن الله سبحانه وتعالى أخرجها على نمط معيّن كما يريد ولم تخرج من تلقاء نفسها كما تخرج الحشائش والأدغال في النبات. الزارع ينتقي ويعلم ما يزرع وهذه الأمة أُخرِجت إخراجاً إلى الناس ولم تخرج من تلقاء نفسها وفق منهج معين معدّ واختيار دقيق. هذه الأمة أُخرجت بهذا المنهج لهذا الغرض للناس كافة . تلك الآية خرج كما تخرج الحشائش بالغيث يُعجِب من يُعجِب وأما في سورة الفتح إختار الزُرّاع يزرعون وينتقون ماذا يريدون. كنتم خير أمة أخرجت للناس أخرجها ربنا بصورة معينة ولغرض معين منهج معيّن واختيار معين وباصطفاء معين *اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ *٧٥* الحج* . هذا هو الفرق بين كمثل غيث أعجب الكفار نباته هذا تشبيه حالة مذمومة بينما آية الفتح في الثناء والمدح في وصف سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - والذين معه.

* هل كلمة الزراع جمع زارع؟

الزُرّاع جمع زارع مثل كُتّاب وكاتب وواعظ وعّاظ. وعندنا زارعون جمع وأحياناً الكلمة يكون لها أكثر من جمع مثل كلمة ساجد تُجمع على سُجّد *تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا *٢٩* الفتح* وسجود *أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *١٢٥* البقرة * وساجدين *وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ *٢١٩* الشعراء* يكون هناك أكثر من جمع للكلمة . وعندنا ميّت تُجمع على ميّتون *أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ *٥٨* الصافات* وموتى *إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى *٣٩* فصلت* وأموات *وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء *١٥٤* البقرة * كلها جمع ثم تختلف بين القلّة والكثرة ودلالات أخرى .

* في سورة الواقعة قال تعالى *أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ *٦٤ * ولم يستعمل الزُرّاع لماذا؟

لما يذكر ضمير التعظيم يذكر جمع المذكر السالم.

* ما اللمسة البيانية في الالتفات في الضمير في الآية *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا* ؟

ذكر مآل الزرع الذي خرج بالغيث حتى يخرج منه إلى تشبيه الحياة الدنيا كيف هي بعد أن ذكر أنه يُعجِب الكفار نباته ذكر ما سيؤول وذكر النتيجة حتى ينتقل منه إلى الآخرة . قال *ثم يهيج* يتحرك أول مرة ثم ييبس، هاج تأتي بمعنى يبس وتأتي بمعنى تحرك في النمو ثم يبس، هاج الزرع تأتي في اللغة بمعنى يبس الزرع وفي القرآن. يبس فتراه مصفراً. لكن بالنسبة للسؤال *فتراه

مصفراً* الإسناد يختلف عن يهيج ويكون حطاماً ما قال ثم يكون مصفراً هذا يدلنا على زوال الزينة لأن الزينة تتعلق بالناظر لأنه قال قبلها *وزينة * لما قال فتراه مصفرّاً أي زالت الزينة بالنسبة للناظر لأن الزينة تتعلق بالناظر وإلا لماذا يتزين؟ لذا قال *فتراه مصفراً* . الخطاب موجّه لكل سامع ولكل ناظر *فتراه مصفراً* كما قال تعالى *وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ *١٦* الحجر* لأن الزينة تتعلق بالنظر لذلك الأعمى لا يرى الزينة فالزنية ليست للعُمي وإنما للمبصرين. *فتراه مصفراً* أي الزينة زالت لأنه علّقها بالرؤية لأن الزينة تتعلق بالرؤية . ولم يقل وتراه حطاماً أنت تراه حطاماً لكن أحياناً الذي تراه أنت حطاماً له قيمة كبيرة والقيمة لا تتعلق بالرؤية لكن الزينة تتعلق بالرؤية . أنت قد ترى حطاماً لكنه قد يكون ثميناً جداً وقيمته عالية لا تقدر الأمور بما ترى . الحجر الصناعي أجمل من الطبيعي لكنه ليس أغلى منه هذا الأمر لا يتعلق بالرؤية . هذا يكون حطاماً وليس تراه حطاماً إذا رأيته حطاماً هذا لا يتعلق بقيمته لأن الرؤية لا تقدّر القيمة وإنما تقدّر الزينة ، قد يراه حطاماً وفيه فائدة كبيرة أنت تراه هكذا ولكنك لا تحسن تقديره. *ثم يكون حطاماً* أي أصبح حطاماً لا فائدة فيه ولا يتعلق برؤيتك له وتقديرك، رؤيتك تتعلق بالزينة .

هذا الأمر في تقييم حقيقة الأمر وقيمته الحقيقية وهذا لا يتعلق بالزينة وإنما يتعلق بالمعرفة الحقيقية والقيمة الحقيقية فقال *ثم يكون حطاماً* أصبح حطاماً لا فائدة فيه. إذن فرق بين تراه مصفراً وثم يكون حطاماً. *فتراه مصفراً* يعود على الزينة وعلى رؤيتك للشيء أما يكون حطاماً فهو حقيقة الأمر ذهبت الحياة الدنيا وتحطمت ولم يبق فيها شيء *اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو* تحطمت وذهبت زينتها وأصبحت حطاماً فلِم تغترّ بهذا؟ لو قال في خارج القرآن فتراه مصفراً ثم تراه حطاماً لا يُفهم هذا المعنى أنت تراه ولكن لا تقدّر قدر الشيء لكن ما يعرفه أصحاب الشأن قد ترى أشياء حطاماً تراها حطاماً ولا تقدّر قيمتها لكن هناك صاحب شأن من يعرف قيمتها وفرق بين تراه وبين يكون. الإسناد في *فتراه* لكل ناظر.

* ما دلالة اتسعمال *ثم* والفاء في الآية *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا* ؟

لما قال يهيج انتهى . هي كلها *ثم والفاء* عاطفة لكن الفاء للترتيب والتعقيب و *ثم* للترتيب والتراخي أي مدة . *ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ *٢١* ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ *٢٢* عبس* الميت يُقبر فوراً *فأقبره*ثم* للتراخي *ثم إذا شاء أنشره* النشور بعد الموت بآلاف السنين وليس مباشرة . *ثم يهيج* يبس *فتراه مصفراً* فوراً تراه مصفراً فاستعمل الفاء. *ثم* تحتاج لوقت.

* في هذه الآية قال تعالى *ثم يكون حطاماً* وفي آية أخرى قال *ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا *٢١* الزمر* فما الفرق؟

لو عدنا إلى السياق وقراءة كل آية يتضح الفرق. هذه الآية عرفناها، كل الكلام عن الغيث وما يخرج منه. في آية الزمر قال تعالى *أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ* هو الذي أنزل ما قال في آية الحديد أنزل غيثاً وإنما قال *كمثل غيث* لم ينسبه إلى نفسه سبحانه، *فسلكه ينابيع في الأرض* الله سبحانه وتعالى هو الذي سلكه، *ثم يخرج به زرعاً* الله سبحانه وتعالى يُخرِج، *ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً* الذي أنزل من السماء ماء وسلكه ينابيع في الأرض وأخرج به الزرع هو الذي جعله حطاماً. ولو قال يجعله حطاماً في آية الحديد ليس هناك إسناد لله سبحانه وتعالى أما في سورة الزمر فالاسناد لله تعالى ابتداء من أول الآية إلى آخرها

هو الذي جعله حطاماً. في آية الحديد ليس هناك إسناد لله تعالى أما في الزمر فالاسناد لله تعالى ابتداء.

* هل الماء والغيث كلاهما مطر؟

ذكر الغيث في آية الحديد وماء في آية الزمر وهناك فرق بين الماء والغيث لكن الماء والغيث في الآيتين هو ما ينزل من السماء لكن هذا الماء الذي ينزل من السماء قد يكون غيثاً وقد يكون مطراً بحسب التعبير القرآني. المطر يستعمله الله سبحانه وتعالى في العقوبات *وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ *٨٤* الأعراف* لم يستعمل القرآن المطر إلا في العقوبة *وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ *٤٠* الفرقان*وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ *٧٤* الحجر*وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ *١٧٣* الشعراء* أما الغيث فيستعمله في الخير. هذا في الاستعمال القرآني أما في الحديث فاستعمل المطر للخير ولكن للقرآن خصوصية في الاستعمال اللغوي نخصص لها إن شاء الله تعالى حلقات لنتحدث عنها لأنه موضوع كبير. والعرب فهمت هذا الفرق من الاستعمال. *وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ *٢٨* الشورى * . إذن في القرآن الكريم يذكر المطر للعذاب.

* ما دلالة تقديم العذاب على المغفرة في الآية *وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ* ؟

العذاب يسبق المغفرة والرضوان في الآخرة : عذاب الموقف قبل الحساب وقبل القضاء والدخول في الجنة أو النار والناس ينتظرون خمسين ألف سنة قبل القضاء، هذا العذاب الأول. ورود النار لجميع الخلق *وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا *٧١* مريم* هذا عذاب قبل دخول الجنة ، قسم من الناس يعذّبون ثم ينتهي عذابهم ثم يخرجون إلى الجنة وليس العكس لا يمكن أن يكون أحد في الجنة ثم يدخل النار، إذن العذاب يسبق المغفرة . وتقديم المغفرة على الرضوان لأنها تسبق الرضوان لأن الرضوان في الجنة والمغفرة قبلها حتى يدخل الجنة يجب أن يكون هناك مغفرة إذن العذاب قبل المغفرة والمغفرة قبل الرضوان.

ونلاحظ أنه في العذاب قال تعالى *عذاب شديد ومغفرة من الله* ولم يقل عذاب من الله لكن في المغفرة قال ومغفرة من الله للدلالة على سعة رحمة الله تعالى ما ذكر الجهة المعذّبة وإنما قال *عذاب شديد* بينما في المغفرة نسبها له سبحانه وتعالى فقال *ومغفرة من الله* لا ينسب تعالى السوء إلى نفسه أبداً *وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا *١٠* الجن* مع أنها إرادة الله تعالى في الحالين. وكذلك قوله تعالى *وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ *٨٠* الشعراء*وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ *٥١* فصلت* .

* في آية الحديد قال تعالى *ومغفرة من الله ورضوان* وفي مواضع أخرى في القرآن استعمل مرضاة وغفران فما الفرق؟

عندنا المغفرة وغفران ورضوان ومرضاة . كلمة غفران لم ترد إلا في موطن واحد في قوله تعالى *غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ *٢٨٥* البقرة * في طلب المغفرة من الله تعالى . إذن كلمة غفران مخصصة بطلب المغفرة من الله تعالى ، هذه دعاء أي نسألك المغفرة *غفرانك ربنا* . إذن غفران تستعمل في طلب المغفرة ومن الله تعالى تحديداً. المغفرة لم تأت في طلب المغفرة أبداً وإنما جاءت في الإخبار وفي غير الطلب *وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً *٢٦٨* البقرة *وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ *٦* الرعد* . في طلب المغفرة فقط يستعمل كلمة غفران ومن جهة واحدة وهي المغفرة من الله عز وجل. لم تأت المغفرة في الطلب وقد تأتي من غير الله سبحانه وتعالى كما في قوله *قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ *٢٦٣* البقرة * قد تأتي من العباد. إذن المغفرة ليست خاصة بالله سبحانه وتعالى ولها أكثر من جهة ولم يستعملها القرآن في طلب المغفرة . الغفران مختصة بطلب المغفرة ومن الله تعالى تحديداً.

مرضاة ورضوان: الرضوان من الله سبحانه وتعالى فقط ولم ترد في القرآن من غيره *يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ *٢١* التوبة *أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ *١٠٩* التوبة *. المرضاة من الله تعالى ومن غيره ولم تستعمل في القرآن إلا في ابتغاء وطلب الرضا من الله تعالى ومن غيره *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ *١* التحريم*وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ *٢٠٧* البقرة * في الابتغاء وفي طلب الرضا فقط أما الرضوان فهو في الابتغاء وغير الابتغاء. الرضوان عام وخاص بالله سبحانه وتعالى والمرضاة أخصّ من الرضوان وهو من الله تعالى وغير الله وهذه أيضاً من خصوصيات القرآن الكريم في الاستعمال اللغوي.

آية *٢١* :

*سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢١ *

* نظرة عامة على الآية :

قال الله تعالى *سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ* بعد أن ذكر الدنيا ومآلها في الآية السابقة *كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ* وجهنا ربنا سبحانه وتعالى إلى المسابقة في الخير. لأن كانت هناك مسابقة دنيوية اللعب فيه نوع من المسابقة وهناك مسابقة في التفاخر واللهو والزينة والتكاثر هو تباري ومسابقة فبدل هذه المسابقة في أمور الدنيا التي ستكون حطاماً ألا أدلكم على ما هو خير من ذلك؟ وهو المسابقة إلى طلب المغفرة وإلى الجنة فقالوا *سابقوا* بدل تلك المسابقة في الدنيا من اللعب والتفاخر والتكاثر فقال ألا أدلكم على أفضل من هذه المسابقات التي ستكون حطاماً نسابق إلى مغفرة من ربنا والمسابقة إلى الجنة *أعدت للذين آمنوا* ثم قال *ذلك فضل الله* إذن أمرنا ووجهنا إلى المسابقة في الخير إلى مغفرة من الله سبحانه وتعالى . هكذا تكون المسابقة وليست المسابقة في اللعب واللهو والتفاخر.

* هذه الآية تتعلق بما قبلها ففي هذه الآية قال *مغفرة من ربكم* وفي الآية قبل قال *مغفرة من الله* ؟

هنا أمر عباده المؤمنين ووجههم إلى المسابقة وهو ربهم والرب هو الموجه والمرشد إلى ما هو خير فقال *سابقوا إلى مغفرة من ربكم* والمعلم والقيم أما الله فهو لفظ الجلالة تأتي من العبادة ، المعبود. الله اسم العلم الذي يُعرف به سبحانه وتعالى والباقي صفات *الرحمن الرحيم* هذه صفاته، المقصود بالاسماء الحسنى صفاته. الله تعالى له صفات كالرحمن صفة من صفاته واسم له لكن اسمه العَلَم الله.

الفرق بين الاسم والصفة ؟ اسم العلم هو ما يسمى به الشخص وفي أسماء العلم في الدنيا هو ما أطلقه عليه أبويه في الدنيا أما الصفة فهو ما يتصف به كأن تقول الشارع أو الفقيه هذا ليس اسم علم. اسم العلم قد يكون مرتجل يعني يُطلق هذا وليس منقولاً من وصف وقد يكون منقولاً من وصف *كريم، فاضل، محمد* منقول من وصف أو من مصدر أو من وصف آخر أما المرتجل فسمي هكذا. الله هو اسم لله تعالى لما تقول منقول يجب أن يكون منقولاً عن شيء آخر منقول من صفة أو من اسم جنس مثل أسد وذئب. المرتجل أُطلق عليه ابتداء. حتى لو كان لكلمة الله اشتقاق *أكثر اللغويين على أنها مأخوذة من أله وقسم يقول بمعنى تحير، هو الإله والمعبود ثم سقطت الهمزة أصلها الإله المعبود معرّفة بـ أل سقطت الهمزة وأدغمت اللام باللام وصارت الله* ويدل على أنها في الأصل معرفة بأل أنها لا تنون مع أنها ليست ممنوعة من الصرف *الممنوع بالصرف يجر بالفتحة * ، المنصرِف ينوّن وهذه ليست منونة فهي في الأصل معرّفة . الرب معناها المربي والمالك ونقول رب الدار *إنه ربي أحسن مثواي* لأن الرب قد يقال للشخص فهو المربي والسيد والمرشد والقيم والمالك.

قال من ربكم لأنه أمر عباده ووجههم وأرشدهم إلى ما فيه خير أما هناك فليس خطاباً لأحد *كمثل غيث* ليس خطاباً وإنما هو وصف للدنيا *ومغفرة من الله* هذا وصف وليس خطاباً. أما الأخرى فهو توجيه وخطاب ومسابقة *مغفرة من ربكم* هذا أمر وهناك وصف للدنيا الطبيعي أن يقول مغفرة من الله لأنه لا يخاطب أحدنا *كمثل غيث* ليس خطاباً أما *مغفرة من ربكم* فيها خطاب لأنه مضافة إلى ضمير المخاطبين *كم* . الهدف واحد لكن في آية مخاطبين والثانية كلام عام وصف للدنيا.

* ألا يظن أحدهم أن هناك والعياذ بالله من يسمى الله ومن يسمى الرب؟

الله هو الرب *الحمد لله رب العالمين* هذه من أسمائه وصفاته التي تذكر، الرحمن الرحيم هل نقول أنه واحد آخر وإذا قلنا الرزاق أو الرحمن أو غيره هل يكون هناك ٩٩ إلهاً.

* في هذه الآية قال تعالى *سابقوا* وقال *وسارعوا* في آل عمران؟

هذا ذكرناه قبل سنوات وأشرنا إلى هاتين الآيتين في سؤال ويعاد السؤال الآن مرة أخرى وهناك أكثر من اختلاف في الألفاظ. آية الحديد *سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢١ * وآية آل عمران *وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ *١٣٣* الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *١٣٤ *

المفارقة ليست بين سابقوا وسارعوا فقط وإنما في الآية كلها فهو قال *كعرض السماء* في آية الحديد جاء بكاف التشبيه والسماء مفردة وفي آل عمران لم يأت بكاف التشبيه وقال السماوات جمع. في آل عمران قال أعدت للمتقين وفي الحديد قال للذين آمنوا بالله ورسله. ثم أضاف في آية الحديد *ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء* . إذن ليست مسألة سابقوا وسارعوا فقط.

الحديد ... آل عمران

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ ... عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ

أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ... أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء

*** سابقوا وسارعوا:**

المسارعة أنت قد تسارع بنفسك إلى الأمر *إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ *٩٠* الأنبياء* أما المسابقة فتقتضي أكثر من واحد حتى تكون مسابقة . لا بد أن يكون أكثر من متسابق. المسارعة قد تكون لوحدك أنت تسارع إلى الامتحان لكن المسابقة تسابق غيرك للوصول إلى المركز الأول. المسارعة سرعة أما المسابقة هي سرعة وزيادة .

***كعرض السماء*عرضها السماوات والأرض* :**

قدّم المغفرة على الجنة لأن المغفرة تسبق دخول الجنة .

ما الفرق بين السماء والسماوات؟ إذا عرفنا الفرق نفهم التشبيه لِماذا حصل. السماء في القرآن وفي اللغة إما أن يكون :

*** واحدة السماوات السبع *وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ *٥* الملك* السماوات السبع كل واحدة منها تسمى سماء السماء الأولى إلى السابعة .**

o والسماء قد يقال لكل ما علاك فالسحاب يسمى سماء *وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء *٢٢* البقرة * الجو *أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء *٧٩* النحل* السقف سماء بنصّ القرآن *فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ *١٥* الحج* إلى سقف بيته *السبب هو الحبل* من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليخنق نفسه فالسقف سماء. *كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء *١٢٥* الأنعام* فضاء، السحاب قال *اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء *٤٨* الروم* . كل ما علا الإنسان فهو سماء لا يشترط أن يظلّك .

إذن السماء إما أن تكون واحدة السماوات السبع وإما أن تكون لكل ما علاك. الأوسع هي السماء لأن السماوات ستكون قسماً من السماء *وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ *٧٥* النمل*قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ *٤* الأنبياء* لكن قال *قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ *٦* الفرقان* لأن القول فيه سرٌ وعلن يعني قلت في نفسي يصير سراً فالقول أوسع من السرّ *وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ *٨* المجادلة * هذا سر وعلن فلما قال يعلم القول قال في السماء لأنها أوسع لما قال السر وهو جزء قال السماوات.

*** كعرض السماء وعرضها السماوات:**

السماء أوسع من السماوات فجاء بكاف التشبيه *كعرض السماء* هي مشبّهة كعرض السماء لأن السماء أوسع بكثير من السماوات فجاء بكاف التشبيه لأن المشبه دون المشبه به. المشبه هو الجنة والمشبه به السماء والأرض فلما اتسعت اتساعاً هائلاً جداً شبّه ولما حدّد لم يحتاج التشبيه. في آل عمران *عرضها السماوات والأرض* فعلاً عرضها السماوات والأرض هكذا أخبرنا تعالى أن الجنة عرضها عرض السماوات والأرض. يعني جنة آية الحديد أوسع من جنة آل عمران.

في آية الحديد أعدت الجنة للذين آمنوا بالله ورسله وهم أكثر من المتقين التي ذكرت في آل عمران. المتقين جزء من الذين آمنوا بالله ورسله فلما اتسع العدد استعمل الكثير *السماء* . ليس كل الذين آمنوا بالله ورسله من المتقين. لم يقل وعملوا الصالحات وإنما قال *الذين آمنوا بالله ورسله* هذا فضل عظيم قال الذين آمنوا بالله ورسله أما في آل عمران فهي أخص لأنه لم يقل فقط المتقين وإنما المتقين الذين ينفقون *أعدت للمتقين* لما اتسع الخلق المكان يجب أن يتسع *السماء* لما خصص المتقين خصص *عرضها السماوات* .

أيها فيها تفضل أكثر؟ أن يدخل عموم الذين آمنوا بالله ورسله أم المتقين؟ الذين آمنوا فقال ذلك فضل الله لأن الفضل كبير جداً أدخل الجنة كل من آمن بالله ورسله فقال *ذلك فضل الله* .

نلاحظ قال سابقوا وهي المسارعة وزيادة ، وقال السماء وهي السماوات وزيادة وقال الذين آمنوا وهي المتقين وزيادة وزاد ذلك فضل الله.

في آل عمران خصص المتقين وقال الذين ينفقون فضيّق الدائرة وهذه لها علاقة بما قبلها لأنه في آل عمران طلب الأمر بالتقوى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *١٣٠* وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ *١٣١ * فناسب *أعدت للمتقين* ، قال قبلها اتقوا الله واتقوا النار فقال أعدت للمتقين. *الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء* وقد نهى عن أكل الربا *لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً* ثم قال المتقين الذين ينفقون بعكس آكل الربا *الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء* هذا يأخذ من الناس وهذا ينفق في السراء والضراء لما تقدم الأكل على الربا لأن الأكل هو الأخذ من الناس والذي ينفق هو يعطي الناس. المؤمنون ينفقون في الشدة حتى في السراء والضراء وآكل الربا يأخذ مال الذي وقع في الشدة ، يأكل من مال من وقع في الشدة واضطر للإستدانة وهذا ينفق في شدته ورخائه.

* في القرآن نجد اتقوا الله واتقوا النار؟ فكيف نتقي الله؟

نحمي أنفسنا من الله *وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ *١٩٧* البقرة * يجب أن نحاذر من عقابه نبتعد عن محارمه وأصل التقوى الحذر شبهوها بالذي يمشي في أرض مشوكة يحذر يشمر ثيابه ويتحسس موقع أقدامه. والتقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك. أن نأتمر بالأوامر وننتهي عن النواهي.

آية *٢٢* :

*مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ *٢٢ *

* هل هناك من رابط بين هذه الآية وما سبقها؟

قبلها تكلم عن الحياة الدنيا تكون حطاماً، هذه مصيبة وهنا وجهنا إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة في *سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ* فهذه المصيبة التي وقعت في الأرض لما قال *اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ* كلها أصبحت حطاماً وقعت في النفس وفي الأرض إذن هذه مصائب وقعت في الأرض والأنفس وذكر الأموال وذكر الأنفس. فذكر أن كل مصيبة تقع

في الأرض وفي الأنفس وتحل إلا هي مدونة مكتوبة قبل أن تقع وهي يسيرة على الله سبحانه وتعالى . كل ما أصابكم وما يصيبكم في المستقبل، ما أصاب من مصيبة في الأرض من كوارث وما إلى ذلك وفي الأنفس إلا مدونة مكتوبة كتبها ربنا عنده في كتاب *الكتاب هنا اللوح المحفوظ الذي كتب فيه ما كان وما سيكون إلى يوم الدين* . كلها مدونة في كتاب قبل أن تقع لذا ينبغي أن نوجه أنفسنا إلى أمر آخر وهو المسابقة إلى الآخرة حيث لا مصيبة لا تقع فيها مصائب ولا يقع فيها شيء إذن هي مرتبطة بالآيتين التي قبلها. فقال لنا ما حلّت وما وقعت من مصيبة في الأرض ولا في الأنفس إلا وهي مدونة فلِمَ التأسف؟، قبل أن نخلقها، قبل أن نوجدها، من قبل أن نبرأها.

* قال *ما أصاب* هل أصاب بمعنى حل أو وقع؟

القرآن لا يستعمل مع المصيبة إلا أصاب ولم يستعمل فعلاً آخر لم يقل وقعت مصيبة أو حلّت مصيبة إنما يستعمل أصاب ومتصرفاتها ما تصرّف منها. أصاب أصلها من الإصابة والإصابة أصلها ضد الخطأ *أصاب فلان الهدف أي لم يخطئه، أصاب فلان في كلامه أي لم يخطئ* رب العالمين بين لنا أن المصائب هي مقدرة وقد أصابت موقعها المقدر لها لم تخطئه. لا تتصور أن هذه المصائب وقعت عشوائياً وإنما اصابت موقعها المقدر لها لم تخطئه فلم الأسى ؟ إن يستعمل أصاب ولم تقع عشوائياً ولا تؤدي حلّت أو وقعت هذا المعنى . لكن أصابت أي أصابت موقعها المقدّر لها لم تخطئه.

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ قدم المصيبة في الأرض على النفس؟

الأرض هي مقدمة من حيث الخِلقة ، الأرض تسبق لأن الأرض مهيأة لمن عليها من الأشخاص والمصائب في الأرض قبل أن تقع في الأنفس، المصائب في الأرض هي تقع فيها كوارث من فيضانات وغيرها قبل أن يوجد البشر إذن المصيبة في الأرض أسبق من مصيبة الأنفس ولذلك قدمها *مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ* قدم الأرض لأنها وقعت قبل الأنفس.

ما فائدة *من* ؟ هذه تسمى في اللغة مِنْ الاستغراقية التي تستغرق كل ما دخلت عليه. *وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ *٦٢* آل عمران* استغرقت جميع الآلهة . *أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ *١٩* المائدة * تستغرق كل ما دخلت عليه. لما تقول ما جاءني رجل فيها احتمالين أنه ما جاءك رجل وإنما رجلين أو أكثر وما جاءني رجل أي واحد من هذا الجنس أما ما جاءني من رجل تستغرق الجنس بكامله لم يأتك لا واحد ولا أكثر من هذا الجنس. ما أصاب من مصيبة أي أي مصيبة كبيرة أو صغيرة لم يشذ عنها مصيبة واحدة فيما يحدث في كل الدنيا لا يمكن أن تقع مصيبة إلا وهي مدونة في كتاب وخارج الكتاب لا تقع وهذا على سعة علم الله وإحاطته بالأشياء صغيرة أو كبيرة حيثما وقعت هي مدونة مكتوبة في كتاب من قبل أن تقع.

* في الحديد قال *مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ* وفي الشورى *وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ *٣٠ * ؟

أصاب مطلق لم يقيدها بمصاب معين، *ما أصاب* لا قيّدها في مكان ولا في شخص، بينما *ما أصابكم* هناك مخاطبين لا تتعلق بالأرض فهي للمخاطبين تحديداً لأنه قال *فبما كسبت أيديكم* لما قال فبما كسبت أيديكم خصصها فذكر المصائب التي تصيبنا بما كسبت أيدينا, لما قال ما أصابكم عندما خصص قال بما كسبتم أيديكم لما خصص خصص وفي الثانية أطلق فقال أصاب لم يقل بما كسبت أيديكم *ما أصاب* وعندنا في آية أخرى في التغابن *مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ *١١ * . *ما أصابكم* خاصة و *ما أصاب* عامة مطلقة .

* في الحديد *مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا* لماذا لم يقل من قبل أن تقع؟

في الآية يدل على العلم والقدرة لما قال *إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا* دل عل علمه وقدرته .
نبرأها يعني نوجدها وهي أحد معاني الخلق. الخلق له معاني وقد ينسب إلى الإنسان تقول خلقت هذا الشيء كما قال عيسى *أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ *٤٩* آل عمران* يأتي بمعنى التصوير. بمعنى من المعاني الخلق يعني الإيجاد. قال نبرأها بدل نوجدها. الله تعالى يستعمل اسم البارئ بمعنى الخالق. لم يقل من قبل أن تقع لأن هذه الآية تدل على العلم والقدرة : االعلم أنه في كتاب و *من قبل أن نبرأها* أي هو الذي أوجدها إذن دل على علمه وقدرته ولو قال من قبل أن تقع دل على علمه فقط ولا يدل على القدرة . نبرأها هو الذي أوجدها فيها علم وقدرة ، علِم بها فدوّنها وأوجدها فيها قدرة . لو قال من قبل أن تقع لا تدل على القدرة وإنما على العلم فقط. لما قال من قبل أن نبرأها دل على العلم والقدرة وتدل على التوحيد إذا كان يبرأها كلها فأين الآلهة الأخرى التي يزعمون؟ يدل على القضاء والقدر لأنها مدونة في كتاب ويدل على التوحيد ونفي الشرك.

ضمير النصب في نبرأها على من يعود؟ المصيبة أو الأنفس أو الأرض؟ يعود على جميعها قبل خلق الأنفس والأرض والمصيبة وهذا علم عظيم، عندما قال من قبل أن نبرأها أطلقها. لا يمكن أن يقول نبرأهم لأنها للذكور للعقلاء ولا نبرأهنّ تعني ثلاثة ، لكن نبرأها أكثر لأن ضمير غير العاقل لو عندنا ضمير غير عاقل في الجمع الجمع القليل نأتي بضمير الجمع وللقليل نأتي بالإفراد. مثال *إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ *٣٦* التوبة * قال منها لم يقل منهن *فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ* لما قال أربعة قال فيهن بضمير الجمع ولما قال اثنا عشر قال منها وجاء بالإفراد. إذا كان الضمير لغير العاقل إذا كان كثيراً نأتي بضمير الإفراد وإذا كان قليلاً أي أقل من عشرة نأتي بضمير الجمع. العرب لما يؤرّخون يقولون: لثلاث خلون، لأربع خلون، لإحدى عشرة ليلة خلت، لما يتجاوز العشرة يقولون خلت.

ضمير الفاعل للتعظيم *النون في نبرأها جمع التعظيم* جاء بعدها بالمفرد *إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* ما قال علينا وهذا تعبير في القرآن حيث يذكر ضمير التعظيم في جميع القرآن يأتي بعده أو يسبقه ما يدل على الإفراد. ليس في القرآن موطن فيه ضمير التعظيم إلا أن يكون قبله أو بعده ما يدل على الإفراد. *إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر* هذا في جميع القرآن حيث ذكر ضمير التعظيم لا بد أن يسبقه أو أن يأتي بعده ما يدل على الإفراد.

إن ذلك على الله يسير ما فائدة التقديم؟

هذه للحصر أي على الله يسير حصراً لو قال يسير على الله قد يكون يسيراً على غيره لما تقول هذا هيّن عليّ هذا ليس حصراً هين عليّ قد يكون هين على غيرك. *قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ *٩* مريم* أي حصراً وفائدة التقديم الحصر لا يكون يسيراً على غيره.

آية *٢٣* :

*لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *٢٣ *

* نظرة عامة على الآية :

الآية التي توقفنا عندها هي قوله تعالى *لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* ذكر ربنا أنه *مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ *٢٢ * فإذا كان كل ذلك مدوّن فلماذا نأسى على الفائت فنحزن حزناً كثيراً ويطغينا ما يأتينا *وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ* ونختال على خلق الله ونفخر عليهم؟ لماذا نأسى

على الفائت أسى كثيراً يؤثر علينا ويجعلنا في هم كبير وشغل شاغل؟ ونفرح بحيث يطغينا هذا الفرح على ما يأتينا من الخير. الأسى بمعنى الحزن ولا تفرحوا الفرح المطغي بحيث يجعلك تختال على خلق الله وتفخر عليهم فإذا كان مما آتاك الله فلماذا الاختيال والفخر على خلق الله؟ *وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* توطين للنفس على قبول ما يحصل له من ضر وعدم الإختيال على عباد الله بما يؤتيه الله تعالى له من النِعم.

* تأسوا بمعنى تحزنوا واستخدمها القرآن في آل عمران *إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٥٣ * ما اللمسة البيانية في الآيتين؟

كِلا الفعلين يدل على الحزن عندنا حزِن يحزَن وحزَن يحزُن، حزِن يحزَن فعل لازم ليس متعدياً تقول حزِن عليه و *وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ *٨٨* الحجر* ، *فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ *٧٦* يس*الكاف مفعول به* .حزَن يحزُن متعدي، حزنني وأحزنني *قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ *١٣* يوسف* . اللغة العليا حزَن يحزُن وتستعمل أحزن أيضاً، أحزن من حَزَن. الفعل أسي يأسى يسمونه الباب الرابع *لكيلا لا تأسوا* وأسى بمعنى حزن أيضاً *فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ *٩٣* الأعراف* هي أأسى ، فهو أسي يأسى ، كلاهما يفيد الحزن لكن الفارق بين لكيلا تحزنوا ولكيلا تأسوا في الحزن مشقة أكثر وشدة لأنه قريب من معنى الحزْن الذي هو الغلظ والشدة في الأرض *اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزْن إذا شئت سهلاً* الحزْن أي الصعب وتقال للأرض الصعبة . إذن الحزن فيه غِلظ وشدة في الأرض والحُزن هو الغلظ والشدة في النفس. أيهما أثقل؟ الحُزن أثقل على النفس من الحزْن ، الحزْن تجتازه وانتهى الأمر أما الحُزن فيبقى في النفس. الحَزن فتحة والحُزن ضمة فاختاروا الضمة لما هو أثقل لأنها تتناسب اللفظة مع مدلولها أو المعنى .

* هل هناك تفاضل بين الحركات الإعرابية ؟

هي ليست هكذا ولكن عندنا الفتحة أخف الحركات تليها الكسرة والضمة أثقلها لاحظنا أن العرب تراعي كثيراً من هذه الأمور تجعل الثقيل للثقيل سواء في الحركات أو في اللفظ عموماً وليس فقط في الحركات وتناسب اللفظ والمعنى ، لما يتحول الفعل إلى فعُل يتحول إما للتعجب أو للمدح والذم أو المبالغة أو التحوّل مثل فقِه وفقُه، فقُه صار فقيهاً أما فقِه فجزئية ، عَسِر وعَسُر، عسِر عليه الأمر أما عسُر فالأمر هو عسير. خطَب ألقى خطبة وخَطُب صار خطيباً. الحركة تغير الدلالة تماماً. *جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ *٢٣* الرعد* ما قال صلُح قال من صلَح رأفة بالعباد . صلُح أي صار صالحاً إلى حد كبير من الصلاح والله تعالى من رحمته بعباده يكفيه أن يكون الإنسان صالحاً لا أن يبلغ ذلك المبلغ في الصلاح. هذه قاعدة عامة لكن السماع هو الذي يقطع بذلك أحياناً.

لكيلا تأسوا ولا تحزنوا "اتضح أن الحزن أشد من الأسى معناه تحزنوا أشد من تأسوا. ننظر في السياق ونقدّر: في *إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ* هذا الكلام بعد واقعة أُحد وما حصل لهم من شدة ومشقة وهزيمة وجراح وما فاتهم من الغنائم كانت شديدة عليهم قال تعالى *فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ* . الحُزن في أحد على أمرين على ما فاتهم وعلى ما أصابهم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنائم ولا ما أصابهم من الجراح فالحزن على أمرين على ما فاتهم وعلى ما أصابهم. أما في الحديد *لكيلا تأسوا على ما فاتكم* أمر واحد *ولا تفرحوا بما آتاكم* هذه نعمة تفرحوا بما آتاكم من النعم. في أُحُد أمران في الحزن فقطعاً

في أحد الحزن أكثر لأن الحزن على أمرين ما فاتهم وما أصابهم أما في الحديد فالحزن على ما فاتهم فقط. بعد معرفة الفرق بين حزن وأسي نضع الحزن في آية آل عمران وتأسوا في آية الحديد وكل كلمة في مكانها البلاغي ولا يوجد ترادف في القرآن الكريم وإنما هو حتى عند اختيار لغة على لغة يكون مقصوداً، كل كلمة لها دلالة واختيارها له سبب مقصود فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل كلمة كل عبارة كل حرف مقصود."

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ما اللمسة البيانية في *فاتكم* و *آتاكم* ؟

على ما فاتكم من الخير وأسند الفوت إلى الشيء نفسه و *ما* بمعنى *الذي* ، ولا تفرحوا بما آتاكم، من الذي آتانا؟ الله هو الذي آتاهم ولم يقل ما أتاكم. آتاكم أي الله تعالى آتاكم *فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم *٣٦* النمل* أما أتاهم فمن نفسه. آتاكم الفاعل هو الله تعالى وليس الشيء نفسه أما أتاكم فالفاعل هو الشيء الشيء أتاهم من نفسه. آتاكم أي ما آتاكم الله تعالى والله تعالى أسند الخير إلى نفسه وهذه قاعدة في القرآن الكريم *وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ *٥١* فصّلت*وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا *١٠* الجن* لم يقل بما أفاته عليكم أو بما فوّته عليكم لم ينسبه إلى نفسه. القدر خيره وشره من الله تعالى لكنه قال وإذا مسه الشر. نسب الخير والفرح إلى نفسه تعالى ونسب الفوت إلى الشيء نفسه ولم يجعلهما سواء. في التعبير الطبيعي لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم من الخير فالإنسان يفرح بالخير، لكنه قال بما آتاكم الله من الخير ولم يجعلهما سواء في التعبير لم يقل بما أفاته عليكم أو بما فوّته عليكم لم ينسبه إلى نفسه وكذلك الإيتاء أسنده إليه سبحانه وتعالى .

* ختمت الآية *وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* وفي لقمان قال *إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *١٨ * ما دلالة التأكيد في لقمان؟

المختال هو المتباهي على الخلق المتكبر والفخور يفخر عليهم لكن إحداهما في السلوك والأخرى في القول. المختال في السلوك والفخور في القول فنهى عن ذلك يذكرون آباءهم بالشعر كما فعل العرب في الشعر. فربنا سبحانه وتعالى لا يحب التكبر لا في القول ولا في السلوك فجمعهما. مختال من فعل إختال وكلاهما للمبالغة مختال وفخور كلتاهما صيغتا مبالغة . إختال أصل الفعل خال أي تكبّر واختال هو الزيادة في التكبّر *افتعل* مثل جهد واجتهد وصبر واصطبر وفخور من فعول وهي من أشد صيغ المبالغة . مختال صيغة من غير الثلاثي من إختال فعل خماسي وفخور من الثلاثي، صيغ المبالغة لا تأتي من غير الثلاثي إلا الأسماء.

قدم التكبر في الفعل على القول لأن الإنسان يتباهى بما عنده إذا جاءه مال ثم يتكلم وأحياناً قد لا يكلم الناس.

في لقمان ختمت الآية بالتأكيد بـ *إن* . آية لقمان في آداب المعاملات والتصرف بين الناس *وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *١٨* وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ *١٩ * وذكر ما هو أسوأ مما ذكر في الحديد *وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ* وإنما قال *لا تفرحوا بما آتاكم* . صعّر خده أي أمال خدّه تكبراً. فذكر ما هو أسوأ في لقمان *وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا* ولم يذكر هذا في الحديد لذا احتاج التأكيد في آية سورة لقمان لأنه ذكر فيها الأكثر اختيالاً سوءاً والآيات في حسن التصرف مع الناس. كل ما ذكره في آية لقمان في المعاملات مع الناس وذكر من الصفات ما هو

أسوأ فاحتاج للتأكيد ولا يمكن أن يكونا بمرتبة واحدة وخاصة في أمور الكِبر وهذه مقاييس للتعبير دقيقة .

آية *٢٤* :

*الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ *٢٤ *

* نظرة عامة على الآية :

هذا وصف آخر للذين لا يحبهم الله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون، *الذين يبخلون* هي ليست معطوفة على ما قبلها لأنه ليس هناك حرف عطف. على رأي جمهور النحاة هذه بدل لـ *كل مختال فخور* وعلى رأي بعض النحاة على أنها نعت، صفة . أصل التقدير خارج القرآن والله لا يحب الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أي الذين وصفهم هكذا. سبب الاختلاف بين الجمهور والأخفش أنه عند الجمهور أن الصفة تطابق الموصوف تعريفاً وتنكيراً فلما قال *كل مختال فخور* هذه نكرة و *الذين يبخلون* معرفة فلا يجوز أن تعرب نعتاً لأنهما اختلفتا في التعريف والتنكير إختل الشرط. أحياناً البدل فيه معنى الوصفية . الأخفش يجيز أنه إذا كانت النكرة مخصصة موصوفة أن تعرب نعتاً لقوله تعالى *ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالاً*الذي* صفة لما بعدها، إذا كانت النكرة مخصصة بشيء يمكن. *وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته* نكرة ومعرفة *الذي* صفة لمقام محمود وعلى رأي الجمهور يقول أنها بدل. يجوز قول وابعثه المقام المحمود وهذه ليس فيها إشكال.

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ هذا وصف آخر لمن لا يحبهم الله فيبخلون بما آتاهم الله لا يكتفوا بأنهم يبخلون وإنما يأمرون الآخرين بالبخل ومن دواعي ذلك حتى لا يُذكَر أحدهم بخير ويتساوون لأنه إذا أنفق واحد قد يُذكر بخير وهو لا يريد أن يذكر أحد غيره بخير فيكونون سواء كما قال تعالى في المنافقين *وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء *٨٩* النساء*.

ومن يتول أي يُعرض عن الأشياء التي أمر الله بها فإن الله هو الغني.

* ختمت الآية بقول *الغني الحميد* لماذا لم ترد مثلاً فإن الله غني حميد مع أنها وردت في صيغ متعددة *هو الغني الحميد*وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ* فما دلالة الاختلاف؟

لما يقول هو الغني الحميد فيها حصر وفيها توكيد، حصر الغنى بالله تعالى عندما تقول فلان غني وفلان هو الغني، فلان هو الغني يعني هو الأغنى . السؤال الذي أثير أنه سبحانه وتعالى قال في آيات إن الله غني حميد، إن الله هو الغني الحميد، إن الله لهو الغني الحميد هذه بعضها فيها توكيد أكثر. قال تعالى في لقمان *وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ *١٢ * لم يعرّف ولم يأت بـ *هو* ، أكّد بـ *إنّ* فقط. في آية لقمان لم يذكر له ملك *وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ* من الغني في عُرف الخَلق، الذي يملك أو الذي لا يملك؟ الذي يملك هو الغني الغني لكنه لم يذكر ملك. لو واحد قال أعطني فأمدحك تقول له أنا غني عن مدحك لا أحتاج إليك. الخليل بن أحمد لما أرسل له أمير الأهواز سليمان بغالاً محملة بأشياء وقال لو جئت إلينا والخليل ليس عنده إلا الخبز اليابس فقال: أبلغ سليمان أني عنه في غنى غير أني لست ذا مال، هو غني بنفسه قانع بما حصل.

في آية لقمان لم يذكر ملك وإنما قال *وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ* الله تعالى غني عن شكره وعن كفره بينما هناك قال *ولا تفرحوا بما آتاكم* الله آتانا به فالله

هو الغني إذن أنتم أيها الخلق الأغنياء ما غناكم والله تعالى هو الذي آتاكم؟ فإذن الله هو الغني الحميد وليست مثل تلك الذي لم يذكر معه شيء لأنه ذكر *ولا تفرحوا بما آتاكم* لما آتى الخلق ما عندهم أصبحا ليسا بمنزلة واحدة فإذن *فإن الله هو الغني الحميد* . آية الحديد توكيجها نظير ما جاء في لقمان في آية أخرى *لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ *٢٦* لقمان* هذه فيها ملك إن الله تعالى ليس غنياً وإنما هو الغني، كل ما في الأرض وكل ما في السماوات ملكه إذن هو الغني وهذه ليست مثل *وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ* . *هو* هنا ضمير فصل يفيد الحصر هو الغني حصراً في الحقيقة لا غني سواه أفادها ضمير الفصل والتعريف *هو الغني* . ضمير الفصل له أغراض يفيد التوكيد ويفيد الحصر ويفيد التعريف وهنا يفيد الزيادة في التوكيد. هذه فيها حصر أكثر وآكد. في الحج ذكر ما هو آكد من هذه فقال *لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ *٦٤ * أولاً هو لم يكرر *ما* وهنا كرّر *له ما في السماوات وما في الأرض* أكّد بإن وضمير الفصل هو واللام. أولاً هو لم يكرر *ما* فقال في الحديد *له ما في السماوات والأرض* وهنا كرّر *ما في السماوات وما في الأرض* ذكر ما هو أكثر فهو آكد وقال *وإن الله لهو الغني الحميد* جاء بالواو. ماذا تفيد الواو؟ نقول فلان يملك مائة دار ومائة بستان وفلان يملك مائة دار ومائة بستان وإنه غني.

الأول مصدر غناه مائة دار ومائة بستان أما الثاني فهو يملك مائة دار ومائة بستان ولو ذهبت وهي من جملة ما يملك يبقى غنياً، هذا استئناف غنى جديد وكأن المائة بستان مما يملك فإن ذهبت فيبقى غنياً. الواو تعطف جملة على جملة والغرض البلاغي منها الغنى المطلق. إذن أولاً كرر *ما* للتوكيد والتكرار يفيد التوكيد ثم جاء بالواو الذي دلنا على أنها من جملة ما يملك. إذا كان هناك من عنده بصر باللغة لا يمكن أن يفعل غير ذلك تماماً مثل المعادلة الرياضية ولا بد أن يضعها كما وردت. وجاءت بثلاث صيغ وكأنه يترقى بالغنى إلى أن وصل مرحلة الغنى لله تعالى ولهذا في الحديد ختمت الآية *إن الله هو الغني الحميد* . والملاحظ أنه في الحديد لما قال *لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* بينما في آل عمران قال *فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٥٣ * هذه حزن فبمَ يفخر؟ هناك يفخر بما آتاهم *لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* هذا يفخر بما آتى، *لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ* بم يفخر؟ هذه ليست مثل هذه.

آية *٢٥* :

*لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *٢٥ *

* نظرة عامة على الآية :

قال سبحانه وتعالى في سورة الحديد *لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *٢٥ * ربنا سبحانه وتعالى ذكر أنه أرسل الرسل بما ذكر: البينات والكتاب والميزان وذكر الغرض *لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ* ثم ذكر إنزال الحديد وذكر أن فيه بأساً شديداً *وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ* ثم ذكر العلّة *وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ* ثم بيّن أنه سبحانه ليس محتاجاً للنصر *إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ* ولكن هذا ما يتعلق به الجزاء وليس لنصرة الله لأنه هو القوي العزيز. ليس المقصود نصرة الله لأنه هو القوي العزيز لأن الله

تعالى ليس محتاجاً لذلك وإنما هو نصر لدعوته وإقامة شرعه. هذا العمل يتعلق به الجزاء للشخص في قائمة حسناته.

* ما دلالة تقديم البينات على الكتاب والكتاب على الميزان؟ هل له غرض بياني معين؟

البينات هي المعجزات الظاهرة التي أوتيها الرسل والدلائل والحجج التي تدل على النبوّة مثل عصا موسى وناقة صالح وإبراء عيسى للأكمه والأبرص هذه هي البينات وهي جمع بينة . وذكر معها الكتاب والميزان فقدم البينة على الكتاب لأنها سبيل للإيمان به والتصديق، البينة أي المعجزة هي السبيل للإيمان وإلا كل واحد يدّعي أنه عنده كتاب أو جاءه كتاب، إذن ينبغي أن تكون هناك بينة تصدق هذا المرسَل وتصدق ما جاء منه من كتاب. إذن البينة تسبق الكتاب. والكتاب أسبق من الميزان لأن الكتاب فيه الميزان لأن الميزان هو كل ما يتميز به الحق من الباطل والعدل من الظلم وكل ما يتعلق بأمور الشرع هذه تكون في الكتاب. الكتاب يتضمن الميزان لأن فيه كل ما يتعلق بالحقوق والميزان للحقوق. والميزان هو الآلة المعروفة . الكتاب والميزان هو كل ما يتميز به الحق من الباطل والعدل من الظلم من أمور يذكرها في حياة الناس، وحياة الناس ليست فقط ما يتعلق بهذه الآلة وإنما هنالك حقوق وواجبات ومعاملات وحقوق وعقائد وكله يندرج تحت الميزان لأنك تقول كلامك حق أو باطل، احتجاجك حق أو باطل هذا ميزان، وهذه موضوعة في الكتاب إذن الكتاب يتضمن الميزان إذن هو أسبق من الميزان لأن الميزان هو في الكتاب. إذن الترتيب البينات لأنها تدل على صحة الكتاب وتثبته والحجج التي تقوم على صحته، الكتاب، الميزان.

معنى القسط هو العدل والحِصّة والنصيب أيضاً "أخذ كل منهم قسطه" حتى البيع بالتقسيط. إذن القسط له دلالتان هنا العدل والحصة والنصيب. الفعل الثلاثي قَسَط بمعنى جار وظلم *وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا *١٥* الجن* أقسط الهمزة تسمى همزة السلب يعني رفع الظلم والجور سلبه رفعه وأزاله أي عدل مثل جار أي ظلم وأجار أزال الجور ومنعه، صرخ وأصرخ أي أزال صراخه، عجم الكتاب وأعجمه أي أزال عجمته.

* لماذا قال *لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ* ولم يقل بالعدل؟

القسط يكون أولاً في الوزن وغيره وله معنيان العدل والحِصّة والنصيب ولذلك كلمة القسط تستعمل في القرآن في الوزن وفي غيره *وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ *٤٢* المائدة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ *١٣٥* النساء* لكن هنا استعمال القسط أنسب في هذا الموضع. أولاً لم يستعمل العدل مع الميزان مطلقاً في القرآن كله لم يستعمل إلا القسط لأن القسط هو الحصة والنصيب والغرض من الميزان أن يأخذ الإنسان نصيبه ولذلك لم ترد في القرآن كلمة العدل مع الوزن *وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ *١٥٢* الأنعام*ونضع الموازين القسط **وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ *٩* الرحمن* ومن أسماء الميزان القسطاس *وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ *٣٥* الإسراء* باعتبار يأخذ حقه. القسط عامة لكن مع الميزان لم تستعمل إلا كلمة القسط لأن من معاني القسط الحصة والنصيب والغرض من الميزان الحصة والنصيب. وللعلم كلمة يقوم لم ترد في القرآن مع العدل *قوامين بالقسط* فقط *لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ *٢٥* الحديد*وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ *١٢٧* النساء*شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ *١٨* آل عمران *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ *١٣٥* النساء*وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ *٩* الرحمن*وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ *٨٥* هود* . إذن هنالك أمران: الأول أنه ذكر الوزن ولم يستعمل القرآن مع الوزن إلا القسط وقال ليقوم ولم يستعمل مع يقوم في الوزن وغير الوزن إلا القسط.

إذن هناك أمران اقتضيا ذكر القسط دون العدل. يقوم أي ينهض به *وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ *٣٣* المعارج* القيام بالعمل *وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *٢٦* الحج* ينهض بالأمر يقوم به. لم يستعمل القيام مع العدل وإنما استعمله مع القسط وليقوم لم يستعمل القيام مع العدل وإنما استعمله مع القسط.

* في قوله تعالى *وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ* ما هو ارتباط الآية بما قبلها؟

وأنزلنا معهم الكتاب بأس شديد إشارة إلى أن الحق بحاجة إلى قوة لتحميه *إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن* قيام الناس بالقسط إنما يكون بالبأس والقوة والناس لا ترعوي إلا بالقوة . لذلك قال فيه بأس شديد ولم يقل قوة لأنه أحياناً يقتضي الحرب لإقامة القسط. إذا لم يكن قوة تحمي العدل تضيع الحقوق، وإذا تُرك الناس هكذا دون قوة تحمي الحقوق تكثر المظالم. إذن إنزال الحديد إشارة إلى أن تلك المصالح تحتاج إلى قوة لتنفيذها لذا جاءت بعدها *فيه بأس شديد* . *بأس* بمعنى حرب أو الشدة في الحرب والبأس العذاب *بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ *٥* الإسراء*قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ *٣٣* النمل*وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا *١٨* الأحزاب* إذا اقتضى الأمر الحرب لإقامته لأن الحق لا يقوم من نفسه إذا لم تكن هنالك قوة تحميه وتحفظه لا يمكن أن يقوم وتضيع الحقوق وإذا اقتضى الأمر حتى لو أُعلن الحرب على الظالم أو على الظلم ومن يتعدى الحدود نعلن الحرب *وأنزلنا الحديد* حتى تحمي حقوق الله.

ماذا أفاد وصف البأس بالشديد؟ البأس درجات كما أن الحرب درجات والردع درجات ليست كلها على درجة واحدة . فيه بأس شديد أحياناً يحتاج إلى شدة البأس. لم يقل قوة شديدة لأن القوة عامة في الحرب وغير الحرب، قال تعالى *اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً *٥٤* الروم* ليس لها علاقة بالردع *يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ *١٢* مريم* أحياناً ليس لها علاقة بالردع وإنما عامة . *وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ *٦٠* الأنفال* هذه إعداد القوة للبأس. إذن القوة عامة والبأس خاص *قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ *٣٣* النمل* وهم مع ذلك أشداء في الحرب لأنه قد يملك الإنسان قوة لكن ليس لديه بأس، يملك أدوات الحرب لكنه ليس ذا بأس. نرى جنوداً عندهم قوة لكنهم ليسوا أشداء في الحرب. فإذن القوة عامة *ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً* ليست مخصصة بحالة صراع.

* ما دلالة كلمة أنزلنا مع الحديد؟

* وأنزلنا الحديد* كلمة أنزلنا هذه ما معناها؟ القدامى والمحدثون يقول القدامى أن الحديد أنزله الله تعالى من السماء ولم ينشأ في الأرض، أنزله ربنا وهذا ما يكيل إليه المحدثون أن الحديد أُنزل وقالوا كل عمر الأرض لا يكون حديداً وبحثوا فيها بحوثاً كثيرة والمحدثون يميلون أن المقصود بأنزلنا الإنزال أن الحديد منزل إلى الأرض ولم يتكون في الأرض واكتُشف بعد أن أنزله ربنا. وقسم يقول أنزلنا بمعنى خلقنا *وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ *٦* الزمر* أيضاً القدامى اختلفوا فيها هل تكونت الحياة في الأرض أو ربنا كوّنها عنده ثم أنزلنا. المحدثون أكثرهم يميلون إلى الإنزال ويعتبرون هذه الآية من الإعجاز العلمي. أنزل قالوا أنها موجودة بمعنى خلق وقد يكون هذا وهذا وقد يكون أنزله ثم اكتشفه الناس. والأظهر أن الإنزال يكون من عند الله سبحانه وتعالى والله أعلم.

لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ما معنى بالغيب؟ يقولون هي للدلالة على إخلاصهم ونصرتهم لله فهم ينصرونه سواء علِم بهم الناس أم لم يعلم بهم الناس. هم فعلوا ذلك وإن لم يطّلع عليهم أحد، غائبين عن عيون الناس. وقسم يقولون ينصرونه ولا يبصرونه، ينصرون الله وهم

مؤمنون به. أنت تعبد ربك ولا تبصره هذا هو الغيب. الغيب إما غيب عن الناس أخفياء يفعلون ذلك أخفياء وليس بالضرورة أن يطّلع عليهم أحد وبالغيب أي يعبد ربه بالغيب مؤمناً به كما يؤمن بالآخرة بالغيب فهو ينصره بالغيب أي مؤمن به ولم يره. والآية تحتمل المعنيين إحداهما دليل إخلاص والإيمان بالغيب من شدة الإخلاص.

* ما دلالة *ليعلم* مع أن الله تعالى هو العليم الخبير؟

لا شك هو ربنا عالم بالشيء قبل وقوعه وهو الذي كتب كل شيء لكنه هو يقصد العلم الذي يتعلق به الجزاء. ربنا يجازي الشخص على عمله لا على علمه فقط، يعلم ويعمل ويجازيه. هذا العلم الذي يتعلق به الجزاء وهو في القرآن كثير *وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ *٢٥* الحديد* ربنا يعلم لكن يريد من ينصره ورسله في واقع الحياة ، لمقصود علمه بعد عمل المرء. *إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ *١٤٣* البقرة * هو يعلم قبل ذلك لكن علم يتعلق به الجزاء، تطبيق على ما في علم الله *وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ *٣١* محمد* .

* ختمت الآية بقوله تعالى *إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ* وفي سورة الحج *إن الله لقوي عزيز* ما اللمسة البيانية بين الآيتين؟

ذكرنا أنه ختم قوي عزيز ليبين أنه غير محتاج لمن ينصره وربنا قوي عزيز لكن حتى يتعلق به الجزاء. الذي يحدد هو السياق لو نظرنا في سياق آية الحج قال *أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ *٣٩* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *٤٠ * هذه الآية في سياق الإذن للمؤمنين بالجهاد *وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* ثم وعدهم بالنصر المؤكد *وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ* اللام لام القسم والنون للتوكيد قسم وتوكيد فصار مؤكداً. هنا من الذي ينصر؟ الله سبحانه وتعالى. في الحديد قال *وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ* هناك المؤمن هو الذي ينصر الله ووفي الحج الله تعالى هو الذي ينصر المستضعفين. إذن آية الحديد فيمن ينصر الله *وليعلم الله* هنا ربنا هو الذي ينصر *وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ* من الأقوى الناصر أو الذي يُنصر؟ الناصر أقوى. إذن آية الحج قطعاً تحتاج لتوكيد ولا يمكن أن يكونا سواء في واحدة ذكر من ينصر الله والثانية ذكر أن الله تعالى هو الذي ينصر الناصر هو أقوى ولهذا قال *إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* لا يمكن أن يكونا سواء وهذا ميزان في التعبير.

آية *٢٦* :

*وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ *٢٦ *

* النبوة مقدمة على الكتاب فهل في هذا لمسة بيانية ؟

* نظرة عامة على الآية :

كما قدم البينة على الكتاب قدم النبوة على الكتاب لأنها هي سبيل للتصديق به. النبوة لها دلائل وبينات، فالنبوة تكون تصديقاً للكتاب وكيف يصدق الكتاب إذا لم تكن هناك نبوة فيها دلائل وبينات وأحياناً الكتاب يتأخر عن النبوة بزمان بعيد مثل موسى مكث مدة طويلة قبل أن يؤتى الكتاب إذن قد

يتأخر الكتاب عن النبوة وأحياناً النبوة بدون كتاب مثل اسحق ويعقوب ليس لهما كتاب. الرسول مكلّف بالتبليغ وليس شرطاً أن يكون له كتاب، لم يذكر تعالى أن صالح وهود لهما كتاب، الله تعالى ذكر صحف إبراهيم وموسى والانجيل والزبور. الرسول مكلف بالتبليغ ووجود كتاب ليس شرطاً بكونه نبياً أو رسولاً. القرآن ذكر إسماعيل قال *وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا *٥٤* مريم* ولم يذكر له كتاب. الكتاب ليس شائعاً كالنبوة فالنبوة أعم وقد يتأخر الكتاب عن النبوة كما ذكرنا في موسى - عليه السلام - فشيء طبيعي أن تكون النبوة أولاً ثم الكتاب. وقد تكون النبوة بدون كتاب فإذن النبوة أعم من الكتاب وقد تكون أسبق من الكتاب وهي أيضاً فيمن عنده كتاب هنالك حجج تصدقه بالنبوة حتى يكون سبيلاً لتصديق الكتاب. فالنبوة أسبق من الكتاب فمن حيث العموم هي أعم ومن حيث الإنزال تكون اسبق وتكون سبيلاً للإيمان به.

فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ما قال كثير منهم ضالون وإنما قال فاسقون مع مهتدي؟

الضلال هو نقيض الهداية *أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى *١٦* البقرة * لكن الفرق بين الفسق والضلال أن الضلال قد يكون عن غير قصد وعن غير علم. الضلال هو عدم تبيّن الأمر تقول ضلّ الطريق قال تعالى *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *١٠٤* الكهف* هذا من دون معرفة ضلّ ولا يعلم، ضل عن غير قصد. وقد يُضلّ بغير علم *وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ *١١٩* الأنعام* أما الفسق فهو بعد العلم تحديداً وحتى يكون فاسقاً ينبغي أن يكون مبلَّغاً حتى يكون فسق عن أمر ربه. إذن هنا زيادة أنهم مبلّغون ثم خرجوا فإذن هم فاسقون لو قال ضالون قد يعطيهم بعض العذر أنهم عن غير قصد لكنهم فاسقون بعد المعرفة وبعد التبليغ فسقوا. في قوله *ولا الضالين* ولا الضالين عامة لأن الضلال عام واليهود والنصارى منهم وليس حصراً عليهم. *مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى *٢* النجم* نفى عنه الضلال بعلم أو بغير علم أما الفسق فلا يكون إلا بعد علم، ينبغي أن يعلم أولاً حتى يقال عنه فاسق ولذلك هذه أدل على الذم *وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* لأنه أرسل لهم الكتاب والنبوة والميزان *وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ* هذا بعد التبليغ *فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* تنكّبوا الصراط بعد المعرفة . أصل الفسق هو الخروج عن الطريق يقال فسقت الرطبة أي خرجت من قشرتها. زيادة في الذم لما قال *وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* لم يقل كثير منهم مهتد وإنما قال وكثير منهم فاسقون لم يصف المهتدين بالكثرة . *

مهتدٍ* بدون ياء هذا منقوص أصلها مهتدي وهذه مبتدأ مرفوعة *مهتد* ، *منهم* خبر، مهتدٍ مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المحذوفة منع من ظهورها الثقل لأنه منقوص يقدر عليه الضمة أصلها مهتديٌ مرفوع علامة رفعه الضمة والضمة ثقيلة فحذفت الضمة بقي التنوين والياء مهتدي إلتقى ساكنان حذفنا الياء وبقي التنوين فصارت مهتدٍ.

آية *٢٧* :

*ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ *٢٧ *

* نظرة عامة على الآية :

قال سبحانه وتعالى قبل هذه الآية *وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ *٢٦ * ثم قال *ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ *٢٧ * إذن ربنا سبحانه وتعالى بعد أن ذكر نوح وإبراهيم وقال وجعلنا في ذريتهم النبوة والكتاب قال وقفينا بعيسى ابن مريم. ذكر عيسى أولاً لأنه آخر الرسل قبل النبي الخاتم، السلسلة تنتهي عنده وخاتمة الرسل تنتهي قبل محمد - صلى الله عليه وسلم - عند عيسى وتنتقل إلى بني إسماعيل عند سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، هذا أمر والأمر الآخر هو ذكر الكتاب الذي أنزل إليه وذكر أتباعه *وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً* ذكر الكتاب وذكر أتباعه ويذكر عنهم أمراً من الأمور فلا بد من ذكره. ولما أراد أن يذكر كتابه وأتباعه وأراد أن يخصهم بأمر ثم يذكر هذا الأمر فلا بد أن يذكره. إذن ذكر الكتاب الذي هو الإنجيل *وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ* ثم ذكر أتباعه *وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً* ثم هو تفرد عن بقية الرسل هو من ذرية إبراهيم لكن ليس من جهة الأب وإنما من جهة الأم ويختلف عن جميع الرسل فإذن هناك جملة أمور تقتضي ذكره. أبرزها ذكر الكتاب وذكر أتباعه وذكر أموراً تتعلق بأتباعه إضافة إلى أمور أخرى ولذلك اقتضى هذا الأمر أن يُخصص بالذكر.

عيسى تنتهي الرسالة به قبل سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يمتد نسبه إلى إبراهيم ولكن يختلف عن جميع الرسل لأنه من جهة الأم ثم ذكر كتابه وأتباعه فالأمر يقتضي أن يُذكر.

* هنا قال *وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ* وفي سورة المائدة قال *وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ* فما دلالة الاختلاف؟

الآية *وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ *٤٦ * السؤال هو لماذا قال *ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا* ؟ وقال في آية الحديد *وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ* ولم يقل وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم كما قال في المائدة ؟. أول مرة قال *ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا* ثم لم يقل في عيسى وقفينا على آثارهم وإنما قال وقفينا بعيسى ابن مريم ثم قال في المائدة *وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ* إذن هناك أكثر من سؤال. أولاً ما معنى قفّينا؟ معنى قفى على أثره يدل على قرب ما بين الماشيين أي جاء الثاني قبل أن يزول أثر الأول، الأثر لم يزل بعد فمعناه يصير قرب ولو كان الوقت طويل يزول الأثر ولا يبقى . لو تأخر الأمر أعواماً طويلة يزول الأثر. تلك قال *وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم* لأن الرسل متتابعة وهنا بالنسبة لعيسى قال وقفينا بعيسى ابن مريم معناه إذن أن المسافة طويلة بين عيسى ومن قبله، ويُذكر أن آخر واحد قبل عيسى هو يونس ابن متى وبينهما حوالي ٨٠٠ سنة . آخر من يُذكر من الرسل قيل يونس في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد يعني ٨٠٠ سنة هذا ليس على أثره وإنما *وقفينا* ليس على أثره.

* في الآية قبلها *وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ *٢٦* الحديد*ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا *٢٧ * ثم تفيد التراخي في اللغة العربية إذن الفترة طويلة ؟

لكن لم يزل الأثرالأول بدليل أنه بعد إبراهيم إسماعيل *وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا *٥٤* مريم*وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ *٢٧* العنكبوت* اسحق ويعقوب ويوسف وهو رسول بنص القرآن *وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا *٣٤* غافر* إذن الفترة بين نوح وإبراهيم وحتى عيسى قريبة نوعاً ما والأثر موجود بينما

بين عيسى وآخر نبي فترة طويلة كما ذكر المؤرخون ٨٠٠ سنة فانعدمت الآثار لذا قال *وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ* .

* في المائدة قال *على آثارهم* لوجود الأثر؟

التقفية في المائدة ليست في الرسل وإنما في تقفية الربانيين والأحبار ولو قرأنا آية المائدة تحتلف عن هذه الآية . لو قرأنا آية المائدة *إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ *٤٤ * يحكم بها الربانيون والأحبار ولم يقل وقفينا على آثارهم وهم لم ينقطعوا أصلاً فالأحبار والربانيون موجودون والأحبار جمع حِبْر وهو العالِم والربانيون جمع ربّاني إذن هؤلاء لم ينقطعوا. في سورة المائدة *وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم* متعلقة بالربانيين والأحبار وفي آية الحديد متعلقة بالأنبياء والرسل خاصة فلما كانت في الرسل قال *وقفينا* ولم يقل على آثارهم ولما كان الكلام على الربانيين والأحبار وهو لم ينقطعوا قال على آثارهم.

وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ ما معنى رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم؟

* رهبانية ابتدعوها* هذا يسموه من باب الاشتغال يعني وابتدعوا رهبانية . رهبانية الترهب أي الانقطاع إلى الله تعالى والتبتّل وما إلى ذلك. قال *وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً* وابتدعوا رهبانية *رهبانيةً منصوبة على الاشتغال وهي مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور معناه وابتدعوا رهبانية * إذن جعل في قلوبهم رأفة ورحمة وابتدعوا رهبانية لأن الرهبانية لا تكون في القلب، رهبانية ليست معطوفة مباشرة على *وجعلنا* . إذن هي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، وابتدعوا رهبانية *وابتدعوا* الواو هنا عطف جملة على جملة *وجعلنا* . قد يظن البعض أن رهبانية معطوفة على جعلنا رأفة ورحمة وقسم من المفسرين قالوا هكذا ولكن كيف جعلها وكيف ابتدعوها وهو لم يكتبها عليهم فكيف جعلها إذن؟ هذه الظاهرة تسمى الاشتغال مثل *وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً *١٠٦* الإسراء* أصلها وفرقنا قرآناً *وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ *٧* الرحمن* أصلها رفع السماء. وهنا *ورهبانية ابتدعوها* أي ابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم، إذن هو لم يكتبها عليهم فكيف يجعلها؟ *وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً* وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله. ما معنى إلا ابتغاء رضوان الله؟ إذن هم ابتدعوا الرهبانية لأحد أمرين: ليرضوا ربهم هذا أحد الرأيين في التفسير. في الإخبار قال *فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا* يعني هم ابتدعوها ولم يرعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر إذا نذر عليه أن يفي بالنذر.

ابتدعوا رهبانية ليرضوا الله لكن لم يفعلوها هذا أحد التفسيرين، وفي الإخبار عنهم بقوله *ورهبانية ابتدعوها* ذمٌ من وجهين: الوجه الأول أنهم ابتدعوا الرهبانية والدين لا يؤخذ بالابتداع حتى لو كان لغرض رضوان الله لأن رضوان الله يأتي بما شرع الله، بالاتباع وليس بالابتداع كيف تظنون أن هذا يرضي ربنا فتفعل ما تشاء لا يمكن هذا وإنما هذا ذم. أولاً كونهم ابتدعوا الرهبانية حتى أياً كانت النية الابتداع لا يشفع، السُنّة الحسنة في العبادة في أصل العبادة يعني العبادة أصلها موجودة يزيد في العبادة الموجودة لكن الرهبانية ابتداع ابتدعوا على أنسفهم أمور ومع ذلك لم يوفوا بها. إذن هناك أمرين: الأمر الأول أنهم ابتدعوا الرهبانية والدين لا يؤخذ بالابتداع حتى لو ابتغوا رضوان الله والأمر الآخر أنهم لم يوفوا بها يعني ابتدعوها ولم يفوا بها.

إذن الذمّ صار من جانبين الابتداع وعدم الإيفاء بحقها. حتى المفسرين في قوله تعالى *إلا ابتغاء رضوان الله* ذهبوا إلى أمرين في تفسير الآية : أولاً هم ابتدعوها لغرض ابتغاء رضوان الله والآخر لم نكتبها عليهم، لم نكتب إلا ابتغاء رضوان الله وهذا يسمى استثناء منقطع. إذن هذا لم نكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله والمفسرين يذهبون إلى أمرين أنهم ابتدعوا الرهبانية لغرض رضوان الله لكن لم يرعوها والأمر الآخر أنه لم يكتب عليهم الرهبانية *ما كتبناها عليهم* وإنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله فيقدرون فعلاً محذوفاً. *فما رعوها* متعلق برهبانية ابتدعوها وما رعوها حق رعايتها.

إذن *وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا* هذه جملة لوحدها استثناء منقطع ليست متعلقة بابتداع الرهبانية ، هذا أمر والأمر الآخر أنهم ابتدعوها ما كتبناها عليهم، لماذا ابتدعوها؟ ابتغاء رضوان الله ولم يرعوها حق رعايتها. إذن إلا ابتغاء رضوان الله قد تكون متعلقة بابتداع الرهبانية أو بما كتب الله عليهم.

* في هذه الآية قال تعالى *فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* وقبلها مباشرة قال *فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا* لم عبّر عنهم بالذين آمنوا ولم يقل فآتينا الذين رعوها حق رعايتها أجرهم؟

دل قول ربنا تعالى أن مناط الأمر هو الإيمان وليس غير ذلك من رهبانية مبتدعة . لماذا لم يقل فآتينا الذين رعوها حق رعايتها حتى لا يظن أن الله تعالى يرضى عن الابتداع حتى لو كان لغرض رضوانه. لو قال فآتينا الذين رعوها حق رعايتها معناه يرضى عن قسم من الابتداع وربنا لا يرضى عن الابتداع. لم يقل الذين رعوها حتى الذين رعوها حق رعايتها ربنا لا يرضى بذلك لأنها مبتدعة . لذلك قال *فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ* رجع إلى المسألة الأولى مسألة الإيمان. *رأفة ورحمة * ثم قال *ورهبانية ابتدعوها* إذن هو ذمّهم في هذا، ابتداع الرهبانية ذمّهم ربنا لا يريد إلا ابتغاء رضوانه بالرشع الذي شرعه. هناك فريق اتبع سيدنا عيسى وهناك فريق ابتدع الرهبانية . فريق ابتدع الرهبانية مع أن في قلبه رأفة ورحمة وفريق اتبع عيسى . العابد في قلبه رأفة ورحمة لكن عليه أن يعبد ربه بما شرع الله. الذين ابتدعوا الرهبانية في قلوبهم رأفة ورحمة وهذه لا تكفي المهم أن يتبع شرع الله لا أن يبتدع حتى لو كان في قلبه كل الرأفة والرحمة ، مهما كان في قلبه من رأفة ورحمة إذا لم يتبع شرع الله لن يرضى عنه إذن مناط الأمر بالإيمان والإتباع. لو قال وآتينا الذين رعوها حق رعايتها يعني ربنا يرضى عنهم وسيؤتيهم أجراً. قال الذين آمنوا أي لم يبتدعوا. حتى لو رعوها حق رعايتها يسقط هذا ومناط الأمور هو الإيمان وقال *فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا* ولم يقل الذين رعوها حق رعايتها حتى لا يفتح باب للإبتداع ولذلك قطع هذا الأمر.

فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ والآية قبلها *فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* ؟

لو قال هنا فمنهم مهتد معناه يُظن أن الذين ابتدعوا الرهبانية يوصف بالهداية وربنا لا يصفهم بالهداية ولذلك لم يذكر وإنما قال *وكثير منهم فاسقون* ولم يقل فمنهم مهتد كما قال في الآية السابقة ، الآية الأولى *وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* هذه مسألة اتباع الرسل أما هنا فرهبانية مبتدعة لو قال فمنهم مهتد سيظن أن هنالك في الابتداع هداية إذن قال فمنهم مهتد أي من الذين ابتدعوا ورعوها حق رعايتها كان يصفهم بالهداية والله تعالى لا يريد الابتداع. حتى لو رعوها حق رعايتها لم يقل فمنهم مهتد لئلا يفتح باباً للابتداع ولئلا يُظن أن نوعاً من الابتداع فيه هداية . فقطعه مرتين بقوله *فَآتَيْنَا الَّذِينَ

آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ* ولم يقل الذين رعوها ولم يقل فمنهم مهتد وإنما قال *وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* . نلخّص القول أن الذين اتبعوا عيسى في قلوبهم رأفة ورحمة لكن هناك صنفان صنف آمن وصنف ابتدع ذمّه الله تعالى من جهتين أنه ابتدع ولم تشفع له نيّته ثم لم يراعي ما ابتدع لأنه نذر ولم يفي بنذره ثم تكلم عن الذين آمنوا وليس عن الذين ابتدعوها لم يقل وآتينا الذين رعوها حق رعايتها أجرهم وإنما قال الذين آمنوا يعني أسقط الابتداع مهما كانت النيّة . *وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ* أي كثير منهم أي من عموم المؤمنين، قليل متبعون *وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ *١٠٣* يوسف* . مسألة الأكثرية في القرآن تحتاج إلى نظر *وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ *١٠٦* يوسف*وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ *١٠٣* يوسف* .

* وآتيناه الإنجيل وفي المائدة قال *وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ *٤٦ * ولم يقل في آية الحديد فيه هدى ونور؟

في المائدة ذكر قبلها التوراة وقال فيها هدى ونور فلما قال *إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ *٤٤ * وذكر الإنجيل في الآية نفسها *وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ *٤٦ * هو ذكر التوراة وقال فيها هدى ونور وذكر الإنجيل فيه هدى ونور فلا يسكت عنه وإنما فيه هدى ونور. الهدى والنور عام في الكتب في التوراة والإنجيل والقرآن.

في الحديد لم يذكر هدى ونور *وآتيناه الانجيل* ؟ لا يذكر دائماً أن فيه هدى ونور هذا يحدده السياق، عندما ذكر الكتب السماوية التوراة والانجيل والقرآن في سياق واحد ذكرها، ذكر التوراة *إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ *٤٤* وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *٤٥* المائدة * ثم ذكر آتيناه الانجيل فيه هدى ونور لما ذكر التوراة فيها هدى ونور ناسب أن يذكر الانجيل فيه هدى ونور هناك تكلم عن التوراة وذكر أمور تتعلق بالأحكام *وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ* هنا لم يذكر شيئاً يتعلق بالأحكام *وآتيناه الانجيل* .

* سؤال من المقدم: أليس هذا تناقض في النص القرآني أنه مرة يقول هدى ونور ومرة لا يقول؟

التناقض في أن يقول مرة فيه هدى ونور ومرة يقول ليس فيه هدى ونور أما أن تذكر بعض الصفات وأحياناً لا تذكر لأن السياق لا يقتضي كما تقول في كلامنا العادي تذكر شخصاً وتقول جاء فلان وفلان وفلان وأحياناً عندما تذكر صفات عن فلان تقول فلان جيد وكذا وكذا، أحياناً تذكر الاسم فقط ولا تذكر شيئاً من الصفات وليس دائماً تذكر الصفات، *ذلك الكتاب لا ريب فيه* وأحياناً إذا أردت أن تذكر *هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ *٢٤* الذاريات* مرة قال مكرمين ومرة لم يقل *وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْراَهِيمَ *٥١* الحجر*. لما قال مكرمين ذكر ما يتعلق بالمكرمين ولما لم يقل مكرمين لم يتعلق. مرة قال بعجل حنيذ *فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ *٦٩* هود* ومرة سمين *فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ *٢٦* الذاريات*، الحنيذ هو السمين فالحنيذ هو المشوي الذي يقطر وَدَكه أي دهنه فكلمة حنيذ تعني سمين ومشوي وما زال حاراً يقطر وَدَكه، لا تناقض بين سمين وحنيذ، السمين صفة من الصفات ولا تعارض ولا تناقض بينهم. وهذا دارج في لغة العربية حتى في كلامنا العادي أحياناً تقول سافرت إلى بلد وذهبت عند فلان وبقيت عندهم ليلة وقضيت

حاجة ومرة تذكر مكارمهم فتقول ذهبت إلى فلان وذبحوا لي وسهروا معي بالتفصيل، أنت تريد أن تركز على أي شيء؟ لهذا لم يقل ربنا وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور لأنه لا يحتاج ذكر التوراة ثم بعدها ذكر وأنزلنا إليك الكتاب، ذكر التوراة والانجيل والقرآن.

آية *٢٨* :

*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *٢٨ *

* من المخاطب في هذه الآية :

هذا خطاب عام للمؤمنين كافة من أهل الكتاب وللمؤمنين بمحمد - صلى الله عليه وسلم - .
المؤمنون من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون بموسى وعيسى من أهل الكتاب يطلب منهم ربنا أن يتقوا الله ويؤمنوا بالنبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون من المسلمين عليهم أن يثبتوا على ذلك *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا *١٣٦* النساء* أي أثبتوا. فالمؤمنون المسلمون يطلب منهم الثبات على ما هم عليه *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ* . هذا الطلب هو أحد أمرين: بالنسبة لأهل الكتاب الإيمان بالنبي الخاتم وأنه لا يشفع لهم إلا أن يؤمنوا بالنبي الخاتم وبالنسبة للمسلمين أن يثبتوا على ذلك *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ* آمنوا الثانية تدل على الثبوت وليس على طلب الإيمان لأنهم مؤمنين. فالخطاب إذن لأهل الكتاب وللمسلمين أهل الكتاب يطلب منهم الإيمان بالنبي الخاتم والمسلمين يطلب منهم الثبات على ما هم عليه من الإيمان.

* ما معنى كفلين؟

أي نصيبين من الأجر. الكفل من معناه النصيب ويأتي بمعنى المِثل حسب السياق.

* في الأحزاب قال *وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا *٣١ * وفي القصص *أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا *٥٤ * وهنا قال كفلين لماذا الاختلاف وما الفرق بين الكفل والأجر؟

الكفل هو النصيب وأحياناً بمعنى المِثل. قال تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ *٢٨* الحديد* أي نصيبين من الرحمة أي يضاعف لهم الأجر إذن لماذا لم يقل أجرهم كما في آية القصص؟ الأجر في اللغة هو الجزاء على العمل ، أصل الأجر الجزاء على العمل تقول أعطه أجراً، استأجره أي يعمل عملاً مقابل مال. الكِفل ليس له علاقة بالعمل وإنما نصيب. الكفل هو المِثل وقد يكون في الخير أو في الشر. لكن السؤال لماذا قال هنا كفلين من رحمته وقال في القصص والأحزاب أجرهم وأجرها؟ قلنا أن الأجر هو الجزاء على العمل وهنا لم يذكر عملاً وإنما التقوى والإيمان بالرسول هذا ليس عملاً وإنما قلبي الآن ما ذكر العمل بينما في القصص قال *أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *٥٤* وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ *٥٥ * إذن ذكر الأجر بمقابل العمل قال *وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ*لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ* وفي سورة الأحزاب *وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ* إذن الأجر مقترن بالعمل أما الكفل فهو النصيب.

* في الآية *وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ* أين النور في الدنيا أو الآخرة ؟

هو عام في الدنيا والآخرة قال *هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ *٩* الحديد*أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ *١٢٢* الأنعام* وذكر أنه في الآخرة *لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ *١٩* الحديد* وفي سورة الحديد ذكر ربنا تعالى أن يوم القيامة يعطى لهم نور والمنافقون يضرب بينهم بسور له باب.
إذن *وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ* هذا عام في الدنيا والآخرة .

* في الأنعام قال *وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ* وفي الحديد قال *وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ* ولم يقل في الناس؟

آية الحديد عامة بينما الكلام في الأنعام اكتنفه الكلام عن الناس أصلاً، الكلام في الأنعام عن الدنيا وذكر معاملاتهم وافتراءاتهم وضلالاتهم بخلاف سورة الحديد. *وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ *١١٦* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ *١١٧* فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ
مُؤْمِنِينَ *١١٨* وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ *١١٩* وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ *١٢٠* وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ *١٢١* أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ *١٢٢ * الكلام عل الناس في سورة الأنعام قبلها وبعدها أما في الحديد فلم يذكر معاملات الناس وأحوالهم وإنما ذكر بشكل عام ربنا قال *وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ* لم يقل في الناس لأنه في الآخرة ليس المشي في الناس وإنما يمشي به وحده والنور له وحده لا يشاركه به أحد *يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ

آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ *١٣* الحديد* في الآخرة ليس المشي في الناس وإنما النور له وحده وليس في الناس وليس يمشون به في الناس بينما في الأنعام هذه في الناس ومعاملاتهم وأحوالهم في الدنيا لذا قال *وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ* أما تلك فهي عامة في الآخرة لكن لا يمشي به في الناس. *وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ* في الدنيا والآخرة ولو قال في الناس لكان في الدنيا فقط كما قال في الأنعام قال *في الناس* والكلام على الدنيا.

آية *٢٩* : ختام السورة

*لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢٩ *

* فكرة عامة :

لما نزلت الآية *الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ *٥٢* وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ *٥٣* أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *٥٤* القصص* قال أهل الكتاب هذا لنا خاصة ربنا يؤتينا أجرنا مرتين لأنه ناداهم الذين آتيناهم الكتاب. *أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ* قال أهل الكتاب هذه لنا. *أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا* الذين أسلموا من أهل الكتاب كانوا يفخرون على

المسلمين أن الله تعالى قال أن الذي يسلم منهم له أجرهم مرتين وأنتم تأخذون أجركم مرة واحدة فحزن المسلمون فأنزل ربنا تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ* وفي الآية السابقة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* فإذن هذا عام *لئلا يعلم* حتى يعلم أن أهل الكتاب أن فضل الله ورحمته ليس محصوراً بهم.

دلالة *لئلا* هي ليعلم وهذه اللام قسم من النحاة يقولون هي زائدة أصلها لأن لا واللام زائدة ، *لئلا* أي ليعلم أهل الكتاب وهذه تزاد إذا كان اللبس مأمون والمعنى متضح وقسم من النحاة يسمونها صلة ويسمون كل الحروف الزائدة صلة هذه الحروف لو أسقطتها يبقى المعنى مستقيماً لكن يبقى التوكيد. ما معنى الزائدة ؟ أي لو أسقطتها بقي المعنى مستقيماً *وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ *٤٦* فصلت* لو أسقطتها المعنى يبقى مستقيماً لكنها أفادت التوكيد، هذا معنى الزائدة ، *إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ *٦٢* آل عمران* أي ما إله إلا الله إذن لا حروف زائدة في القرآن وإنما هي تفيد التوكيد. هو مصطلح وقسم سموها صِلة ويتجنبون كلمة الزيادة وقسم قالوا نسميها زائدة لكن نقول هي مزيدة للتوكيد وتزاد بشرط أن يكون اللبس مأموناً والمعنى متضحاً. وهذه ليست الوحيدة في القرآن قال تعالى *قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا *٩٢* أَلَّا تَتَّبِعَنِ *٩٣* طه* ويقول تعالى لإبليس *قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ *٧٥* ص* وفي آية أخرى *قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ *١٢* الأعراف* . *ألا* بمعنى أن واللام مزيدة للتوكيد لو أسقطتها يبقى المعنى وهذه لا تزاد إلا إذا كان اللبس مأموناً والمعنى متضحاً ليس فيه شك. إبليس لم يسجد ونعلم أن المعنى متضح. *

لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢٩ * حتى يعلم وفيها توكيد المسألة ، لا يقدرون على فضل الله وإنما لا يقدرون على شيء من فضل الله ربنا قدر أنه يؤتيكم كفلين من رحمته لكل من آمن برسوله واتقى حتى لا يفخر أهل الكتاب أنه يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء..

* ختمت الآية في سورة الحديد بالتعريف *وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ* وفي آل عمران *وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ *١٧٤* آل عمران* فما الفرق؟

في آل عمران في أُحد وفي نجاتهم مما كان يراد بهم *الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *١٧٣* فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ *١٧٤ * هذا أكبر أو النور والرحمة والمغفرة ؟ انقلبوا لم يمسسهم سوء، المغفرة والرحمة والنور أكبر لذا قال ذو الفضل العظيم.أما لو مسهم سوء لهم أجر. أما كفلين من رحمته ويغفر لكم ويجعل لكم نوراً هذه أكبر إذن والله ذو الفضل العظيم. التعريف يفيد العموم والشمول والتنكير يفيد التقليل.

* بعض الملامح البيانية والبلاغية في سورة الحديد:

نذكر قسماً من الملامح في خاتمة الكلام على سورة الحديد:

- بدأت السورة بالتسبيح لله سبحانه وتعالى *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* هذه فيها إشارة إلى أن نكون مع المسبحين لله لأنه في خاتمة سورة الواقعة قال *فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ *٩٦ * كأنها إشارة أن نكون مع المسبحين لله مع كل ما في السماوات والأرض.

- وكل السور التي تبدأ بالتسبيح يكون فيها العزيز الحكيم هذان الاسمان الكريمان أو شبيهان بهما إما في الآية أو في السورة ، كل سورة تبدأ بالتسبيح إما يقول العزيز الحكيم أو نحو هذا أو السورة لا تخلو من هذين الاسمين العزيز الحكيم إلا آية واحدة في السورة ختمت بقوله تعالى *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *١* التغابن* وختم السورة بقوله *عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١٨* التغابن* ، لماذا؟ أولاً التسبيح هو التنزيه عن كل نقص والتقص يظهر عادة إذا شخص ليس عنده مسؤولية لا يظهر عليه نقص لكن إذا كان حاكماً أو عزيزاً أو حاكماً يظهر عليه نقص إذا كان عزيزاً وانتهت عزته إلى الحكم فالعزة تسبق الحكم أو الحكمة فإذن ربنا سبحانه وتعالى في هذين الأمرين الذين يظهر فيهما العيب على الآخرين هو ينزه عن كل نقص في عزته وحكمه وحكمته ولذلك كل السور التي تبدأ بالتسبيح الآية نفسها يقول *العزيز الحكيم* أو ما في هذا المعنى وهو آية واحدة *له الملك* وهذه عزة ومنتهى العزة أن يكون له الملك إذن له الملك في معنى من المعاني هو العزيز الحكيم له الملك *وله الحمد* من الحكمة فإذن تصبح بمعنى العزيز الحكيم وقد أنهى السورة بقوله تعالى *عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١٨* التغابن* . هذا أمر.

- والأمر الآخر في السورة أنه ذكر في هذه السورة من صفات الله ما لم يذكر في موضع آخر في القرآن *هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *٣ * هذه الصفات لم ترد في موطن آخر وهذه من الأمور الخاصة بالسورة .

- أمر أكثر من مرة بالإيمان بالله والرسول وبالإنفاق وهذه تطبع السورة عموماً وليست أركان الإيمان عموماً وإنما الإيمان بالله والرسول دون الإيمان بالأمور الأخرى *آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ *٧ *وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ *٨ *وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ *١٩ * ونسأل لماذا؟ طالما آمن بالله ورسوله ستأتي بقية الأركان تباعاً. وذكر الإنفاق خصوصاً ولم يذكر عموم العمل الصالح *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ *١٠ * لم يذكر عموم العمل الصالح وفي الإيمان ذكر الإيمان بالله والرسول وفي العمل ذكر الإنفاق وذكر القتال لكن لم يحض عليه *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا *١٠ * .

- ثم ذكر النساء والرجال *يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ *١٢ *يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ *١٣ *إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ *١٨ * ثم ذكر من مشاهد القيامة مشهد لم يذكر في مكان آخر.

- ومسألة المنافقين والسور والمحاورة بين المنافقين والمؤمنين *فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ *١٣ * ذكر يوم القيامة *يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم *١٢ * ذكرت فى سورة التحريم لكن ليست بالصورة التي ذكرها في سورة الحديد من السور والمحاورة والنور.

- وبعد أن ذكر ما ذكر من مشاهد الآخرة وصفات الله وقدرته أهاب بالمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله *أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ *١٦ * .

- وبين لنا أمراً من أمور الحياة في غاية الأهمية وهي أن الحق لا يقوم بنفسه وإنما يحتاج إلى قوة تنفيذية *وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ *٢٥ * .

- وذكر في السورة تفضله على عباده في أكثر من مرة *وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ* حتى في الجنة ذكر *وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢١ * ولم يذكر عملاً وهذا من تفضله عليهم وختمها *وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ* وذكر أن المؤمنين يؤتهم كفلين من رحمته وهذا من الفضل العظيم الذي تفضل به على عباده *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *٢٨* لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢٩ * .

- ثم ذكر الإنفاق وحده وإذا ذكر الإنفاق وحده يقول له أجر كريم وإذا ذكر الإيمان والإنفاق يقول له أجر كبير باعتبار اتسعت الدائرة وكبرت فيقول له أجر كبير. هذه ملامح سورة الحديد.

* تناسب فواتح سورة الحديد مع خواتيمها*

بدايتها قال *لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٢ * ثم قال بعدها *لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ *٥ * ، هذا في بدايتها وفي نهايتها *وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢٩ * الملك ملكه والفضل فضله. الفضل بيد الله ما دام له ملك السماوات والأرض حصراً فالفضل بيده حصراً، هو الملك وهو المتفضل يعطيه من يشاء، فإذن له الملك وله الفضل.

* تناسب خواتيم الحديد مع فواتح المجادلة *

في آخر الحديد *لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢٩ * الفضل بيد الله ونلاحظ في أول سورة المجادلة أنه تعالى سمع للمرأة التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ *١ * فالله سبحانه وتعالى الذي سمع للمرأة وحفظها من الضياع *وهي خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس بن الصامت* أليس هذا من فضل الله بهذه المرأة التي سمعها من فوق سبع سموات وحفظها من الضياع وحفظ المسلمين من أمثال هذه الحادثة ؟ هذا أمر والأمر الآخر أنه ذكر في سورة الحديد *وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا *٢٧ * وحالة الظهار هي من الأمور المبتدعة التي لم يكتبها الله تعالى *الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ *٢ * والظهار يعني يقول الرجل لزوجته أنت عليّ كظهر أمي فتحرم عليه، أليس هذه من المبتدعات *وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا* والرهبانية التي ابتدعوها *وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ* ؟! هذا ابتداع وهذا ابتداع، كلاهما بدعة .

سورة المجادلة

الجزء الثامن والعشرون

السور: المجادلة ، الحشر، الصفّ، الجمعة ، الممتحنة ، التغابن، الطلاق، التحريم

*** هدف الجزء: الانتماء للإسلام والتبرأ من المشركين والكفر***

كل السور في الجزء الثامن والعشرون تهدف إلى الدعوة للانتماء للإسلام والتبرأ من الكفر ومن المشركين فلا بد يا من أيقنت وآمنت بالقرآن أن تكون في حالة وحدة مع المؤمنين والانتماء هذا يبدأ بالأسرة التي يجب أن تكون متماسكة وموحّدة . يجب أن تشعر أن كيانك كلّه مرتبط بهذا الدين فولائك وانتمائك ومناصرتك كلّه للمؤمنين وتتبرأ من كل شخص لا ينتمي لهذا الدين. وقد سبقت لسور القرآن أن عرضت على المسلمين المنهج ثم جاءت السور تؤكد أدوات المؤمن لحمل المنهج ثم جاء الإختيار في الجزء السابق والآن هذه السور تؤكد أنه لا بد من الإحساس الانتماء فلا يكفي للمسلم أن يؤدي عباداته كالصلاة والزكاة . ونستعرض السورة كل على حدة فكل منها تخدم جانباً من جوانب الهدف الرئيسي للجزء فالسور الأربعة الأولى *المجادلة ، الحشر، الصفّ، الجمعة * كلها تدعو للإجتماع والوحدة والانتماء ودليل هذا الانتماء هو ترابط المؤمنين ووحدتهم. ثم تأتي سورة الممتحنة التي فيها امتحان إيمان المسلم وتعطي نماذج عن أناس امتحنوا في إيمانهم وثم سورة المنافقين لأن أكثر ما يضيّع وحدة الصف عند المسلمين والانتماء لدينهم هو النفاق والمنافقين. ثم تأتي مجموعة السور الأخيرة *التغابن، الطلاق، التحريم* كلها تركّز على الشواغل التي تمنع من الانتماء كالأولاد والذرية والبيوت.

سورة المجادلة :

* تناسب خواتيم الحديد مع فواتح المجادلة *

في آخر الحديد *لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *٢٩ * الفضل بيد الله ونلاحظ في أول سورة المجادلة أنه تعالى سمع للمرأة التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ *١ * فالله سبحانه وتعالى الذي سمع للمرأة وحفظها من الضياع *وهي خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس بن الصامت* أليس هذا من فضل الله بهذه المرأة التي سمعها من فوق سبع سموات وحفظها من الضياع وحفظ المسلمين من أمثال هذه الحادثة ؟ هذا أمر والأمر الآخر أنه ذكر في سورة الحديد *وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا *٢٧ * وحالة الظهار هي من الأمور المبتدعة التي لم يكتبها الله تعالى *الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ *٢ * والظهار يعني يقول الرجل لزوجته أنت عليّ كظهر أمي فتحرُم عليه، أليس هذه من المبتدعات *وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا* والرهبانية التي ابتدعوها *وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ* ؟! هذا ابتداع وهذا ابتداع، كلاهما بدعة .

* هدف السورة *

تفصّل الولاء للمؤمنين والانتماء للدين والتبرأ من المعادين للدين. وقضية الأسرة مهمة للغاية لأن ترابط المجتمع يبدأ من ترابط الأسرة . وكأن هذه السورة هي مفتاح باقي السور في الجزء ففيها موضوع الانتماء والتبرأ، وباقي السور تأتي لتشرح هذا المبدأ.

تبدأ السورة *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* آية ١ بقضية الأسرة من حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها وجاءت تشتكي إلى النبي حتى أنزل الله تعالى الوحي بهذه السورة وفرّج كربتها وأنزك كفّارة الظهار. وهذا يدل على كرامة المرأة في الإسلام والحرص على حقها. والمرأة عندما تتيقن أن هذا الدين ينصفها ويعطيها حقها تربي أسرتها على مبادئ هذا الدين وعلى الوحدة . ومن اللافت أن هذا الجزء *٢٨* إبتدأ بقصة امرأة وانتهى بذكر نماذج نسائية في آخر سورة التحريم *امرأة فرعون ومريم بنت عمران* . تماماً كما جاءت سورة كاملة باسم النساء وهذا حجة ودليل على من يدّعون أن الإسلام أبخس المرأة حقها في المجتمع.

ثم تأتي الآيات في ختام السورة تبين الفرق بين من يتبع حزب الشيطان ومن يكون في حزب الله *اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ* آية ١٩ و *لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* آية ٢٢.

وفي الختام آية مهمة تبيّن حقيقة الحب في الله والبغض في الله الذي هو أصل الإيمان ولا بد في اكتمال الدين من معاداة أعداء الله، فالمنتمي لهذ الدين لا يمكن أن يوادّ من حارب الله ورسوله أبدا.

* من اللمسات البيانية فى سورة المجادلة *

* ما اللمسة البيانية في تكرار لفظ الجلالة الله في كل آية من آيات سورة المجادلة ؟

د. فاضل السامرائي

في كل آية من آيات سورة المجادلة ورد فيها ذكر لفظ الله بلا استثناء وهناك سور أطول من المجادلة لم يرد فيها ذكر الله مثل سورة القلم، سورة القيامة ، سورة المرسلات، سورة النبأ، سورة عبس وهي تتعلق بالسياق الموجود. في سورة المجادلة يذكر في كل آية ما يتعلق بالله إسناداً أو صفة أو شيء فيقتضي ذكرها وإذا لم يذكر هذا الشيء لا يحتاج كما في سور متعددة أطول من المجادلة لم يذكر فيها اسم الله. *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا *١ *وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ *٢ * ذكر ما يتعلق بالله تعلقاً أو إسناداً أو صفة يذكر لفظ الله وآيات المجادلة كلها تتعلق بالله إما إسناداً أو تعلقاً.

آية *١* :

* ما الفرق بين الزوج *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا *١* المجادلة * والبعل *وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ *٢٢٨* البقرة *؟

د. فاضل السامرائي

البعل هو الذكر من الزوجين ويقال زوج للأنثى والذكر. في الأصل في اللغة البعل من الإستعلاء في اللغة يعني السيد القائم المالك الرئيس هو البعل وهي عامة . بعلُ المرأة سيّدها وسُميّ كل مستعل على غيره بعلاً *أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ *١٢٥* الصافات* لأنهم يعتبرونه سيدهم المستعلي عليهم. الأرض المستعلية التي هي أعلى من غيرها تسمى بعلاً والبعولة هو العلو والاستعلاء ومنها أُخِذ البعل زوج المرأة لأنه سيدها ويصرف عليها والقائم عليها.

الزوج هو للمواكبة ولذلك تطلق على الرجل والمرأة هي زوجه وهو زوجها *وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ *٣٥* البقرة * الزوج يأتي من المماثلة سواء كانت النساء وغير النساء *احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ *٢٢* الصافات* أي أمثالهم نظراءهم، *وآخر من شكله أزواج* أي ما يماثله. البعل لا يقال للمرأة وإنما يقال لها زوج. *وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ *٣١* النور* يُنظر به الشخص ولا ينظر به المماثلة ولذلك هم يقولون أنه لا يقال في القرآن زوجه إلا إذا كانت مماثلة له قال *امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ *١١* التحريم* لم يقل زوج فرعون لأنها ليست مماثلة له، امرأة لوط وامرأة نوح لأنها مخالفة له، هو مسلم وهي كافرة . لم يقل زوج وإنما ذكر الجنس *امرأة * . لو قال زوج يكون فيها مماثلة حتى في سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لما المسألة تتعلق بالإنجاب قال *وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ *٧١* هود* هذا يراد به الجنس وليس المماثلة ، الزوج للماثلة والمرأة للجنس الرجل كرجل والمرأة كامرأة .

*النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ *٦* الأحزاب* فيهن مماثلة لأنهن على طريقه وهنّ جميعاً مؤمنات وأزواجه في الدنيا أزواجه في الآخرة .

آية *٣* :

* ما الفرق بين فك رقبة وتحرير رقبة ؟

د. فاضل السامرائي

تحرير رقبة تقال في الرّق والاسترقاق وهذا غير موجود الآن لذلك تحرير الرقبة لم يأت إلا في الفداء *وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ *٣* المجادلة *. فك رقبة يعني تخليصها من إعسار، من قَوَد، من أسر وغيره يعني فك عسرها أنت تفكها مما هي واقعة فيه وهذه باقية إلى يوم الدين *فَكُّ رَقَبَةٍ *١٣* البلد* أما تحرير رقبة فليست موجودة الآن ولا تأتي تحرير رقبة إلا في الفداء وهي بمعنى العتق أما فك رقبة تخليصها من عسرها إما من مغرمة أو عسر أو دين.

آية *١٢* :

* ما الفرق بين ذلك وذلكم في الاستعمال القرآني؟

د. فاضل السامرائي

في أكثر من مناسبة ذكرنا شيئاً من هذا. طبعاً الكاف في *ذلك* حرف خطاب وقلنا حرف الخطاب في ذلك وتلك وأولئك هذا قد يطابق المخاطب ذلك، ذلكما، ذلكنّ حسب المخاطبين المشار إليه. ذلكَ المشار إليه واحد والمخاطَب واحد مفرد مذكر وذلكِ المشار إليه واحد والمخاطبة امرأة وذلكما المشار إليه واحد والمخاطب اثنين وذلكم المشار إليه واحد والمخاطب جماعة ذكور وذلكنّ المشار إليه واحد والمخاطب جماعة إناث *قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ *٣٢* يوسف* لا يدل على جمع المشار إليه وإنما أولئك، ذانك. *أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ *٢٢* الأعراف* هي شجرة واحدة

والمخاطب اثنان والكاف هو حرف خطاب ليس ضمير خطاب. حرف الخطاب في اسم الإشارة فيه لغتان لغة أنه تجعل مطابقاً للمخاطب إذا مفرد أو مفردة أو مثنى أو جمع ذكور أو إناث ولك أن تجعله بلفظ واحد وهو الإفراد والتذكير أياً كان المخاطَب مثل ذلك إذا كانوا أربعة أو خمسة ، تلك شجرة ذلكم كتاب، لك أن تقول ذلكم كتاب هذا ممكن وذلك كتاب هذا من حيث اللغة . إذن فيها لغتان إما أن نجعل حرف الخطاب بصيغة التذكير أياً كان المخطابين مفرد مذكر مؤنث جمع أو يطابق، فيها لغتين لكن يبقى كيف استعملها القرآن؟ مرة يستعملها مفرد ومرة يستعملها جمع. في اللغة لا يسأل عنها لأنه كله جائز من حيث الحكم النحوي لكن نسأل من الناحية البيانية أحياناً يطابق وأحياناً يُفرِد، لماذا؟ هذا سؤال آخر.

هناك فرق بين الحكم النحوي اللغوي والاستخدام البياني لماذا استخدم هذا بيانياً؟ هنالك أسباب عدّة لهذا الأمر من جملتها أن يكون في مقام التوسع والإطالة في التعبير والمقام مقام توسع وتفصيل وإطالة فيأتي بالحرف مناسباً لأن *ذلكم* أكثر من *ذلك* من حيث الحروف إذا كان المقام كله مقام إطالة يأتي بكل ما يفيد الإطالة لغة وإذا كان في مقام الإيجاز يأتي بكل ما في الإيجاز لغة ، مثال *وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *٩٩* الأنعام* فيها تفصيل فقال *إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ* ، *وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *١٢* النحل* لأن المقام مقام إيجاز. صار توسع في المعنى لما عدّد أشياء كثيرة إذن صار إطالة وتوسّع فجمع *ذلكم* حتى تتلاءم مع ما قبلها.

وقد يكون في مقام التوكيد وما هو أقل توكيداً: في مقام التوكيد يأتي بما هو أكثر توكيداً فيجمع وإذا كان أقل توكيداً يُفرِد، مثال: *وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ *٢٣٢* البقرة * هذا حُكم في الطلاق قال *ذلكم* ، *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *١٢* المجادلة * قال *ذلك* الأولى قال ذلكم وهذه قال ذلك، أيُّ الحُكمين آكد وأدوم؟ الطلاق آكد وأدوم لأنه حكم عام إلى قيام الساعة يشمل جميع المسلمين أما الآية الثانية فهي للأغنياء ثم ما لبث أيام قليلة ونسخ الحكم *فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ** ، فالآية الأولى آكد والحكم فيها عام مستمر أما الثانية فالحكم متعلق بجماعة من المسلمين ثم ألغي فالآية الأولى آكد فقال *ذلكم* ومع الأقل قال *ذلك* . إذا كان عندنا مجموعتان إحداهما أوسع من الأخرى يستعمل للأوسع ضمير الجمع وللأقل ضمير الإفراد، حتى لو رجعنا للآيتين *ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ* لمجموع المسلمين وهو أكثر ومع الأقل قال *ذلك* . القرآن استعمل *فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ *٣٢* القصص* المخاطب واحد وبرهانين، ذانك للمشار إليه هما برهانان والمخاطَب واحد والتعبير صحيح *ذانك* ولا يمكن أن يقول ذلك. *ذانك* أصلها ذا اسم إشارة وأحياناً نلحق بها هاء التنبيه فيصير *هذا* للمذكر وأحياناً نقول ذان، نقول هذا، هذان، وللخطاب نقول ذانك.

وإذا كان مؤنث *تانك* نقول هاتان، *تانك* أصلها *تا* هذه أسماء الإشارة للمؤنث *ذي وذه وتا وتي وته*فالمذكر ذال والمؤنث كلها تان*قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ *٢٧* القصص* هاتان: الهاء للتنبيه وتان اسم الإشارة .

آية *١٣* :

* لماذا يرد في القرآن أحياناً أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأحياناً أخرى يرد وأطيعوا الله والرسول؟

د. فاضل السامرائي

في القرآن قاعدة عامة وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة ولم يجري ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في السياق أو أي إشارة إليه كما جاء في سورة آل عمران *وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {١٣٢} * . والأمر الآخر أنه إذا لم تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق كما في قوله تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً {٥٩} النساء* و *وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ {٩٢} المائدة * و *يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {١} و يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ {٢٠} الأنفال* و *قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {٥٤} النور* و *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ {٣٣} محمد* و *أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {١٣} المجادلة * و *وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {١٢} التغابن* وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة .

آية *١٩* :

* لماذ استخدم فعل استحوذ في قوله تعالى *اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ *١٩* المجادلة * ولماذا لم تطبق القاعدة فيقول استحاذ على القياس؟

د. حسام النعيمي

القياس: استحاذ مثل استنار واستعان واستعاذ. نحن تناولناها عرضاً لما كنا نتكلم على التعليلات والتفسيرات الموجودة التي فسرها النحويون. قلنا قد تصح وقد لا تصح كما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: مثلي في هذه التعليلات والتفسيرات كمثل رجل دخل داراً مبنية فقال إن البنّاء وضع النافذة هنا للعِلّة الفلانية ووضع الباب هنا للعلة الفلانية فقد يصيب العِلّة وقد لا يصيبها. ثم ذكرنا في مسألة الصرف والاعلان بالنقل أو الاسكان لما قلنا لو أخذنا من الخوف على وزن أفعل يفعل كان ينبغي أن نقول أخوف يخوف إنما العربي قال: أخوف يُخيف. لماذا لم تطبق القاعدة ؟ علماؤنا يقولون هناك مجموعة من الكلمات طبعاً غير الصيغ ما أفعله وأفعِل به هذه صيغة خاصة العرب أبقتها على حاله كأنه إشارة إلى الأصول منها كلمة استحوذ ومنها كلمة أغيَلت المرأة ما قالوا أغالت يعني حملت وهي ترضع فكأنها أغيلت طفلها، القاعدة أن تقول أغالت. وبعض المرضى عندما ينتفخ جسده يقولون استفيل الرجل أي أصابه داء الفيل ما قالوا أستفال. أحد الشعراء وصف الجمل بوصف الناقة فقال: استنوق الجمل ما قال استناق. إذا تصرّفت المرأة بتصرفات الرجال، تزيت بزيهم الآن نقول استرجلت والعرب يقولون استتيست الشاة وما قالوا استتاست. هذه الكلمات قالوا حكمها لأن اللغة استعمال أن تستعمل كما وردت ولا يجوز أن تطوّع للقياس ولا يصح لأحد الأن يقول استناق الجمل لأن العرب قالت استنوق لكن لا يجوز أن تقيس عليها: لا يجوز أن تقول

استقول فلان من وظيفته وأنت تريد طلب إقالته بل قُل استقال لا تقول هذه قياساً على استنوق.
استنوقت لا تطوّع للقياس ولا يقاس عليها لم يسمع من عربي استناق ولم يسمع من عربي استحاذ وإنما نستعمل استنوق واستحوذ.

* تناسب فواتح سورة المجادلة مع خواتيمها*

بعد أن ذكر قصة المجادِلة *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ *١ * قال *إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ *٥ * يحادّون أي يحاربون، وفي أواخرها قال *إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ *٢٠ * كُبتوا يعني *في الأذلين* أي في الأسفل. ثم ذكر حكم المؤمنين وموقفهم من هؤلاء فقال *لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ *٢٢ * المفروض أن يكون المؤمنون هكذا لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم. ذكرهم في الأول فقال *كُبِتُوا* ثم ذكرهم في الآخر قال *فِي الْأَذَلِّينَ* ثم ذكر حكم المؤمنين كيف يتعاملون مع هؤلاء.

* تناسب خواتيم المجادلة مع فواتح الحشر*

السورتان المباركتان الثامنة والخمسون والتاسعة والخمسون المجادلة والحشر. قال في خواتيم المجادلة *إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ *٢٠* كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *٢١ * وفي أوائل الحشر *هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *٢ * أولئك في الأذلين - هو الذي أخرج، *إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ *٢٠* كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *٢١ * - *هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا* الغالب هو الله تعالى ، هذا الرسول رسوله وهو الله غالب *هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *٢ * كأنما توضيح لما هدّد به، *أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ* كيف أذلهم

وغلبهم؟ *يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ* فصّل المجمل الذي سبق.

سؤال: إذن لا يجب أن نتعب أنفسنا في تفسير القرآن لأنه واضح أن الآيات تفسر بعضها فلا نحتاج إلى تفسير لفهم كتاب الله؟

لا شك أن هناك استفادة كبيرة من الآيات بعضها من بعض لكن هناك استنباطات أخرى وأحكام. بالنسبة للعوام يمكن أن يفهموا كتاب الله تعالى كل على حسب علمه. قال تعالى *لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ *٨٣* النساء* إذن هناك أحكام تحتاج إلى استنباط، فهم القرآن يكون كل واحد على قدر ما أوتي من علم. ليس القرآن صعباً كما يقول بعض المسلمين أنهم يقرأون القرآن ولا يفهمون شيئاً، هذا غير صحيح لأن هناك آيات مفهومة مثل *قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *١* الإخلاص*الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *٢* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *٣* الفاتحة * كل واحد يفهمها *وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا *٢٧٥* البقرة * آيات الأحكام فيها سهولة للجميع.

سورة الحشر

*** تناسب خواتيم المجادلة مع فواتح الحشر***

السورتان المباركتان الثامنة والخمسون والتاسعة والخمسون المجادلة والحشر. قال في خواتيم المجادلة *إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ *٢٠* كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *٢١ * وفي أوائل الحشر *هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *٢ * أولئك في الأذلين - هو الذي أخرج، *إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ *٢٠* كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *٢١ * - *هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا* الغالب هو الله تعالى ، هذا الرسول رسوله وهو الله غالب *هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *٢ * كأنما توضيح لما

هدّد به، *أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ* كيف أذلهم وغلبهم؟ *يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ* فصّل المجمل الذي سبق.

سؤال: إذن لا يجب أن نتعب أنفسنا في تفسير القرآن لأنه واضح أن الآيات تفسر بعضها فلا نحتاج إلى تفسير لفهم كتاب الله؟

لا شك أن هناك استفادة كبيرة من الآيات بعضها من بعض لكن هناك استنباطات أخرى وأحكام. بالنسبة للعوام يمكن أن يفهموا كتاب الله تعالى كل على حسب علمه. قال تعالى *لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ *٨٣* النساء* إذن هناك أحكام تحتاج إلى استنباط، فهم القرآن يكون كل واحد على قدر ما أوتي من علم. ليس القرآن صعباً كما يقول بعض المسلمين أنهم يقرأون القرآن ولا يفهمون شيئاً، هذا غير صحيح لأن هناك آيات مفهومة مثل *قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *١* الإخلاص*الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *٢* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *٣* الفاتحة * كل واحد يفهمها *وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا *٢٧٥* البقرة * آيات الأحكام فيها سهولة للجميع.

*** هدف السورة ***

هدف الجزء الثامن والعشرون: الانتماء للإسلام والتبرأ من المشركين والكفر

كل السور في الجزء الثامن والعشرون تهدف إلى الدعوة للانتماء للإسلام والتبرأ من الكفر ومن المشركين فلا بد يا من أيقنت وآمنت بالقرآن أن تكون في حالة وحدة مع المؤمنين والانتماء هذا يبدأ بالأسرة التي يجب أن تكون متماسكة وموحّدة . يجب أن تشعر أن كيانك كلّه مرتبط بهذا الدين فولائك وانتمائك ومناصرتك كلّه للمؤمنين وتتبرأ من كل شخص لا ينتمي لهذا الدين. وقد سبقت لسور القرآن أن عرضت على المسلمين المنهج ثم جاءت السور تؤكد أدوات المؤمن لحمل المنهج ثم جاء الإختيار في الجزء السابق والآن هذه السور تؤكد أنه لا بد من الإحساس الانتماء فلا يكفي للمسلم أن يؤدي عباداته كالصلاة والزكاة . ونستعرض السورة كل على حدة فكل منها تخدم جانباً

من جوانب الهدف الرئيسي للجزء فالسور الأربعة الأولى *المجادلة ، الحشر، الصفّ، الجمعة * كلها تدعو للإجتماع والوحدة والانتماء ودليل هذا الانتماء هو ترابط المؤمنين ووحدتهم. ثم تأتي سورة الممتحنة التي فيها امتحان إيمان المسلم وتعطي نماذج عن أناس امتحنوا في إيمانهم وثم سورة المنافقين لأن أكثر ما يضيّع وحدة الصف عند المسلمين والانتماء لدينهم هو النفاق والمنافقين. ثم تأتي مجموعة السور الأخيرة *التغابن، الطلاق، التحريم* كلها تركّز على الشواغل التي تمنع من الانتماء كالأولاد والذرية والبيوت.

في هذه السورة معاني عجيبة فهي تتكلم عن يهود بني النضير وكيف أجلاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - من المدينة وكيف وقف المنافقون في صف اليهود وحاولوا مساعدتهم بالوعود فقط لكنهم لم يعاونوهم حقيقية أبداً لأنهم كما عهدناهم لا يوفون بالعهود ويقولون ما لا يفعلون. *أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* آية ١١ و *لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ* آية ١٢ - فالسورة تبرز نوعين من الناس المنتمي للإسلام والمتبرأ.

وتعطي السورة نموذجاً ثانياً عندما يتخلى الشيطان عن أتباعه من أهل الكفر *كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ* آية ١٦ و ١٧ - ثم وصفت الآيات في السوة أصناف أهل الإيمان على مرّ الأجيال فهم واحد من أصناف ثلاثة : منتمين للإسلام *لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ* آية ٨، الأنصار *وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* آية ٩، أو الأجيال المتعاقبة *وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ* آية ١٠ وقد وعظت السورة المؤمنين بتذكر يوم الحشر ذلك اليوم الرهيب الذي لا ينفع فيه حسب ولا نسب وبيّنت الفراق بين أهل الجنة وأهل النار ومصيرهم في الآخرة .

وفي السورة آية هي من أجمل الآيات وتصوّر لنا عظمة هذا القرآن *لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ* آية ٢١ ووجود هذه الآية في موقعها في السورة إثبات لليهود الذين ظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله فإذا كان الجبل الصلب العظيم يخشع إذا أنزل عليه القرآن فكيف بالحصون والقلاع؟ ومن أشدّ الجبل العظيم أم القلاع والحصون؟ فلا ناصر ولا معين إلا الله تعالى. وقد ختمت السورة بآيات *هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* آية ٢٢، ٢٣، ٢٤ - اشتملت على العديد من أسماء الله الحسنى وهي كلها أسماء تدل على العظمة والقوة ، فكيف أيها المؤمن لا تنتمي لله الذي هذه بعض من صفاته والذي له الأسماء الحسنى سبحانه؟! ولا ننسى أن السورة ابتدأت أيضاً بتنزيه الله وتمجيده فالكون كله وما فيه من متناقضات وإنسان وحيوان ونبات وجماد كله شاهد على وحدانية الله وقدرته ناطق بعظمته وسلطانه سبحانه *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* . آية ١ .

* من اللمسات البيانية فى سورة الحشر*

آية *١* :

* ما سبب ذكر وحذف *ما* في بدايات سورة الحديد وسورة في سورة الصف واختلاف صيغة الفعل سبح بصيغة الماضي في سورة الحشر والحديد والصف وجاء يسبح في صيغة المضارع كما في سورة الجمعة ؟

د. حسام النعيمي

القاعدة عامة ثم نعود إلى الآيات حقيقة لتثبيت هذه القاعدة العامة . هو العطف ممكن أن يكرر المعطوف عليه ويمكن أن يحذف يعني مثلاً يمكن أن تقول: يعجبني ما في إذاعتكم وفضائيتكم ويمكن أن تقول: يعجبني ما في إذاعتكم وما في فضائيتكم. لكن لو نظرت إلى الجملتين ستجد أنه في الإعادة هناك نوع من التمييز لما يقول الإنسان لشخص: ستحاسب على ما قلت وفعلت، لاحظ الجمع هما شيئان لكن ضمهما إلى بعضهما غير لما يقول: ستحاسب على ما قلت وما فعلت، ميّزهما تمييزاً. هذا قول الباري عز وجل: *سبح لله ما في السماوات والأرض* جمع الكلمتين ضمّهما إلى بعضهما لكن لما يقول *سبح لله ما في السماوات وما في الأرض* فصلها وخصصها.

لكن يبقى السؤال لِمَ جمع هنا وفصّل هاهنا؟ القاعدة هنا وهذه تنطبق حيثما وردت في كتاب الله عندما يقول *وما في الأرض* لا بد أن سيتحدث عمن في الأرض. لمّا يقول *ما في السماوات والأرض* لا يتحدث عمن في الأرض. لمّا يذكر التمييز يبدأ يتكلم عليهم لكن لما يكون التسبيح هو مجرد تمجيد لله سبحانه وتعالى فيضم السماوات والأرض ممجدة لله سبحانه وتعالى بما فيهما. لذلك سنجد في سورة الحشر في أولها لأنه تكلم على الناس قال *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * في نفس السورة لما ختمها في جو من تمجيد الله تعالى قال *هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *٢٤ * .

نأتي إلى النماذج حقيقة حتى نتبين ذلك. لاحظ في سورة الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٢* هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *٣* هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٤ * لم يتكلم عن أهل الأرض مباشرة لكن انظر في سورة الحشر *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *٢ * كلام على أهل الأرض. هذه مضطردة في كل القرآن هذه النماذج التي بين يدي الآن هي من دلائل النبوة يعني ليس من فعل رجل، خلال ٢٣ سنة يتنزل القرآن منجماً أجزاء أجزاء ينزل كيف تضبط هذه الأمور؟ هذا كلام ربنا سبحانه وتعالى .

لاحظ في سورة الصف *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * ذكر ما في الأرض *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *٢* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *٣ * يعني لا تنقطع المسألة حيثما وردت. في الجمعة *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *١ *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢ * الكلام على أهل الأرض.

يبقى المضارع والماضي: طبعاً الفعل الماضي نحن تكلمنا في المرة الماضية لا يراد به المضي دائماً يعني مضى وانقضى ، قد يراد به المواصلة والاستمرار. عندما تُسأل ما شأن فلان؟ تقول: سكن في حارتنا أو محلتنا. سكن فعل ماض يعني هو الآن ليس ساكناً؟ كلا بل تعني والآن ما زال ساكناً. فلما يأتي *سبح لله* يعني هذه الموجودات سبّحت لله سبحانه وتعالى نزهته وقدسته لكنها هي ماضية على ذلك. عندما يكون الحديث حديث يحتاج إلى ذكر للحاضر والمستقبل *للاستمرار للحضور* يعني فيه كلام عن الحضور يستعمل المضارع *يسبح لله* . لاحظ في سورة الجمعة قال *يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *١ * لكن انظر كيف قال *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *٢ * الكلام على الرسالة والرسالة حاضرة ومستقبلة . قال *يتلو* ما قال تلا فيسبح تنسجم مع يتلو ويعلّم ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب. لما كان الكلام كلاماً على حاضر ومستقبل استعمل الفعل يسبح ولما كان الكلام مطلقاً استعمل الفعل الثابت سبّح. فيها كلام كثير لكن لا تريد أن نطيل الإجابة .

سبّح لله بصيغة الماضي وفي بعض السور *يسبح* بصيغة المضارع فهل هذا مقصود بذاته؟

د. فاضل السامرائي

نلاحظ أنه كل سورة تبدأ بـ *سبّح* بالفعل الماضي لا بد أن يجري فيها ذكر للقتال في كل القرآن أي سورة تبدأ بـ *سبّح* فيها ذكر للقتال والمبدوءة بـ *يسبح* ليس فيها ذكر للقتال أبداً. سورة الصف *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١* إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *٤ * كل التي تبدأ بـ *سبّح* لا بد أن يجري فيها ذكر القتال. هذه الآية في سورة الحديد *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠ * ليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *سبح* إلا ويجري فيها ذكر للقتال وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ *يسبح* إلا لم يذكر فيها القتال. هذا توجيه للناس في الحاضر والمستقبل أن يتركوا القتال، أن لا يقاتلوا، الذي جرى جرى في تاريخ البشرية والله تعالى حكيم فعل ما فعل ودعا الناس يفعلون ما يشاؤون، هو التوجيه للخلق، للعقلاء، للناس، للمسلمين أنه في الحال والاستقبال عليهم أن يتركوا القتال ويعيشوا حياتهم، ينصرفوا إلى التعاون وما هو أنفع وما هو أجدى وما هو خير. هو توجيه لما يقول *يسبح* المضارع يدل على الحال والاستقبال لم يذكر القتال وكأنما هو توجيه - والله أعلم - للخلق في حاضرهم ومستقبلهم أن يتركوا القتال، أن لا يتقاتلوا فيما بينهم، أن يتفاهموا، أن يتحاوروا، أن يتحادثوا، أن تكون صدورهم رحبة ، هذا أنفع لهم من القتال، الماضي ماضي ذهب لكن *يسبح* كأنه توجيه لعباده.

الرابط بين القتال والتسبيح: التنزيه عما لا يليق والقتال لا يليق كما قالت الملائكة *قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *٣٠* البقرة *.

* ما فائدة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله *سبح لله ما في السماوات وما في الأرض* ؟

د. فاضل السامرائي

التقديم حسب الاهتمام في البلاغة ، يتقدم المفعول على الفاعل لأغراض بلاغية .

* لماذا قدم السماوات على الأرض؟

د. فاضل السامرائي

أولاً من الذين كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ أهل السماء لأن أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، قبل أن خلق آدم فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، بمن هو أدوم تسبيحاً *يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ *٢٠* الأنبياء*فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ *٣٨* فصلت* فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم تسبيحاً، أدوم في هذه العبادة .

آية *٤* :

* ما الفرق بين استعمال يشاقّ ويشاقق؟

د. فاضل السامرائي:

حيث ورد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم يُفكّ الإدغام *يشاقق* كما في قوله تعالى *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {١٣} الأنفال* وقوله تعالى *وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً {١١٥} النساء* وحيث أُفرِد الله تعالى تستخدم *يشاقّ* كما في قوله تعالى *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٤} الحشر* .

د. حسام النعيمي:

كلمة يشاقق هي فعل مضارع لما تكون مجزومة فُكّ إدغامها، شاقّ ّه يشاقّ ّه بالإدغام، لما يأتي الجزم للعرب لُغتان منهم من يُبقي الإدغام ويفتح لالتقاء الساكنين، تقول: تكلّم فلان فلم يردَّ عليه أحد *يرُدَّ مجزوم وعلامة جزمه السكون وقد فُتِح لالتقاء الساكنين لأنه حوفظ على الإدغام* .
و *لن يرُدَّ* تكون الصورة واحدة لكن في الإعراب اختلف وعلامة نصبه الفتحة . *لم يرُدَّ* علامة جزمه السكون وقد حُرِّك بالكسر للتخفيف لالتقاء الساكنين، الدال الأولى ساكنة والدال الثانية المضمومة في يردُّ صارت ساكنة فلما جُزِمت حذفت الضمة فصار ساكنان ففتحت لالتقاء الساكنين.
بعض قبائل العرب تقول: تكلم فلان فلم يرُدد عليه أحد *تفُكّ الإدغام* . وهما لغتان فصيحتان تكلم بهما القرآن. هنا في الآية *ومن يشاقق* فك الإدغام. وعندنا في الآيات *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *٤* الحشر* أبقى الإدغام. فالعلماء وقفوا لما يكون ذكر لاسم الجلالة وحده يبقى الإدغام، وقسم يقول إذا ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن الألف واللام في الرسول طارئة فهي على نية الإنفصال فيصير فك إدغام، وبعض العلماء يقول: لا، مع كلمة الله الألف واللام ثابتة فبقي الإدغام. نقول لا، المشاقّة هي أن تكون في شق والثاني في شق ومع الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن تكون في شق والله عز وجل في شق فأُبقي الإدغام. وهذا جاء في القرآن الكريم كله هكذا.

* لماذا جاءت *يشاقِ* بالكسر في آية سورة الحشر *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *٤* الحشر*؟

د. فاضل السامرائي

هذا الفعل مجزوم وعلامة جزمه السكون حُرِّك لالتقاءُ الساكنين.

* ما الفرق بين استعمال كلمتي عقاب وعذاب كما وردتا في القرآن الكريم؟

د. حسام النعيمي

عذاب: الفعل عذّب والعذاب في الدنيا *أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ *٥* النمل* عذاب دنيوي *لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ* ، وفي الآخرة *ولهم في الآخرة عذاب عظيم *١١٤* البقرة *، وجاء بها بمعنى العقاب *وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين* هذه عقوبة سمّاه عذاباً ما يدل على أن العذاب أوسع من العقاب لأنه يستعمل دنيا وآخرة ويستعمل بمكان العقاب.

الآية في سورة الحشر *هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *٢* وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ *٣* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *٤ * الجلاء لم يسمّه عذاباً، أخرجهم لكنه عقاب على عمل أرادوا القيام به لأنهم نكثوا عهدهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذن يستحقون العقاب على النكث لأنهم أرادوا أن يقتلوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن معه لما ذهب إليهم في قصة بني النضير وهي معروفة . *لعذّبهم في الدنيا*ولهم في الآخرة عذاب النار*العقاب* هذا الذي فعله بهم عقاب شديد كان أن يخربوا بيوتهم بأيديهم وأن يغادروا بيوتهم لأن صار الرجل منهم يخرب بيته ليأخذ الخشب.

آية *٧* :

* ما دلالة كتابة كلمة *لكي لا* منفصلة مرة و *لكيلا* موصولة مرة أخرى؟

د. فاضل السامرائي

أولاً خط المصحف لا يقاس عليه أصلاً لكن يبدو في هذا الرسم ملحظ بياني والله أعلم في أكثر من موطن. فمرة تكتب *لكي لا* مفصولة ومرة *لكيلا* موصولة . وأقول أن هذا ليس فقط للخط وإنما لأمر بياني هو كما ذكرنا سابقاً عن الفرق بين من بعد علم وبعد علم وقلنا أن *من* هي ابتداء الغاية أما بعد علم فقد يكون هناك فاصل بين هذا وذاك وذكرنا أمثلة *من فوقها* أي مباشرة وملامسة لها أما فوقها فلا تقتضي الملامسة بالضرورة . فمن حيث المعنى *وقالوا قلوبنا في أكنة * مباشرة يشمل كل المسافة بينهما ولو قال بيننا لما أفادت نفس المعنى , وقوله تعالى *وجعلنا من بين أيديهم سدا* بلا فاصلة . لكي لا يعلم بعد علم تحتمل الزمن الطويل والوصل أما قوله لكي لا يعلم من بعد علم فهي مباشرة بعد العلم فلمّا احتمل الفاصل فصل *لكي لا* وعندما وصل بينهما وصل *لكيلا* .

وفي القرآن الكريم أمثلة على مثل هذا كما في آية سورة الأحزاب *وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا *٣٧ * كتبت لكي لا منفصلة لأنه لا يحلّ الزواج بامرأة

أخرى إلا بعد انفصالها عن زوجها الأول وقضاء العدّة فلا يصح إذن الزواج بها إلا بعد الإنفصال فجاء رسم *لكي لا* منفصلاً.

وفي آية أخرى *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *٥٠* الأحزاب* ليس في الآية انفصال فالكلام عن أزواج الرسول وهنا الإتصال قائم فالإنسان مع زوجته في اتصال قائم وليس هناك فصل لذا جاءت *لكيلا* متصلة .

وفي آية أخرى *مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *٧* الحشر* فصل *لكي لا* هنا لأنه يريد أن يفصل الأموال لأنها لا ينبغي أن تبقى دُولة بين الأغنياء وإنما يجب أن تتسع الأموال لتشكل الفقراء فاقتضى الفصل في رسم *لكي لا* في هذه الآية .

وهذا الأمر نقول أنه من باب الجواز فهو جائز أن تكتب لكيلا متصلة أو منفصلة *لكي لا* لكنها تُرسم أيضاً بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام.

آية *١١* :

* في سورة الحشر *أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *١١ * ما الفرق بين لئن أخرجتم وإن قوتلتم؟

د. فاضل السامرائي

اللام في *لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ* موطئة للقسم، *وَإِن قُوتِلْتُمْ* لا وجود للام، لئن أخرجتم لام القسم ولنخرجن معكم جواب القسم، أيها الأقوى *لئن* باللام أو بدون لام؟ باللام، لام القسم أقوى. إذن *لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ* هذه حالة و *وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ* هذه حالة أخرى أقل إذن الأولى أقوى. هذا حكم نحوي، واحدة فيها لام القسم والأخرى ليس فيها. المنافقين في الإخراج قالوا *لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ* فيها توكيد أما في القتال ليس فيها توكيد فصار التوكيد أقل *وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ* القتال ليس بمنزلة الإخراج فأكدوا في الخروج ولم يؤكدوا في القتال، لسان حال المنافقين أنهم يخافون على أنفسهم.

آية *١٢* :

* لماذا جاء جواب الشرط في قوله تعالى *لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ *١٢ * في سوة الحشر مرفوعاً؟

د. فاضل السامرائي

أولاً هذا ليس جواباً للشرط وإنما هو واقع في جواب القسم. والقاعدة تقول إنه إذا اجتمع القسم والشرط فالجواب للسابق منهما فإن تقدّمه ما يحتاج إلى خبر فأنت مخيّر كأن نقول "أنت والله إن

فعلت كذا" . وفي هذه الآية القسم سابق للشرط فلا يمكن أن يكون *لا يخرجون* جواباً للشرط وإنما هو جواب القسم فلا بد من الرفع وهو مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة .

وكذلك في قوله تعالى *وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ *٦٥* التوبة * ليقولن جواب قسم وليس جواب شرط. وفي قوله تعالى *وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ* .

آية *١٨* :

* ختمت الآية بقوله تعالى *والله بما تعملون خبير* فما اللمسة البيانية في تقديم العمل على الخبرة هنا علماً أني في آيات أخرى يقدم الخبرة على العمل *خبير بما تعملون* ؟

د. فاضل السامرائي

تكلمنا سابقاً عن بما تعملون بصير وبصير بما تعملون. بالنسبة لهذه الآية واضحة لأن الكلام على هؤلاء، على عمل هؤلاء من الإنفاق والقتال فقدم العمل لكن نقول أمراً في العمل والخبرة : يقدم العمل على الخبرة أو الخبرة على العمل بحسب ما يقتضيه المقام: فإذا كان السياق في عمل الإنسان وليس في الإنسان، في عمل الإنسان - وهناك فرق بين الكلام على الإنسان عموماً وعمل الإنسان - قدّم العمل، هذا أمر. وإذا كان السياق في غير العمل ويتكلم عن الإنسان في غير عمل كالقلب أو السياق في أمور قلبية أو في صفات الله عز وجل يقدم صفة الخبير على العمل، هذا خط عام. إذا كان السياق في عمل الإنسان يقدم العمل *والله بما تعملون خبير* يقدم العمل على الخبرة وإذا كان السياق في أمور قلبية أو عن الله سبحانه وتعالى يقول *خبير بما تعملون* .

نضرب أمثلة حتى تتضح الصورة : *إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *٢٧١* البقرة * هذا عمل فختم الآية *والله بما تعملون خبير* ، *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *١٠* الحديد* الكلام على الانفاق والقتال فقدم العمل، *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* الحشر* التقوى أمر قلبي فقدم الخبرة ، هذه القاعدة العامة إذا كان الكلام عن عمل الإنسان يقدم العمل على الخبر وإذا كان الكلام ليس عن العمل وإنما في أمر قلبي أو الكلام على الله سبحانه وتعالى يقدم الخبرة .

آية *٢٠* :

* ما دلالة استعمال أداة النفي *ما* و *لا* ؟

د. فاضل السامرائي

ما التي تدخل على المضارع هي لنفي الحال، *لا* يقولون للاستقبال وقسم من النُحاة يقولون قد تكون للحال وللاستقبال *وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً *٤٨* البقرة * هذا استقبال.
ننظر كيف تستعمل في القرآن *وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ *١٩* فاطر* هذا مشاهد في الدنيا *وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ *١٢* فاطر* هذا مُشاهد *وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ *٢٢* فاطر* هذا مُشاهَد، *لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ *٩٥* النساء* عدم الإستواء هذا في الآخرة غير مشاهَد فقال *لا يستوي* ، *لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ *١٠* الحديد* عدم الإستواء هذا في الآخرة ، *لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ

النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ *٢٠* الحشر* هذا في الآخرة غير مُشاهَد. *لا* تدل على النفي في الاستقبال *نفي غير مشاهد* وقسم يقولون قد تكون للحال وأكثر النحاة يقولون هي للاستقبال لكن قسم يقول قد تكون للحال والأكثر للاستقبال بدليل قوله تعالى *فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ *٢٠* النمل* هذه حال وليس استقبال فقال قد تأتي للحال أيضاً وهم متفقون على أنها للاستقبال. الأصل أن تكون للاستقبال لذلك يقول الزمخشري لا ولن أُختان في نفي المستقبل إلا أنّ في لن تأكيداً.

آية *٢٣* :

* ما فائدة غياب العطف في *هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ *٢٣* الحشر*؟

د. فاضل السامرائي

قال تعالى *هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ *٢٣* الحشر* كما قال في موضع آخر *هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ* ما قال تعالى هو الأول الآخر لأن العطف يأتي في الصفات فيما تباعَد من الصفات لأنه يصير أمراً مستغرباً، أما في الصفات القريبة فلا يؤتى بالعطف. أحياناً تأتي الواو للإهتمام وللتباعد ما بين الصفات. إذا كانت الصفات متباعدة يؤتى بالواو يعني ليست متقاربة من حيث أحداثها، مثلاً أنت تقول تتكلم مع شخص عن فلان وهو يعرفه لكن لا يعلم مثلاً أنه شاعر فتقول له: هو شاعر، فيقول: هو شاعر؟ فتقول وطبيب، الشعر والطب متباعد فيقول وطبيب؟ يستغرب من إجتماع هذه الصفات المتباعدة التي لا يعلمها هو في شخص، لذا تأتي الواو فإذا تباعدت الصفات فيحسن الإتيان بالواو.

آية *٢٤* :

* أيهما أصح أن يقال اللهم إني أسألك بصفاتك العليا أو صفاتك العلا؟

د. فاضل السامرائي

الإفراد في غير العاقل هو أكثر من الجمع، العلا جمع والعليا مفرد وكلاهما صحيحة لكن أيها الأولى ؟ *لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى *٢٤* الحشر* الحسنى مفرد والأسماء ٩٩ جمع، *تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى *٤* طه* العلا جمع عليا *العلا جمع والسماوات سبع* . المفرد في الصفات مع غير العاقل تفيد أكثر من الجمع يعني عندي أشجار كثيرة أكثر من أشجار كثيرات، أشجار كثيرات قليلة وأشجار كثيرة كثيرة . المفرد مع غير العاقل أكثر من الجمع. الصفات جمع كثيرة فنقول العليا ويصح العلا لكن أولى أن يقال العليا كما نقول الأجذاع انكسرن والجذوع انكسرت، وأكواب موضوعة ما قال موضوعات فإذا جمع يكون قليلة ويقول غرف مبنية لا يقول غرف مبنيات. إذا أفرد الصفة في غير العاقل تكون كثيرة وإذا جمع يكون أقل. اللغة الأعلى أن يقال الصفات العليا والأسماء الحسنى بالإفراد، السماوات العلا بالجمع جمع عليا علا، هذه قاعدة لغوية .

* ما الفرق بين استعمال من وما في قوله تعالى *من في السماوات والآرض* و *ما في السماوات والأرض* ؟

د. فاضل السامرائي

من تستعمل لذوات العقلاء وأولي العلم فقط أما *ما* فتستعمل لصفات العقلاء *ونفس وما سوّاها، فانكحوا ما طاب لكم من النساء*وما خلق الذكر والأنثى * والله هو الخالق، *ونفس وما سوّاها* والله هو المسوي، وذوات غير العاقل *أشرب من ما تشرب* وهي أعمّ وأشمل. لكن يبقى السؤال لماذا الاختلاف في الاستعمال في القرآن الكريم فمرة تأتي *من* ومرة تأتي *ما* ؟

ونلاحظ في القرآن أنه تعالى عندما يستعمل *من* يعطف عليها ما لا يعقل كما في قوله تعالى في سورة الحج *أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ {س} *١٨ * . أما عندما يستعمل *ما* فإنه يعطف عليها ما يعقل *ولله يسجد .. دابة والملائكة * وهو خط بياني لم يتخلف في القرآن أبدا والحكمة البيانية منه الجمع.

وكذلك استعمال من مع فعل يسبّح كما في قوله تعالى في سورة الإسراء *تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا *٤٤ * وفي سورة النور *أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ *٤١ * . واستعمال *ما* كما في قوله تعالى في سورة الحشر *هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *٢٤ * وسورة الجمعة *١* وسورة التغابن *١* وسورة الحديد *١* والحكمة البيانية من ذلك جمع كل شيء.

* تناسب فاتحة سورة الحشر مع خاتمتها*

تبدأ بقوله *سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *١ * وآخرها *هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *٢٤ * نفسها بإضافة أسماء الله الحسنى .

* تناسب خواتيم الحشر مع فواتح الممتحنة *

خاطب المؤمنين في خواتيم الحشر *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *١٩ * وفي أوائل الممتحنة قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ *١ * كأنها استكمال لآية الحشر، هذه أوامر ونواهي وكأنها تكملة للآية التي قبلها، إذن هي جملة استكمال للأوامر. *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ* الخطاب في الممتحنة للمؤمنين بألا يتخذوا عدو الله وعدوهم الكافرين ولها سبب نزول ليس هذا وقت ذكره. قال تعالى *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *١٩ * هذه أوامر وتوجيهات وأكمل في الممتحنة *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ* كأنها في منظومة واحدة وخطاب مستمر واستكمال للأوامر وكأنها تسير على نسق خطابي واحد. في خواتيم الحشر قال *لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ *١٣ * وفي أوائل الممتحنة قال *إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ *٢ * يثقفوكم يعني يتغلبوا عليكم، كأن الكلام واحد في الآيتين.

نلاحظ في الحشر *لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ *١٣* لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ *١٤ *إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ *٢* الممتحنة * كأن الآية استكمال لما قبلها والكلام واحد. *تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى * هم ليسوا على قلب واحد في سورة الحشر لكن مع ذلك *إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً* في كل الأحوال هم أعداء.

في أواخر الحشر قال *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *١٨* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *١٩* لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ *٢٠ * وقال في أوائل الممتحنة *لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *٣ * . يوم القيامة يفصل بينكم - لا يستوي أصحاب النار واصحاب الجنة ، الكلام كله على يوم القيامة .